مكتبة مصر

إحسان عبد القدوس

دمي ودموعي وابتسامتي

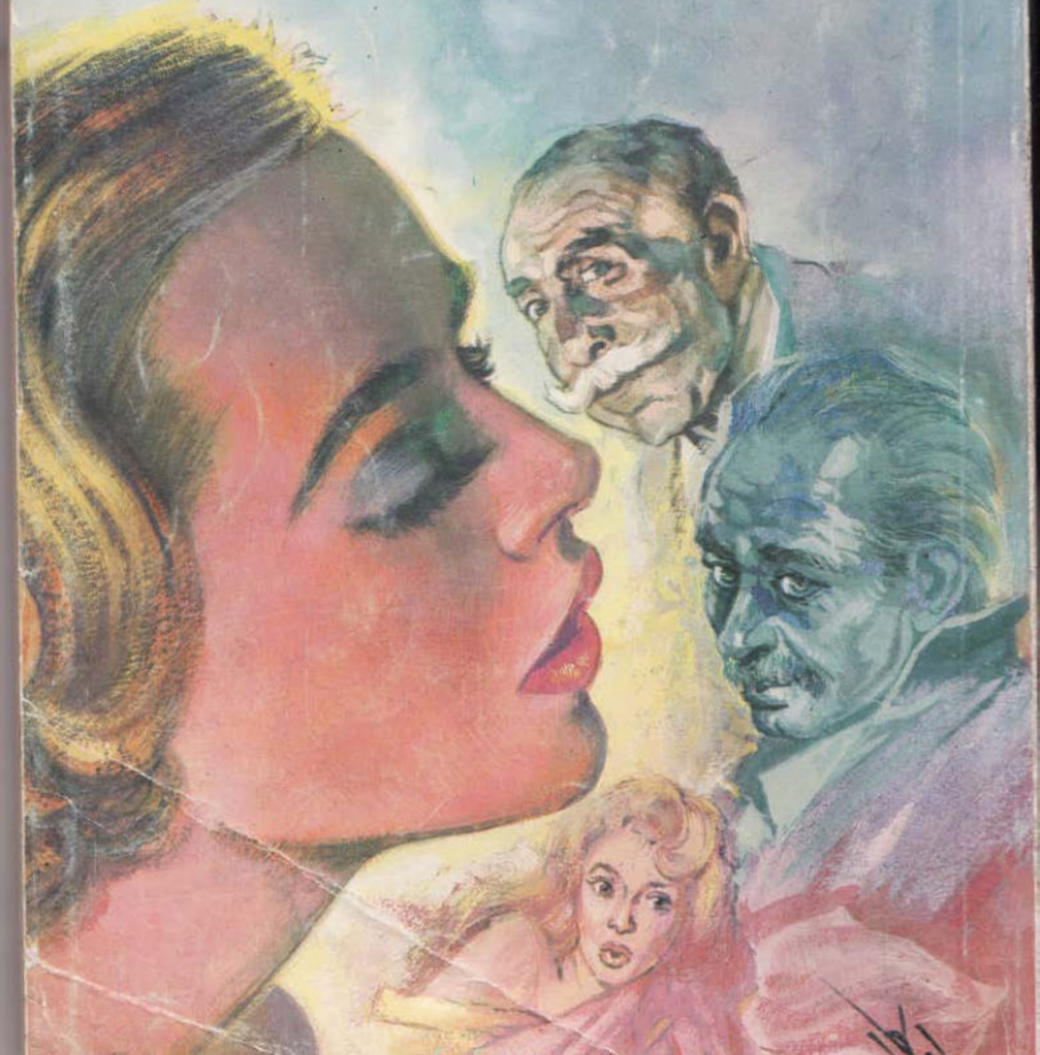

دمعة وابتسامة

إحسان عبد القدوس

دمي ودموعي وابتساماتي

الناشر : مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي "الفجالة"

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

المقدمة

أنا .. والسينما ..

قصتي مع العمل السينمائى — أو ما يمكن أن يسمى « الأدب السينمائى » — قصة طويلة ، انتهت منذ سنوات طويلة بتأكيد ايمانى بأن العمل السينمائى يختلف عن العمل الأدبى المجرد ، بأنه عمل جماعى يجمع بين مؤلف القصة ، وكاتب السيناريو ، والمخرج ، والمصور ، والممثل والممثلة .. و .. و .. والمنتج صاحب رأس المال .. ولا يمكن أن ينفرد أى واحد من هؤلاء بحرية العمل الفنى ، كما لايمكن أن ينفرد أى واحد من كل هؤلاء بالمسئولية وحده ، سواء كانت مسئولية النجاح أو مسئولية الفشل .. واذا كان داخل العمل السينمائى نوع من الديكتاتورية ، فان الديكتاتور الأول الذى يتحكم فى كل هؤلاء هو المنتج صاحب رأس المال الذى يبدأ العمل بالمشروع ويضعه فى حدود ذوقه الفنى وتخطيطه التجارى ودوافعه الشخصية ، أما الديكتاتور الثانى فهو المخرج لأنه هو الذى يتولى مسئولية تنفيذ العمل فى حدود قدراته الفنية وطبيعة تكوينه الشخصى ..

ولذا .. ولأن العمل السينمائى عمل جماعى يتطلب نوعا من التفرغ حتى يستكمل التوفيق بين كل المشتركين فيه ، ولأنه عمل

لا يحقق الحرية الفردية للانتاج الفنى ، ولأن القصة هى عنصر واحد ضمن العناصر الكثيرة التى يتألف منها العمل السينمائى .. لهذا ، قررت منذ البداية ألا احمل نفسى مسئولية أى عمل سينمائى ، لأنى أفضل أن أعيش فى حريتى الفردية عندما اكتب قصة ، ولأنى أفضل أن أقدم القصة كعمل أدبى مستقل .. واكتفيت دائما بأن أعطى حق انتاج القصص التى أكتبها — وبعد نشرها — لأول من يتقدم من المنتجين السينمائيين دون أن أتحمل أى مسئولية فى هذا الانتاج السينمائى ، ودون أن أبذل أى جهد الا جهد ابداء الرأى فى السيناريو السينمائى بعد اعداده ، ومدى تعبيره وارتباطه بالقصة التى كتبتها ، وذلك اذا طلب منى ابداء الرأى ..

ورغم ذلك فقد تعرضت للعمل داخل المجال السينمائى فى عدة حالات كانت معظمها حالات تفرضها ظروف خارجة عن ارادتى ..

وكانت المحاولة الأولى لى للعمل السينمائى عقب تخرجى من الجامعة مباشرة وتفرغى لبناء مستقبلى العملى ، أى فى عام ١٩٤٢ .. منذ ثلاثين عاما ..

فى هذه الأيام ، ورغم ارتباطى بهوايتى الأصيلة ، وهى الكتابة بالقلم ، فقد كنت حائرا بين مختلف الطرق ، وكنت أجرب كل طريق .. كنت أعمل بالصحافة كصحفى ، لا ككاتب مقال أو أديب .. ورغم أن والدتى السيدة فاطمة اليوسف هى صاحبة دار « روز اليوسف » الا أنى جربت العمل فى جميع الصحف فعملت فى دار الهلال ، وآخر ساعة ، والمصرى ، والأهرام ، والزمان ، والجرنال دى ايجبت .. وحاولت أن أعمل فى الطباعة كمدير مطابع .. وحاولت أن اشتغل بالمحاماة ، واشتغلت بها فعلا مدة عامين ، وعلقت على بابى يافطة مكتوب عليها « احسان عبد

القدوس — المحامى » .. وحاولت .. وحاولت .. وكان من بين ما حاولته أن أكتب قصصا سينمائية ، وكتبت فعلا قصتين سينمائيتين .. وكان الدافع الأساسى لى هو أن السينما أيامها كانت ميدانا جديدا ناجحا واسعا ، حتى كان يقال ان صناعة السينما هى الصناعة الثانية فى مصر بعد صناعة النسيج .. وأردت أن أجرب نفسى فى هذا الميدان الواسع ، وأن أستغل فيه قدرتى على الكتابة .. أى أن الدافع لم يكن تمكنى من الفن السينمائى أو هوايتى لهذا الفن ، ولكنه كان مجرد محاولة تجربة النجاح فى كل مجال ..

واحترت لمن أقدم القصتين السينمائيتين اللتين كتبتهما ، فلم أكن قد عرفت بعد ككاتب قصة ، ولم يكن لى اسم بين ناشرى القصص او منتجى الأفلام السينمائية .. وبينى وبين نفسى قررت أن أعرضهما على الأستاذ محمد عبد الوهاب ، فقد كان أيامها — كما لا يزال — صاحب شركة سينمائية ، وهو صديق العائلة وصديقى ..

وكان مكتب عبد الوهاب فى عمارة الايموبيليا بشارع قصر النيل ..

وذهبت ..

وما كدت أضع نفسى فى المصعد حتى التقيت بالسيدة عزيزة أمير ، وهى أيضا منتجة سينمائية ، وصديقة للعائلة ، وسبق أن كتب لها والدى الأستاذ محمد عبد القدوس قصة فيلم من أفلامها وهو فيلم « بنت النيل » وهو ثانى فيلم ينتج فى تاريخ السينما العربية ، وكانت قصته مقتبسة من مسرحية « احسان بك » التى كان والدى قد سبق أن كتبها ومثلتها عزيزة أمير على المسرح — قبل السينما — وأطلق عليها اسمى بدافع حب الأب لابنه .. رحمه الله ..

وسألتنى عزيزة أمير ونحن فى المصعد :

— الى أين ؟

قلت :

— الى الأستاذ عبد الوهاب لأعرض عليه قصة كتبتها ..

وقالت السيدة عزيزة أمير فى عتاب حلو كعتاب الأم ، ولعلها قدرت أنى ربما أكون قد ورثت القدرة على كتابة القصة عن والدى :

— تعرض على عبد الوهاب ، قبل أن تعرض على .. لا يمكن .. تعال .

وأخذتنى من يدى الى مكتب شركتها السينمائية الذى كان فى نفس المبنى . وأجلستنى أمامها ، وقالت فى لهجة آمرة تعبر عن طيبتها :

— اقرأ ..

وقرأت ..

وذهلت للاعجاب الذى أبدته السيدة عزيزة بالقصتين فلم أكن قد تعودت بعد على أن يعجب أحد بما أكتب ، وذهلت أكثر عندما قالت ان شخصية الفتاة فى احدى القصتين تصلح لتقوم هى شخصيا بتمثيلها ، فقد كانت شخصية فتاة فى السابعة عشرة من عمرها ..

وقلت للسيدة عزيزة :

— ولكنها شخصية فتاة صغيرة ..

وقالت فى بساطة :

— نكبرها ..

واشترت منى القصتين .. بثمانين جنيها للقصة .. وأعطتنى شيكا يحمل مبلغ مائة وستين جنيها .. ولم أنظر فى الشيك .. انما أطبقت عليه بكل أصابعى ثم دسست أصابعى فى جيبى . ولم

أتكلم .. كنت مبهورا شاردا ، أكاد لا أصدق وجودى ..

كانت هذه هى أول مرة يدخل جيبى مبلغ يصل الى مائة جنيه ..

أول مرة أكسب من عملى مثل هذا الكسب ..

وكان أكثر ما أستطيع أن أكسبه حتى ذاك اليوم هو مبلغ عشرين جنيها فى الشهر ، اذا كان شهرا سعيدا ، وأقل من ذلك بكثير فى معظم شهور السنة .. فرغم أنى كنت أعمل صحفيا فى مجلة روز اليوسف ورغم أن روز اليوسف هى أمى ، فلم تكن تعطينى الا اثنى عشر جنيها كمرتب شهرى .. ولم أكن أعترض ، بل لم أكن أحس أنها تبخل على بشىء .. كنت مؤمنا بأن هذا هو ما يساويه عملى الصحفى .. لدرجة أنى تركت روز اليوسف فى فترة ما وعملت فى مجلة آخر ساعة عندما كان يملكها الأستاذ محمد التابعى .. وقرر لى الأستاذ التابعى مرتبا قدره خمسة وعشرون جنيها فى الشهر ، فاعتقدت أنه يجاملنى اكراما لوالدتى ، ولأنه كان بمثابة أبى الروحى ، فقد كنت فى الخامسة من عمرى عندما بدأ يعمل فى روز اليوسف .. ورفضت المرتب الذى قرره لى ، وقلت له انى كنت أتقاضى اثنى عشر جنيها فى الشهر ، ولم أقدم جديدا أستحق الزيادة ..

ولا شك أن الأستاذ التابعى اتهمنى أيامها بالجنون ، وعندما عجز عن اقناعى قال لى انه سيخفض مرتبى الى عشرين جنيها ، ويحتفظ لى بالباقى فى خزانة الصحيفة اذا احتجت اليه ، ثم دعانى باحساس الأب الروحى والصديق الكبير الى أن أقيم معه فى بيته ، حتى يوفر على تكاليف المعيشة .. وقد أقمت معه فعلا الى أن عدت للعمل فى روز اليوسف ارتباطا بأمى .. وعدت الى مرتب الاثنى عشر جنيها ..

هذه ذكريات استعدتها وأنا أتذكر أول مائة جنيه دخلت جيبى من وراء العمل السينمائى .

ولا أدرى ماذا تم فى القصتين اللتين أخذتهما منى السيدة عزيزة أمير رحمها الله .. فقد حضرت معهـا عدة اجتماعات للاشتراك فى صياغة سيناريو القصة وتعلمت فى هذه الاجتماعات الكثير مما كنت لا أعرفه عن الفن السينمائى .. تعلمت أن وضع السيناريو ليس عملا فرديا ، يعتمد على خيال أديب ، ولكنه عمل جماعى يمكن أن يتم خلال دردشة فى جلسة تضم المخرج ، البطل أو البطلة ، والمنتج ..

ويقول المخرج — مثلا — أثناء الدردشة :

— أنا من رأيى نخلى البنت تضرب الولد قلمين ..

وتقول بطلة الفيلم :

— لا .. أنا ما أحبش أضرب حد قدام الجمهور ..

ويرد المنتج :

— يا اخوانا .. منظر الضرب ده طلع فى أفلام كتير .. أشوف لكم حاجه تانيه ..

وهكذا تستمر الدردشة الى أن ينتهى وضع السيناريو . وأحيانا يبدأ التصوير والسيناريو لم ينته بعد ، وقبل أن تعرف البطلة والبطل مصيرهما فى القصة أمام الجمهور ..

وتعلمت من السيدة عزيزة أمير أيضا أن العمـل السينمائى يعتمد أساسا على قدرة الكاميرا ، وعلى اختيار المناظر ، وعلى دراسة السوق التجارى الذى يمكن أن يتغير من حين لآخر .. فالسوق التجارى قد يفضل فى أحد المواسم عرض الأفلام التى تصور قصصا عاطفية ، وفى موسم آخر يفضل الأفلام التى تصور قصصا عن الجرائم أو قصصا استعراضية .. و .. و .. وهكذا

اعتمادا على تغير ذوق الجمهور واحتياجاته من حين الآخر .. أى أن الأفلام كالموضات النسائية ، تتغير موضتها كل عام .. وبجانب كل هذا تعلمت أن المنتج يستطيع كل شىء خصوصا اذا كان هو فى الوقت نفسه بطل الفيلم ، وذلك عندما طلبت السيدة عزيزة أمير أن تبدل بطلة القصة من فتاة عمرها سبعة عشر عاما الى سيدة فى الثلاثين حتى يصلح الدور لتقوم هى بتمثيله .. و .. واستمرت هذه الاجتماعات ، ثم انقطعت عنها ولم أعد أسمع عن القصص التى كتبتها للسينما شيئا .. ثم ..

بعد أكثر من خمسة عشر عاما ، وبعد أن عرفت ككاتب للقصة جاءنى المرحوم محمود ذو الفقار — وكان زوجا للسيدة عزيزة أمير — وذكرنى بهاتين القصتين ، وقال لى أنه قرر انتاجهما سينمائيا .. وأصررت على الرفض .. وقلت له ان ما كتبته فى بداية الطريق لا يمكن أن يعبر عنى بعد أن اجتزت كل هـذه المراحل ..

وبعدها انقطعت عن كل المحاولات بما فيها محاولة الاشتغال بالمحاماة ، وتفرغت للعمل الصحفى ، والكتابة السياسية ، ولأنى أهوى كتابة القصص ، وأكتبها منذ كنت فى العاشرة من عمرى ، فقد مضيت فى كتابتها كلما وجدت فراغا أمارس فيه هواياتى .. وأكتبها قصصا أدبية للنشر والقراءة ، لا للسينما ..

وحتى قبل ثورة ٢٣ يوليو لم تكن القصص التى أكتبها تثير الانتباه أو الضجة ، فقد كان كل الانتباه والضجة مركزين حـول المقالات والحملات السياسية التى أكتبها وأمهد بها للثورة ، ثم بعد أن تمت الثورة واستقر الوضع السياسى بدأت القصص تثير انتباه القراء وتثير الضجيج حولها أكثر مما تثيره المقـالات

والتعليقات السياسية .. وأصبحت أفاجأ بأصحاب شركات الانتاج السينمائى يترددون على عارضين وملحين فى انتاج القصص التى أكتبها والتى سبق أن كتبت ونشرت منذ سنوات ..

وطبعا كنت أوافق ، فان كل كاتب يرحب بان يعرض شخصيات ومواضيع قصصه فى كل مجال ..

وقد بدأت بأن كنت حريصا على الصورة التى ستبدو بها قصصى على الشاشة ، وكنت أشترط فى العقود التى أوقعها ، أن يكون لى الكثير من الحقوق ، أولها حق الموافقة على السيناريو والحوار وتمثيل الشخصيات و .. و .. و .. ولكنى اكتشفت سريعا أن كل هذه الحقوق لا قيمة لها ، وانى اذا أردت أن أفرض ما أريده ، فيجب أن أتفرغ كليا للعمل السينمائى وأن أتولى مسؤليته كاملة بما فيها مسؤولية رأس المال ، وحتى بعد ذلك لن أستطيع أن أصنع من فيلم سينمائى صورة طبق الأصل لقصة مكتوبة ومنشورة للقراء ، وذلك للفرق الكبير بين الانتاج الأدبى والانتاج السينمائى .. أو بين ما يتطلبه الأدب المجرد ، وأدب السينما ..

فالانتاج الأدبى — كما قلت — عمل فردى يقوم به المؤلف [illegible] ، والانتاج السينمائى عمل جماعى يتعاون فيه مجموعة من [illegible] ..

والانتاج الأدبى يعتمد على تحريك واطلاق حرية خيال القارىء والانتاج السينمائى يعتمد على جذب وحصر خيال المتفرج فى [illegible] محدودة ..

والانتاج الأدبى يحتاج الى آلة واحدة يحركها وهى القلم ، والانتاج السينمائى فيحتاج الى عشرات الآلات يعتمد الانتاج [illegible] ويتأثر بها .. فالكاتب مثلا يستطيع أن يصور بقلمه معركة

كاملة بكل تفاصيلها ، وهو واثق أن القارىء سيراها كلها بخياله ، أما العمل السينمائى فيحتاج الى معركة حقيقية حتى يصورها ولو كانت مجرد تمثيل واقع ، ويحتاج فى تصويرها الى عشرات وربما مئات من الآلات .. وهذه الآلات تحد من حرية الفنان فى ابداعه الفنى وتضغط انطلاقه ..

الانتاج الأدبى لا يحتاج الى رأس مال كبير مركز ، فالقصة يمكن أن تنشر فى صفحات جريدة ، أو فى كتاب لا يحتاج اخراجه الى رأس مال كبير ، أما العمل السينمائى فيحتاج الى رأس مال مركز ، وعلى قدر قيمة رأس المال تتوقف درجات الانتاج السينمائى وقدرته على ابراز الفن ..

كل هذه الأسباب ، وغيرها كثير ، جعلتنى استسلم كلية للمسؤلين عن العمل السينمائى ، ولم أستسلم الا بعد أن اختلفت مع كثير من المنتجين حول الصورة السينمائية التى يقدمونها لقصصى ، وكان يعزينى فى استسلامى ان كل أدباء العالم وأكبر كتابه قد استسلموا قبلى ، وكما قال القصاص الايطالى المعروف البرتو مورافيا فى حديث له نشر أخيرا :

— ان كل ما بينى وبين السينما هو ان أبيع وأقبض الثمن ، ولهذا بقيت دائما مبتعدا عن العمل السينمائى ..

ولكن ..

رغم هذا ، كانت تصادفنى ظروف ومناسبات تدفعنى الى أن أكتب قصصا سينمائية .. قصصا ليست معدة للنشر والقراءة ولكنها معدة للتصوير السينمائى .. ومن ناحية أخرى فهى قصص لا تعتمد على تحريك خيال القارىء ، ولكنها معدة لربط عينى المتفرج بالصورة .. والفرق بين النوعين فى السياق والبناء والتعبير ، فرق كبير .. مع العلم انى دائما اكتفى بكتابة قصة الفيلم لا السيناريو : أى أكتفى بسرد الموضوع ، والأحداث ،

والشـــخصيات ، واترك تحـــديد اللقطات الســـينمائية لكاتب السيناريو ..

من هذه القصص ، قصة فيلم « الله معنا » ..

كنا فى العام الأول من الثورة ، وطلب منى ان اصور قصة الثورة فى فيلم سينمائى .. وكتبت القصة .. قصة الضباط الأحرار ، والأسلحة الفاسدة ، والملك فاروق والأحزاب القديمة ، والصحافة والشعب .. وكنت مؤمنا أن الناس فى حاجة الى رؤية كل هذا فى قصة ، وأن أسرع طريق واقربه الى الناس لتقديم هذه القصة هو العمل السينمائى .. وسهرت ليالى أكتب وأنا احاول أن أكون سينمائيا .. وبذل ستديو مصر جهدا كبيرا حتى أصبحت القصة معدة للعرض السينمائى فى مدة قصيرة ..

ولكن ..

كانت الثورة تجتاز أيامها مرحلة التنظيم والاستقرار الداخلى ، وقد تعرضت هذه المرحلة لفترة قلق وتوتر سياسى ، وتم فيها كثير من التغييرات القيادية ، كما امتلأ جو هذه المرحلة بكثير من الاشاعات والدسائس .. وكل هذا شمل فيلم « الله معنا » ، وأحاطه بكثير من الاشاعات كدت أنا شخصيا أروح ضحيتها ، مما ادى الى ان يبقى الفيلم مختبئا داخل العلب الصفيح حوالى ثلاث سنوات .. ومما ادى الى أن الرئيس انور السادات تردد بنفسه عدة مرات على استديو مصر ليشاهد الفيلم فى عرض خاص ساعيا الى اطلاق حريته وعرضه على الجمهور ..

الى أن كنت يوما مع المغفور له الزعيم الخالد جمال عبد الناصر وجاءت سيرة « الله معنا » خلال الحديث ، فقرر الزعيم أن يراه بنفسه ، وتفضل ودعانى الى مبنى الاستراحة التى كان يقضى فيها أيام راحته فى القناطر الخيرية .. وهناك عرض الفيلم على الرئيس

وأنا معه .. ودهش رحمه الله بعد أن شاهد الفيلم من كذب الأسباب التى كانت تتردد والتى أدت الى وقف عرضه ، وأمر بعرضه فعلا ، وتفضل — تحية وتأييدا للجهد الذى بذل فى هذا الفيلم — وحضر بنفسه افتتاح عرض الفيلم فى سينما ريفولى .. وربما كان هذا أول فيلم يحضر جمال عبد الناصر وبصفته الرسمية حفل افتتاح عرضه ..

ولا يزال « الله معنا » يعرض حتى اليوم على شاشة التلفزيون وبعد كل هذه السنوات ، فى كل عيد من اعياد الثورة .. دون أن يدرى احد مدى ما عانيته وما تعرضت له يوم كتبت قصة هـــذا الفيلم ..

وكانت هذه أول قصة سينمائية أكتبها وتعرض على الشاشة .

وبعدها عدت مبتعدا عن العمل السينمائى ..

ولكن ..

بعد سنوات طويلة طلبت منى مؤسسة السينما أن أكتب قصة سينمائية عن معركة بورسعيد واعتداء عام ١٩٥٦ وقلت لهم انى كتبت قصة « لا تطفىء الشمس » من وحى هذه المعركة ، وان كانت السينما قد اختصرت منها المعركة عندما أنتجتها .. ولكن رجال المؤسسة اصروا على أن أكتب قصة أخرى ، لأنهم يريدون ان ينتجوا فيلما يعرضونه فى الخارج .. فى جميع أنحاء العالم . وتحمست وكتبت قصـــة « البحث عن ضـــابط » عبرت فيها سينمائيا عن شعار يقول ان السجن الصغير فى بلد حر ، خير من الحرية فى بلد سجين ..

ولا أدرى ماذا حدث للقصة بعد أن قدمتها ، كل ما ادريه أنه جرت تغييرات ادارية فى وظائف مؤسسة السينما .. تغير رئيس مجلس الادارة اكثر من مرة ، وتغير الموظفون .. وأصبح شغل

المؤسسة الشاغل هو المراكز الوظيفية ، وشهوات الموظفين .. ثم بعد حوالى عشر سنوات اتصل بى رئيس مجلس الادارة ليقول لى انه بحث عن اصل قصة « البحث عن ضابط » فلم يجدها .. ضاعت وسط الفوضى الوظيفية .. وطلب منى ان أبحث له عن نسخة أخرى من القصة .. ورفضت .. فالمنتج الذى تضيع منه قصة ، لا يستحق أن ينتجها حتى بعد أن يجدها .. خصوصا أن هناك دائما احتمالا أن تكون القصة قد سرقت واستغلت تحت اسم آخر ...

وبعد سنوات حركنى خيالى الى قصة « أبى فوق الشجرة » ، وبدأت أكتبها كعمل أدبى لا علاقة له بالسينما .. وأنا عندما أكتب قصة طويلة ابدأ بتسجيل موضوعها على أوراق صغيرة قليلة . ثم أبدأ فى تسجيل الشخصيات والمواقف فى أوراق اخرى .. وهذا الاعداد يتطلب منى شهورا .. ثم بعد ذلك أبدأ فى كتابة فصولها للنشر ..

وكتبت من قصة « أبى فوق الشجرة » خمسة فصول من مسلسلة كان المفروض أن تتطلب ثلاثة وعشرين فصلا .. وبدأت أعلن عنها على صفحات مجلة « روز اليوسف » .. ونشرت الاعلانات فعلا ..

ولكن ..

فجأة تركت العمل فى « روز اليوسف » ، واجتزت مرحلة شخصية توقفت خلالها عن اتمام كتابة القصة كعمل أدبى .. ومرت شهور طويلة وأنا لا أكتب ، ولا أفكر اذا كتبت فى نشر ما أكتبه .. ثم خفت على فكرة القصة ان تضيع من رأسى ، وكانت شركة انتاج سينمائى تبحث أيامها عن قصة ، وتلح على احدى قصصى ، فقررت أن أعيد كتابة « أبى فوق الشجرة »

كقصة سينمائية ، ولأنى كنت أيامها أعانى من الاحساس بالفراغ ، فقد قبلت أن أشترك — ولأول مرة — فى كتابة السيناريو والحوار .

وقد عرضتنى هذه التجربة لمشكلة العمل الجماعى وما يمكن أن يؤدى اليه من مناقشات وخلافات .. وقد حدث بعد أن انتهيت من كتابة السيناريو والحوار ، أن أعادت الى الشركة الأوراق مع رجاء اجراء بعض التعديلات ..

ورفضت الموافقة على اجراء أى تعديل ، رغم أن التعديلات المطلوبة لم تكن كبيرة أو تمس صلب الموضوع .. انما كانت تعديلات نفرضها عقلية صاحب رأس المال .. كزيادة عدد الرقصات ، أو زيادة عدد القبلات ، أو تركيز الصورة على البطل .. أو .. أو .. والواقع انى كنت قد زهقت من العمل الجماعى الذى يتطلب غالبا تحقيق رغبة أمزجة شخصية للعاملين فى الفيلم . ولو سردت الأسباب الشخصية التى تدفع الى اجراء تعديلات فى سياق الأفلام .. كل الأفلام .. لاحتجت الى كتاب كامل يضم كل أسماء الفنانين والفنانات الكبار المشهورين .. فاتن ، وسعاد ، ونادية ، وماجدة وفريد الأطرش ، وعبد الحليم ، وصباح .. و .. و ..

وطبعا فرض صاحب رأس المال ارادته على فيلم « أبى فوق الشجرة » واستعان ببعض الزملاء الأدباء لاجراء التعديلات التى يريدها .. ومع نجاح الفيلم بعد ذلك — وهو ما أعتز به — الا أنى لا زلت غير موافق على التعديلات البسيطة التى تمت ..

وحكاية اخرى ..

ففى أوائل عام ١٩٦٧ خطرت لى فكرة قصة جديدة طويلة هى قصة « دمى ، ودموعى ، وابتسامتى » وقررت بينى وبين نفسى أن أبدأ فى نشرها مسلسلة فى جريدة أخبار اليوم فى شهر ديسمبر حتى أستقبل بها العام الجديد .. عام ١٩٦٨ .. وبعد أن اجتزت

مرحلة اعداد الموضوع ، ثم مرحلة اعداد الشخصيات والحوادث . وقعت حرب يونيو .. النكسة .. الهزيمة .. وأصبح كل عقلى واندفاعى مرتبطا بالواقع الجديد .. واقع الهزيمة .. لم أعد أستطيع أن أنفعل الا بالموقف السياسى والعسكرى .. وألقيت قصة « دمى ودموعى وابتساماتى » بعيدا . وتفرغت بكل قلمى لكتابة المقالات السياسية ، ثم كتبت — بعد النكسة — ثلاث قصص قصيرة تصور المجتمع الذى ادى الى الهزيمة ..

ثم توقفت نهائيا عن كتابة القصص .. لانى لا أستطيع أن أشد نفسى بعيدا عن انفعالى بالموقف السياسى والعسكرى ، ولأنى لا أريد أن آخذ الناس بعيدا عن هذا الموقف فى قصة عاطفية ، ولا أريد أن أصدمهم بقصة تمثل واقع الهزيمة ..

ومر عام ، وعامان ، وثلاثة ، وأصبحنا فى العام الرابع .. وتذكرت صدفة وتحت الحاح المنتجين السينمائيين فكرة قصة « دمى ودموعى وابتساماتى » ، وقررت أن أكتبها سينمائيا .. لأن السينما لا تلهى المتفرج مثلما يتلهى القارىء فى القصة المكتوبة سواء نشرت فى كتاب أو مسلسلة فى جريدة .. السينما ترفه عنه ساعتين أو ثلاثا . أما القصة المسلسلة فتأخذه طوال فترة نشرها .. تأخذه بعيدا عن المعركة ..

وليس معنى هذا انى أعارض فى نشر القصص المسلسلة هذه الايام حتى ولو كانت قصصا عاطفية ، ولكنى أتحدث عن استعدادى الخاص . وحالتى النفسية الخاصة التى لا تحتمل الآن أن أكتب قصة عاطفية طويلة . خصوصا وأنى عندما اكتب قصة أنفعل بها ، وأحيانا أعيشها ، أكثر مما ينفعل القارىء ويعيشها ..

وكتبت القصة الطويلة فى قصة سينمائية ، وأعطيتها للمنتج

.. واعتذرت عن اعادة تجربة كتابة السيناريو والحوار .. أى اعادة تجربة العمل الجماعى ..

ونفس الشىء حدث بالنسبة لقصة « يا حبيبى لا ترانى بعيون الناس » فقد كانت هذه القصة فى مكتبى مجرد بضعة سطور تسجل خاطرا قصصيا خطر لى عن صورة من صور مجتمع الجيل الجديد .. ثم عرض على أن أقدم قصة تصلح لفيلم استعراضى .. وانا منذ البداية مقتنع بأن الفيلم الاستعراضى ليس من الضرورى أن يقوم على قصة بطلها فنان محترف .. راقص أو مطرب .. فالحياة كلها استعراض كبير ، وكل الناس يرقصون ويغنون دون أن يحترفوا الرقص والغناء .. دون أن يكونوا فنانين .. أنت وأنا نرقص ونغنى فى حياتنا الخاصة .. وكثير من الأفلام الاستعراضية العالمية الناجحة لا تقوم على قصص أبطالها فنانون محترفون .. وفرانك سيناترا بنى مجده على افلام لم يظهر فيها كمطرب محترف ، ولكن مجرد شخص عادى يغنى كما يغنى بقية الناس .. والقصص التى كتبتها وتحولت الى أفلام غنائية لم يكن بطلها مطربا محترفا يعرض أغانيه على الجمهور .. انما هى قصص تصور حياة عادية .. وقد اعتذرت عن أن أكتب قصصا سينمائية لكثير من كبار المطربين والمطربات لأنى كنت أعلم مقدما أن كلا منهم يريد أن تكون القصة قائمة على تصوير حياته كفنان محترف يواجه الجمهور .. وليس معنى هذا أنى أعترض على الأفلام الاستعراضية التى تصور حياة فنان ولكنى فقط لست مقتنعا بأن شخصية بطل القصة الاستعراضية يجب أن تكون دائما شخصية فنان محترف .. ولهذا بدأت اكتب قصة « يا حبيبى لا ترانى بعيون الناس » كقصة سينمائية استعراضية ، وان كنت قد أدخلت فيها المواقف والشخصيات التى يمكن أن تفسح أمام كاتب

السيناريو مجال المشاهد الاستعراضية ، وأكثر من ذلك تعمدت فى هذه القصة وحتى أكون صريحا أن أضيف الى شخصية البطلة مواقف تحترف فيها الفن ..

* * *

وأخيرا ..

لقد كتبت تاريخا سريعا لعلاقتى بالعمل السينمائى ، وكتبته بلا تفاصيل لان التفاصيل تحتاج — كما ذكرت — الى كتاب خاص . كما انى تعمدت أن أتجاهل بعض الوقائع المتعلقة بالانتاج السينمائى ، ربما لأن هذا ليس الوقت المناسب لاذاعتها . وربما لانى لا أكتب الآن كصحفى يهمه أن يبدو أمام القارىء كأنه يعرف كل شىء وكل الأسرار ، وانما أنا أكتب مجرد مقدمة لمجموعة القصص السينمائية التى أعددتها ..

ولم يخطر على بالى فى يوم من الأيام أن أنشر هذه القصص ، لانها قصص ليست معدة للقراءة ، ولا يراعى فيها الأسلوب والسياق الادبى المعد للقراءة ، انما هى قصص تعتمد أساسا على تحديد مجال الصورة السينمائية التى تبدو على الشاشة ، فمثلا لا أراعى فى هذه القصة تحليل شخصية البطل أو البطلة تحليلا كاملا بقلمى ، انما أترك للسيناريست وللكاميرا وأداء الممثل أن يتولوا هذا التحليل .. وكما قلت فان الفرق بين الانتاج الأدبى المجرد ، والانتاج السينمائى ، فرق كبير ..

و ..

وربما وافقت على نشر هذه القصص لأنى اريد أن انفى عن نفسى الاتهام بأنى منقطع عمدا عن كتابة القصة .. وأنا لا أستطيع

أو أمتنع عن كتابة القصة .. انها هوايتى منذ كنت فى العاشرة من عمرى كما سبق أن قدمت .. وهى الهواية التى تطورت معى بقدر ما تطورت فى نضجى وفى دراساتى وفى عقليتى ، واذا كنت قد انقطعت فترة عن نشر قصص جديدة فقد كنت أكتبها دون أن أنشرها .. واذا كنت قد قمت باعداد بعضها للسينما ، فلا يزال منها ما لم ينشر وما لم يعد ، انما هى مجرد أفكار وخواطر وصور مسجلة فى ورقات لعلها يوما ما تتجمع فى قصص كاملة .. واذا كنت قد قبلت اليوم ومع اجماع رأى زملائى أن أنشر هذه القصص السينمائية فلانى أؤمن وأدعو إلى أن يكون فى الأدب العربى ما يمكن أن يسمى « الادب السينمائى » فقد اتسعت مجالات النشر الأدبى للأدب المسرحى ولم تتسع بعد للأدب السينمائى ، مع أن الأدب المسرحى يقوم أساسا على تصور الأداء على المسرح ولا يعتمد على مجرد تحريك خيال القارىء ، تماما كالأدب السينمائى الذى يعتمد على الصورة المرئية . وبالاضافة .. فانى اذا كنت أكتب هذه القصص للسينما كأدب سينمائى فان بعض ما كتبته تغلبت فيه هواياتى كمجرد كاتب مجرد ، فخرجت بعض القصص كأنها للقراءة لا للسينما ، وكنت معتمدا فى ذلك على أن « السيناريو » سيحيل كل ما أكتبه الى صور مرئية .. وسيكتشف القارىء الفرق عندما يتتبع القصص المنشورة . بعضها يغلب عليه الفن السينمائى ، والبعض الآخر يغلب عليه الطابع الأدبى المجرد . واذا كنت أعرض نفسى لهذه التجربة ، بنشر ما أسميه « الأدب السينمائى » حتى أرفع من مستواه ومن تقديره الى مستوى وتقدير « الأدب المسرحى » فانى أترك للقارىء أن يحكم على مدى قيمة هذه القصص كمادة للقراءة وللمتعة القصصية ..

وأعتذر عن هذه المقدمة الطويلة .

ولكن ..

كثيرون ممن أثق بهم طلبوا نشر هذه القصص ، خاصة أن انتاجها سينمائيا لم يتحقق ، وقد تنتج أو لا تنتج ، وقد تضيع كما ضاعت نسخة قصة « البحث عن ضابط » فى مكاتب مؤسسة السينما ، ثم ان القارىء قد يهمه أن يطلع على الأسلوب الذى تكتب به القصص السينمائية .. أى على « الأدب السينمائى » .

وقبلت النشر ، كتسجيل وعرض دراسى ، أكثر منه كعمل أدبى مجرد ، خصوصا وان معظم القصص السينمائية التى تعد للسينما فى العالم كله تجمع فى كتب ، تاركا للقارىء أن يحكم على مدى قيمة هذه القصص كمادة للقراءة وللمتعة القصصية ..

دمى ودموعى وابتساماتى

العائلة من عائلات الطبقة المتوسطة الثرية .. الأب والأم وولدان وناهد ..

الأب يعتبر نفسه رجل أعمال ، ويقوم بأعمال مختلفة .. أحيانا يقوم بأعمال تصدير واستيراد ، وأحيانا يقوم بعمليات سمسرة فى بيع وشراء ، وأحيانا يعمل وكيلا لشركة أو لأحد الأثرياء .. وله مكتب صغير متواضع ، لا يعلق عليه اسمه ولا صفة أعماله .. ولا أحد فى العائلة كلها يعرف حقيقة العمليات التى يقوم بها ، فهو لا يتكلم أبدا عن عمله داخل بيته ، ولا يسمح لأحد من أولاده بالتردد على مكتبه .. ولكنه أب يحمل مسؤولية أولاده ومسؤولية العائلة .. وأحيانا يرونه كريما وينفق على العائلة الى حد أن يشترى « فيلا » ليقيموا فيها .. واشترى مرة قطعة أرض فى شارع الهرم ، أو يشترى سيارة جديدة .. وفى هذه الحالة يحس الأولاد أن الأب قام بعملية تجارية ناجحة دون أن يعرفوا شيئا عن هذه العملية .. وأحيانا أخرى يبدو مرتبكا ويعيش فى حالة عصبية ويبيع الفيلا التى اشتراها أو الأرض ، وأحيانا يضطر الى بيع السيارة ويخرج الى عمله سائرا على قدميه .. وفى هذه الحالة تعرف العائلة أن الأب قد خسر احدى العمليات وأنه يعانى أزمة مالية قريبة من الافلاس دون أن يعرفوا أيضا سر هذه الأزمة أو شيئا عنها .. ولكنه دائما أب يحب

عائلته ، ويحبه ويحترمه كل أفراد العائلة ، ويحرص دائما على الاحتفاظ بمظهر العائلة وكل متطلباتها ، فلم يشعر واحد منهم بالحاجة رغم التغيرات التى تظهر على أبيهم بين السخاء والتقتير .

هذا هو السيد عبد الحميد رشدى رجل الأعمال ..

وزوجته سهام هانم ، سيدة بيت قادرة ممتازة ترعى زوجها وتؤمن به وتثق فيه ، وبينها وبين الولدين وابنتها ناهد صلة الأم الذكية التى تكسب ثقة أولادها وتتفانى فى خدمتهم وتربطهم بها الى حد أنهم يصارحونها بكل أسرارهم خصوصا ناهد التى لا تخفى عنها شيئا حتى حبها لعلاء ..

والولدان محيى واسماعيل .. محيى فى السنة الرابعة بكلية التجارة ، واسماعيل فى السنة الثالثة ثانوى ..

وناهد فى السابعة عشرة من عمرها .. تستعد لامتحان الثانوية العامة .. جميلة ذكية لها شخصية قوية تعبر عن آمال كبيرة .. وأحد جوانب شخصيتها القوية قدرتها على أن تكسب اعجاب وتهافت كل من حولها ، مع احتفاظها باحترامها لنفسها واحترام الناس لها .. وهى تحب عـــلاء .. الطالب فى السنة الثانية بكلية الهندسة .. وربما أحبته منذ التقت به لأول مرة عندما انتقلت العائلة كلها وأقامت فى شقة كبيرة بعمارة جديدة بالدقى .. وكان هو يسكن فى نفس الشارع فى احدى العمارات القديمة .. وأصبحا يلتقيان صباح كل يوم ويسيران معا حتى يتركها قريبا من مدرسة البنات فى الجيزة ويستمر هو فى طريقه الى الجامعة .. وأحيانا يلتقيان فى الاجازات ليخرجا الى صحراء الهرم أو حديقة الأسماك .. وهو دائما حب جاد نظيف لا يجمعهما الا فى لمسة يد أو فى قبلة مترددة خجول .. وكانت ناهد تعلم أن علاء ليس غنيا وأن عليه أن يبنى نفسه بنفسه .. وانها اذا فكرت

فى الزواج فيجب أن تنتظره الى أن يتم تعليمه .. ثم الى أن يجد عملا .. والى أن يستطيع أن يربح ما يكفى لتكوين عائلة واقامة بيت .. وكانت ناهد فعلا تفكر فى الزواج به .. وربطت كل حياتها بحياته .. وبدأت ترسم حياتها فى هذا الطريق وقررت أن تتم تعليمها هى الأخرى حتى تستطيع أن تعمل وتكسب وتجمع ما تكسبه على ما يكسبه علاء فيستطيعا الزواج دون أن تعتمد على عائلتها أو على أحد .. كان هذا حلمها الذى تعيش فيه .. ومن أجل هذا الحلم كانت ترفض — وعائلتها ترفض أيضا كل عرض يقدم لها بالزواج ..

وكان للأب صـــديق من لبنان هو سليم بك زيدون .. فى الخامسة والأربعين من عمره .. عرفت عنه العائلة أنه من كبار رجال الأعمال ؛ وانه ثرى وشركاته لها مكاتب متعددة فى الكويت وليبيا والعراق ، وكل البلاد العربية تقريبا .. وكان الأب يتودد له كثيرا كلما جاء الى القاهرة ، وهو الصديق الوحيد الذى سمح الأب بدعوته الى البيت .. رغم أن العلاقة بينهما علاقة عمل .. وكان يدعوه الى الغداء أو العشاء ويقدم له كل أفراد العائلة ..

وقد بدأ الأب يدعو سليم الى البيت منذ عامين .. ولم تشعر ناهد بالارتياح له .. كانت لا ترتاح الى نظراته اليها ، والى تعمده أن يربت على يدها أو على كتفها بمناسبة وبغير مناسبة .. وتعمده أن يجلس بجانبها ويلتصق بها كلما سنحت له الفرصة .. ولكنها تجاهلت تفسير كل هذه الحركات .. وكانت تشترك مع العائلة كلها فى الترحيب به وتتعمد أن تحيى بضحكاتها وذكائها الجلسة التى تجمعهم .. لأنها تعلم كما تعلم العائلة أن لوالدها أعمالا معه دون أن يدرى أحد تفاصيل هذه الأعمال .. وقد بدأ سليم زيدون يحمل الهدايا الى العائلة كلما جاء الى مصر ، وكانت هدية ناهد

دائما هى أغلى وأرقى الهدايا ، ومرات كثيرة كان سليم يعرض على العائلة أن يدعوها لتناول العشاء فى أحد الملاهى الراقصة ، ولكن الأب كان يعتذر :

— انت عارف يا سليم بك اننا مش بتوع سهر بره . هو فيه أحلى من البيت وقعدة البيت ..

وناهد دائما لا تحاول أن تفسر تصرفات سليم وحركاته ، وتشعر كلما جاء أنها تؤدى واجبا ثقيلا حرصا على مصالح أبيها ..

الى أن كان يوم ..

وعادت ناهد من المدرسة واستقبلتها أمها فى لهفة :

— اتأخرت ليه يا ناهد .. كنتى فين .. ده عمك سليم قاعد من الصبح مستنيكى .. خشى اعملى شعرك والبسى الفستان الأخضر وادخلى قوام ..

وتعجبت ناهد من لهفة أمها واهتمامها بحضور سليم بك هذه المرة ، ثم بتوصيتها لها أن تسوى شعرها وتلبس الفستان الأخضر .. لم تكن هذه هى عادة أمها .. ربما حدث شىء جديد ..

ودخلت ناهد غرفتها ، ولم تسو شعرها ، ولا لبست الفستان الأخضر .. ولكنها ألقت بكتب المدرسة ثم دخلت اليهم بثوب المدرسة .. ولم تفاجأ بترحيب سليم لها وضحكته الكبيرة وضغطه على يدها واحتفاظه بها فى يده ، فقد تعودت منه كل ذلك ، ولكنها فوجئت بالطريقة التى استقبلها بها والدها .. استقبلها بابتسامة كبيرة .. وقبلها على جبينها ..

— تعالى يا حبيبتى .. احنا مستنيينك ..

ثم قام من على مقعده وأجلسها مكانه بجانب سليم ..

ودار الحديث فى كثير من المجاملات ، الى أن قال الأب لناهد :

— انتى فاكره سعيد ابن أخى عمك سليم ..

وقالت فى دهشة :

— سعيد ؟ ! مش فاكراه ..

وقال سليم :

— اللى جه معايا السنه اللى فاتت ..

وقالت :

— مش فاكراه يا عمى .. يمكن كنت يومها فى المدرسه ولا قاعده باذاكر ..

وقال سليم :

— أظن يومها ما تدرش يقعد . بعته فى شغل . على كل حال آدى صورته يمكن تفتكريه .. واذا ما افتكرتهوش تاخدى فكره عنه .. ما هو اللى يعرفنى لازم يعرف سعيد .. ده زى ابنى ..

وقال الأب :

— ده سعيد هو اللى ماسك شغل عمك سليم فى الكويت ..

وأخرج سليم صورة فوتوغرافية من جيبه وقدمها لناهد ..

وأطلت فيها ناهد .. انها صورة شاب لبنانى يبدو فى الصورة جادا مقطبا كأنه وقف أمام الفوتوغرافى لالتقاط صورة جواز سفر أو بطاقة عائلية .. ولم تنظر ناهد فى الصورة طويلا وأعادتها الى سليم الذى قال :

— ايه رأيك فيه بأه ..

وقالت ناهد ضاحكة :

— تشرفنا ..

وقال سليم :

— شبهى ..

وقالت ناهد ضاحكة :

— انت احلى يا عمى ..

وابتسم سليم فرحا ..

وقال الأب فى لهجة جادة وهو لا يرفع عينيه الى ناهد كأنه خجل منها :

— انت عارفه عمك سليم جاى النهارده ليه .. جاى يخطبك لابن أخوه سعيد ..

وارتفعت الدهشة الى وجه ناهد ، فقد كان والدها يتكلم بلهجة جديدة كأنه موافق على زواجها ، ثم تغلبت على دهشتها وابتسمت قائلة كأنها تريد أن تقلب العرض الى مجرد نكتة ..

— لسه بدرى ..

وقال الأب جادا قاطعا :

— ولا بدرى ولا حاجه ..

وقال سليم ضاحكا :

— طاب وطلب الأكال ..

وعاد الأب يقول :

— ايه رأيك يا ناهد ؟ ..

ووجدت ناهد ان الموضوع أصبح جادا بحيث لا تستطيع أن تهرب منه ، وقالت :

— والمدرسه يا بابا ..

وقال سليم بسرعة :

— تقدرى تكملى فى الكويت .. أنا من رأيى ان الزواج مش لازم يوقف التعليم ..

وقالت ناهد وهى تكاد تبكى :

— الكويت ..

وقال سليم :

— يا ستى بلاش الكويت .. ده سعيد ما بيقعدش فى الكويت الا شهر أو شهرين فى السنه وبقية السنه بيلف فى أوروبا علشان الشغل .. يعنى تقدرى تتعلمى فى لندن ولا فى باريس ولا استكهولم .. زى ما يعجبك .. وأكتر من كده .. بلاش الكويت تقعدى فى أى بلد وسعيد يبقى ينزل الكويت ويجيلك ..

وسكتت ناهد .. ووجهها مقطب مكفهر .. وهى تنظر الى أبيها كأنها تستنجد به .. وتلومه .. وأبوها لا ينظر اليها الى ان قال :

— ما قلتيش رأيك يا ناهد ..

ونظرت اليه ناهد فى غضب وقالت كأنها تصرخ فيه حتى ينقذها :

— بابا ..

وقبل ان تتم قاطعها والدها :

— طب قومى انتى يا ناهد .. فكرى على مهلك ..

وقامت ناهد بسرعة . وفى خطوات غاضبة ، وهى تسمع والدها يقول لسليم كأنه يعتذر له :

— كل البنات كده متعبين ..

وتجرى ناهد الى امها وتفاجأ بها وهى تقول ان سليم قد أحضر لها هدية ثمينة وهى ساعة ذهبية مرصعة بالماس . وتمسك ناهد بالساعة وتلقيها على الأرض وتصرخ فى وجه امها رافضة هذا العرض للزواج وتلوم أمها وأباها لانهما موافقان . ويدور حوار بين الأم وابنتها عن معنى الزواج ثم يدخل الأب ويشترك فى الحوار .. وتفهم ناهد أن أباها سيدخل فى شركة كبيرة مع سليم ستغير من وضع العائلة كلها وتضمن مستقبل أخويها لان سليم وعد بتعيين أخيها بمجرد تخرجه من الجامعة مديرا لشركته فى

ليبيا .. وتشعر ناهد بأنهما يحملانها مستقبل العائلة كله لأن هذا الزواج هو الذى سيكون ضمان الشركة الجديدة ..

وتقول الأم بعد أن يخرج الأب من الحجرة :

ــ أنا عارفه انتى بتفكرى فى ايه يا ناهد .. بتفكرى فى علاء بس علاء مش مستقبل .. فاضل له سنتين على بال ما يتخرج وبعدها ما حدش عارف حا يعمل ايه .. طاوعينى .. المستقبل حاجه والحب حاجه .. وبكره تنسيه .. وتلاقى حب تانى .. حب البيت .. وحب الأولاد .. وحب الدنيا .. وحاتحبى جوزك زى انا ما حبيت أبوكى بعد الجواز .. صدقينى .. كل البنات كانوا كده وبقو كده ..

ولا تنام ناهد ليلتها ، وتقرر أن تلجا الى حبيبها علاء لينقذها . وتخرج مبكرة فى صباح اليوم التالى وتنتظره فى الطريق الذى تعودا اللقاء فيه ..

ويظهر علاء ويدهش عندما يجد ناهد فى انتظاره مبكرة وهى عصبية مكفهرة متعبة ، وتقول له انها لن تذهب الى المدرسة وتريده فى حديث طويل ..

ويقول علاء :

ــ انا معايا نص ريال .. معاكى كام ؟ ..

وتقول ناهد :

ــ خمسه صاغ .. ليه .. ؟

ويقول علاء جادا :

ــ علشان نشوف ناخد تاكسى لغاية فين .. يبقى لغاية جنينة الأسماك ..

وفى حديقة الأسماك يدور حوار طويل بينهما تقص فيه ناهد القصة كلها لعلاء ، ويفهم علاء أن ناهد تريد منه وعدا بالزواج وأن

يخطبها من عائلتها الى أن يتم دراسته ويتزوجا ، وينتهى الحوار وعلاء يقول :

ــ الجواز عمره ما يكون وعد .. الجواز يعنى آخدك اتجوزك حتى لو ما رضيوش أهلك .. ما حدش يقدر يوعد بحاجه ما يقدرش عليها .. وأنا ما أقدرش دلوقتى على الجواز .. وما عرفش بكره حا أقدر ولا ما أقدرش يمكن أموت .. يمكن ما اشتغلش ولا اكسبش اللى يكفى نفتح بيت .. كل اللى أقدر عليه دلوقتى انى أحبك واتمنى أتجوزك .. وأتمنى أسافر أمريكا .. وأتمنى أبقى مليونير .. انما ما أقدرش أوعد انى أسافر أمريكا .. او أوعد بأنى أبقى مليونير .. او أوعد انى أتجوز .. الأمانى حاجه والوعد حاجه تانيه ..

وتقول ناهد والدموع فى عينيها :

ــ يعنى أعمل ايه .. ؟

ويقول علاء :

ــ انتى اللى تقررى مش أنا .. قررت اذاكر لغاية ما أنجح .. وبعديها أقرر أن أشتغل .. وبعديها أقرر انى أتجوز .. سنة .. سنتين .. عشره .. تقدرى تستنى ده كله .. انتى اللى تقررى مش أنا ..

ويستمر الحوار ..

وتعود ناهد الى بيتها حائرة .. والمستقبل غامض أمامها .. مستقبلها .. ومستقبل علاء .. ومستقبل حبها .. ومستقبل أبيها .. ومستقبل اخوتها .. وتكتشف فى حيرتها أن الحياة ليست مجرد أمانى وخيال ، ان الحاجة هى التى تحدد الحياة .. والحاجة هى التى تحدد العمل .. والعمل هو الكسب .. الحياة فلوس ..

وتقرر أن تقبل عرض الزواج من سعيد ابن أخى سليم ..
وتفرح العائلة ..

حتى اخوتها الشبان يفرحون ..

ويتم كتب الكتاب على يد سليم بالوكالة عن سعيد ، والمهر ألفا جنيه وهدايا كثيرة من بينها سيارة هدية للعائلة ..

والجميع فى حفلات ومرح .. وناهد تفتعل المرح لكنها تعيش بذكائها وتبدأ شخصية جديدة تتكون فيها .. شخصية فتاة عملية تنظر الى مصالحها أولا ، ولكنها لا تزال متمسكة بمبادئها ..

ويدعوها سليم الى الكباريهات الراقصة ، وأثناء الرقص مع ناهد يضمها الى صدره أكثر .. ويحاول أن يلصق خدها بخده . وهى تقاوم محاولته وتتجاهلها وتقنع نفسها بأنه مودرن .. يضحك .. ويهزر .. دون نية سيئة ..

ويتقرر السفر ..

سليم وناهد فى طريقهما الى العريس ..

ويتحجج سليم بأن أعماله تتطلب أولا أن يمر ببيروت ليقضى فيها ليلة قبل السفر الى الكويت ..

وفى بيروت تفاجأ ناهد بأن سليم يصحبها الى فندق كبير حجز فيه حجرة واحدة وصالون ..

وتسأله ناهد وهى فى وسط الحجرة :

— أمال فين العيله .. مش حا أتعرف بيهـا .. مراتك وولادك ..

ويقول سليم وهو يقترب منها :

— العيله فى الجبل .. يمكن نلحق نشوفهم ويمكن ما نلحقش .. المهم احنا الاتنين مع بعض ..

وتقول ناهد وهى تنظر حولها :

— وحانام الزاى .. ؟

ويقول سليم وهو يمد يده يتحسس كتفها :

— فيه سرير .. وفيه سريرين .. زى ما احنا عايزين ..

وتقول فى جزع :

— فى أوده واحدة ؟.. نام فى أوده واحدة ؟..

ويقول وهو يمسح على وجهها بيده :

— بعد ما تتضايقى منى .. أخرج أنام فى الصالون .. بس ما تضايقيش .. انتى فاهمة كل حاجة ..

وقالت :

— انا مش فاهمة ..

وقال :

— حاتفهمى .. المهم دلوقتى انى آخدك أفرجك بيروت ..

ويأخذها من يدها ويطوف بها فى سيارته ببيروت ، وقد بدأت ناهد تفهم كل شىء .. ثم يأخذها الى محال الثياب والمصوغات .. ويشترى لها بسخاء وهى تحاول أن ترفض ، وتحس أن كل هذا ثمنا لما يريده ..

ثم يسهران فى بيروت ، ويتجرأ عليها أكثر أثناء الرقص ، وهى تقاوم ، وتحاول أن تصده ، ولا تدرى ماذا تقول له ..

ثم يعود الى الفندق ويدخل معها الغرفة ، ويبدأ فى خلع ثيابه أمامها ، وهى لا تتحرك .. ويقول لها مبتسما :

— مش حاتقلعى ؟..

وتقول فى اصرار وعنف :

— ما أقدرش أقلع قدامك ..

ويقترب منها ويمد ذراعيه ويحتضنها وهو يقول :

— انتى لسة عاملة تكليف بيننا .. كل ده وما فهمتيش .. سنتين ولسه ما فهمتيش ..

وتصرخ ناهد :

— سيبنى .. أرجوك سيبنى .. انا مرات ابن اخوك .. انت زى أبويا ..

وقال وهو يحتضنها أكثر ويحاول تقبيلها :

— ما هو لو كنت أقدر كنتى بقيتى مراتى أنا .. وخلينا نتفق .. أبقى أبوك قدام الناس وبينى وبينك ابقى جوزك .. ايه رايك .. كفاية عناد بأه ..

ويضغط عليها ويحاول أن يسحبها الى السرير ، فتقاومه بعنف الى أن تستطيع ان تفلت من بين ذراعيه ، ثم تدخل الحمام وتقفل الباب عليها بالمفتاح ..

ويخبط على الباب بعنف ..

وتصرخ ناهد :

— لو ما بعدتش حارمى نفسى من الشباك ..

ويقول :

— طيب اطلعى وانا انام فى الصالون ..

— لا ..

وينتهى المشهد بأن تنام ناهد داخل الحمام فى البانيو بثيابها كاملة ، وينام سليم وهو بالقميص والبنطلون على السرير ..

***

وفى الصباح وبعد حوار طويل ، يعتذر لها سليم بأنه كان سكران ، ويعدها بأنه لن يحاول هذه المحاولة مرة أخرى رغم انه يحبها ويريدها ، ويظل يقنعها حتى تقبل أن تكمل الرحلة معه الى الكويت بعد أن كانت تهدد بالعودة الى القاهرة ..

وفى الطائرة التى تقلهما الى الكويت يقول سليم :

— أنا استنيت سنتين ومستعد أن أستنى كمان .. اذا كنت نجحت فى كل حاجة فلأنى اعرف أستنى .. وأعرف أصبر ..

وتنهمر الدموع على وجنتى ناهد ، وكل أملها أنها عندما تصل الى الكويت ستلتقى بالرجل الذى تزوجته وينقذها من عمه وتبدأ معه حياة جديدة ..

***

وتفاجأ ناهد بعد ان تصل الطائرة الى الكويت باستقبال بارد لا يليق بعروس وليس فيه فرحة العريس .. ثلاثة موظفين من مكتب سليم وسعيد ابن أخيه ..

وتتعرف على سعيد من بعيد بعد أن حفظت صورته ثم يقدمه لها سليم قائلا وهو يضحك ضحكة عالية :

— آدى العريس يا ستى .. وآدى عروستك يا سعيد ..

ويصافحها سعيد فى برود :

— أهلا وسهلا تشرفنا ..

ثم يلتصق بعمه بعيدا ويأخذ فى التحدث معه عن أخبار الشركة ، الى أن ينبهه سليم الى ضرورة أن يسير بجانب العروس حتى يراهما الناس معا ..

ويصلوا الى البيت .. فيلا فى حى راق من أحياء الكويت .. ويجلس الجميع فى الصالون .. سليم وسعيد والموظفون ومعهم ناهد ويتحدثون عن العمل .. لا أحد يشعر أن هناك زفاف ...

ثم يقوم الموظفون لينصرفوا ، وتفاجأ ناهد بعريسها سعيد يقوم وينصرف معهم .. ويأخذها سليم ليطوف بها انحاء الفيلا ، وتسأله :

— وفين سعيد ؟

ويجيب بلا مبالاة :

ـ أصل عنده شغل كثير ..

ويعرفها بخادمة لبنانية عجوز تتولى ادارة البيت ، وتبدو وكأنها عسكرى بوليس ، ولا ترحب بها الخادمة ، بل لا يبدو أنها تعرف انها عروس ، مجرد امرأة دخلت البيت لمتعة سيدها ..

ويصحبها سليم الى غرفة للنوم قائلا :

ـ دى أودتك .. أودتك لوحدك ..

وتقف ناهد قائلة :

ـ أنا عايزه أرجع مصر ..

ويقول سليم :

ـ مصر ايه .. ما خلاص ..

وتقول ناهد :

ـ لو مارجعتنيش .. أنا حارجع لوحدى ..

وابتسم سليم فى سخرية :

ـ ماتقدريش .. لانك أولا متجوزة ماتقدريش تسافرى الا باذن جوزك .. وثانيا لان لى مكتب فى المطار أول ماتوصلى هناك يبلغونى .. وبعدين نتكلم بصراحة .. ايه الفرق لو كنتى اتجوزتينى ولا اتجوزتى سعيد .. اعتبرى نفسك انك اتجوزتينى .. وطبعا ماتقدريش تقولى انك بتحبى سعيد .. ده انت ما تعرفهوش خالص ..

وتستمر الحياة داخل البيت ، وناهد تقاوم سليم وترفض الاستسلام له رغم أنه يغريها بالسفر الى أوربا ، ويشترى لها الهدايا ، ثم يحاول معها بالقوة .. ولا ترى زوجها سعيد الا نادرا فهو لا يقيم معها فى البيت .. وتقرر يوما أن تفاتحه بصراحة :

ـ انت مش اتجوزتنى ..

ويقول سعيد فى برود :

ـ والله انا ما أعرفكيش علشان أتجوزك .. كل اللى أعرفه أن عمى بعت لى جواب قال لى انه عمل عقد جواز باسمى ..

وتصرخ ناهد :

ـ ازاى تسمح انك تدى اسمك يتجوزوا بيه ..

ويقول فى برود :

ـ وماله .. ده عمى وباشتغل معاه .. وفى الشغل ممكن انى أعمل عقود باسمه وهو يعمل عقود باسمى لما يكون عايز يتهرب من الضرائب .. ودلوقت عايز يعمل عقد جواز باسمى .. فيها ايه دى .. ده شغل .. وبعدين انت خسرانه ايه .. انتى قبلتى تتجوزينى علشان فلوس عمى مش علشان سواد عيونى .. يبقى خليكى لعمى ..

ويستمر الحوار عنيفا مثيرا .. وناهد تتفتح أمامها أشكال جديدة للحياة والناس ، وفى هذه الأثناء تكون ناهد قد تعرفت فى احد محلات الكويت بخديجة ، وهى فتاة مصرية كانت طالبة معها ثم سافرت الى الكويت حيث يعمل أبوها موظفا كبيرا هناك .. وتتوطد الصداقة بينهما ، ويتحدثان كل يوم فى التليفون ، وتروى ناهد قصتها لخديجة ..

ثم فى يوم تقرر أن تهرب من بيت سليم وتذهب لتقيم مع عائلة خديجة ..

وتهرب ناهد فعلا ..

وتقبلها العائلة بعد أن عرفت قصتها ..

ويحاول سليم أن يعيدها الى بيته ولكنها ترفض باصرار ..

وتطلب ناهد من العائلة أن تساعدها على العودة لمصر ، ولكن الأب يقنعها بأنها لو سافرت فلن يطلقها سليم من سعيد ، ويهملها

بلا طلاق حتى لا تستطيع أن تتزوج من آخر الى أن ترضخ له ، والأفضل أن تبقى فى الكويت الى أن تحصل بمساعدته على الطلاق وتسافر مطلقة ..

وكان للعائلة صديق هو ممدوح .. شاب فى الخامسة والثلاثين من عمره يعمل فى الكويت وكيلا لشركة تجارية عربية كبيرة .. وهو يبدو دائما جادا ، مهذبا ، رقيقا ، لم يحاول أبدا أن يغازل ناهد أو يتقرب اليها بطريقة مفتعلة رغم أنه يراها يوميا تقريبا فى بيت العائلة ..

ويتعهد ممدوح بأن يقنع سليم بطلاق ناهد .. ويقول ان سليم له مصالح كثيرة مع الشركة التى يعمل بها ، وأن سليم معروف عنه أنه رجل أعمال يبيع كل شىء فى سبيل مصالحه ، وأنه سيهدده فى مصالحه مع الشركة الى أن يطلق ..

وناهد تعجب بممدوح اعجابا بريئا لأنه مهذب ولا يبدو أنه بصباص كبقية الرجال ..

ويسعى ممدوح الى أن يجبر سليم على تطليق ناهد من سعيد ، ولكن سليم يشترط أن تتنازل ناهد عن مؤخر الصداق وأن ترد كل الهدايا ، ويصرخ :

ــ ده انا دفعت فيها الوفات .. دى لو كانت ملكة ما كانتش كلفتنى ده كله ..

ويجن سليم فى بيته ويفتح الدواليب ، ويجمع كل المجوهرات والحلى التى اشتراها لناهد . ويجمع أيضا الثياب التى دفع ثمنها ، ثم يطالب مقابلتها قبل أن يتم الطلاق .. ويذهب هو وسعيد الى بيت العائلة المصرية ، ويقول سليم لناهد فى مرارة :

ــ انت ناسية حاجة معاكى .. الخاتم السوليتير .. انت

عارفه ثمنه كام .. عشرة آلاف دينار .. يعنى تسعين ألف ليرة .. يعنى عشرين ألف جنيه مصرى .. تسمحى ..

وتخلع ناهد الخاتم وتلقيه على المائدة فى أهمال ..

ويوقع سعيد عقد الطلاق ، وهو يقول لعمه :

ــ دى أول عملية تخسر فيها ..

ويرد عليه عمه :

ــ ما هى أصلها باسمك ..

ويتم الطلاق ..

وتبدو العائلة المصرية كلها ومعها ممدوح وهم يودعون ناهد فى المطار مبتسمة وهى فى طريقها الى مصر ..

***

وتكتشف ناهد بمجرد وصولها الى القاهرة أن العائلة كلها تستقبلها فى برود وسخط ..

ويثور أبوها عليها لأن سليم قد عدل عن مشروع الشركة معه ..

واخوتها يخاصمونها لأنها ضيعت عليهم الأمل فى مستقبل ناجح بالعمل خارج مصر فى شركات سليم ..

وأمها تتهمها بالعبط وعدم القدرة على التصرف ..

وهم لا يصدقون قصتها عن محاولات سليم معها ، واذا كانت أمها تصدقها الا أنها تعتقد أن ناهد افسدت الزواج لأنها لا تزال تحب علاء ..

وتعانى ناهد الكثير وسط عائلتها .. احساسهم بأنها ضيعت مستقبلهم .. والغيظ .. والزهق .. والضياع .. وعدم وضوح المستقبل بعد أن ضاعت منها السنة الدراسية ، واصبح أمامها

خمس سنوات حتى تنتهى من دراستها الجامعية وتبدأ فى العمل وفى الكسب وتتزوج علاء كما كانت تحلم قبل زواجها ..

وبعد أيام تذهب الى المكان الذى تعودت أن تقابل فيه علاء فى صباح كل يوم ، ولكنها تذهب بثوب عادى لا بثوب المدرسة ..

ويفاجأ علاء بها ويقول انه لم يعرفها لأنها لم تعد طالبة كما كانت .. ويسيران وتقول له انها طلقت ، ولكنها لا تقول له أسباب الطلاق الحقيقية ، انما تقول انهـا لم تستطع أن تحب الرجـل الغريب ، ولم تسمح له بأن يقربها ، وانها لا تزال عذراء ..

وعلاء لم يتغير فى مبادئه .. وهو لا يزال يحبها ، وقد تعذب بعد أن تزوجت .. تعذب كثيرا وقاوم أن يأخذه العذاب الى طريق الانحلال .. الى الخمر والسهر وضياع الشباب .. ولكن العذاب شل تفكيره الى حد أن سقط فى الامتحان وأصبح عليه أن يعيـد العام الدراسى .. ولكنه الآن أصبح قويا وسينجح وينتهى يوما من دراسـته ويبدأ العمل .. وهو لا يلومها على العـذاب الذى تحمله ، لقد كانت تبحث عن مستقبلها كما يبحث عن مستقبله . وهو الى الآن ورغم كل هذا الحب لا يستطيع أن يحدد مستقبله معها ، ولا يستطيع أن يعد بالزواج ، ويقول :

ــ الحب يعنى أنت وأنا .. الحب فى دمـك ودمى .. لـكن الجواز يعنى أنا وأنت والناس .. يعنى المجتمع .. والمجتمـع علشان نعيش فيـه لازم نشتغل ونكسب .. المجتمع ماحـدش يقدر يحترم نفسه فيه الا اذا بنى نفسـه .. يعنى بأه يكسب ..

وتقتنع ناهد .. وهى لا تزال تحبه .. وهو دائما حب نظيف لم تعطه نفسها ، ولم يحاول أن يأخذ منها أكثر من عواطفها ..

وهى فى وسـط ازمتها مع العائلة ، وضيقها من الحيـاة ، لا تزال تقابل علاء وان كانت لم تعد تقابله كطالبة تسـير معه فى

الطريق ، ولكنها تقابله كمطلقة فى الحدائق والمقاهى الخلـوية ، وتخاف على نفسها من كلام الناس ..

الى أن دق جرس التليفون فى يوم ، ورفعت ناهـد سماعة التليفون .. انه ممدوح .. وقد جاء من الكويت .. ويبلغها أنه نقل وكيلا لمكتب الشركة فى الدار البيضاء .. وتفرح ناهد به .. ويتحدثان طويلا عن ذكريات الكـويت .. ثـم يقول ممـدوح فى التليفون :

ــ تسمحى لى أقابل بابا ..

وتذهل ناهد وتقول فى تردد وانفعال :

ــ طبعا .. أتفضل .. بس ..

ويقاطعها ممدوح :

ــ تعرفى علشان ايه .. علشان أكلمه عنك .. وأستأذنه أنى أخطفك منه ..

تتلجلج ناهد :

ــ بس .. أصل ..

ويقاطعها ممدوح :

ــ وطبعا قبل ما أقابله لازم أقابلك انت علشان توافقى على اللى حاقوله له .. أقابلك امتى وفين ؟..

وتسرح ناهد فى ذهول ثم تقول :

ــ انت فاجأتنى .. مش ممكن كده على طول .. ممكن تكلمنى بعد ربع ساعة .. ربع ساعة بس .. عايزه أفكر ..

وتضع ناهد سماعة التليفون ، وتشرد مفكرة فى مستقبلها .. ان ممدوح يريد أن يتزوجها .. وهى لا تحبه .. ولكنها تحترمه ومعجبة به .. انه رجل جاد مهذب ولم يحاول أن يغازلها هـذا الغزل الرخيص .. وهى فى حاجة أن تخرج من جو عائلتها ، وتبنى

لنفسها مستقبلها .. ولكنها تحب علاء .. ولكن .. علاء قال لها أن حبهما فى دمهما ، ولا يستطيعان أن يحيلاه اليوم الى زواج .. وتوافق بينها وبين نفسها على الزواج من ممدوح ..

ويتصل بها ممدوح بعد ربع ساعة .. ويتفقان على اللقاء فى نفس الحديقة التى قابلت فيها علاء ..

وتتذكر ناهد علاء ، وتطوف صورته بخيالها وهى جالسة مع ممدوح .. ويدور بينها وبين ممدوح حديث طويل يرتفع خلاله فى خيالها صوت علاء عندما كان يحادثها ، ويبدو فى ذهنها الفرق بين منطق ممدوح ومنطق علاء .. ممدوح يتكلم عن الزواج غدا ، وعلاء يتكلم عن عدم امكان الزواج .. كل منهما يعبر عن حالة وعن رأى ..

وتتفق ناهد وممدوح على أن يقابل والدها ..

وتعود ناهد الى البيت وتدخل مع أمها فى حوار طويل الى أن توافق الأم ، ويبدأ الأب بالمعارضة ، ولكنه يلين ويبدأ فى الموافقة بعد أن يعلم أن ممدوح وكيل الشركة التجارية الكبرى فى مراكش وأنه يمكن أن يحقق لابنته وله ولأولاده ما كان يمكن أن يحققه سليم زيدون ..

ويتحدد يوم كتب الكتاب وهو يوم الزفاف ..

وفى هذا اليوم .. وناهد مرتدية ثوب الفرح وطرحة صغيرة لأنها مطلقة .. تختبىء فى حجرتها وترفع سماعة التليفون وتطلب علاء وتقول بسرعة :

ـ علاء .. أنا باحبك وحافضل أحبك .. وحاتجوز النهارده .. استحمل يا علاء ولازم تنجح السنة دى .. ثم تضع السماعة قبل أن تسمع رد علاء ..

وتنتقل ناهد لتعيش مع زوجها فى فندق هيلتون ..

وتلاحظ ناهد أن ممدوح حريص عليها دائما ، غيور ، فهو يراجعها فى اختيار ثيابها ويرفض أن تلبس توبا مينى جيب ، ويلح فى أن تغطى صدرها . ويراجعها فى ضحكاتها وابتساماتها ، رغم أنه مع كل ذلك رجل اجتماعى ، يفرض عليه عمله كثرة الاتصال برجال الشركات وحضور الحفلات بصحبة عروسه ، بل انه يسمح لها بالرقص مع كل من يطلبها ، وان كان يبدى رأيه دائما فى الطريقة التى ترقص بها ، ويطالب منها أن تبتعد مسافة ٣٠ سنتمترا عن كل من تراقصه أثناء رقصها معه ..

وتفرح ناهد بغيرته عليها وتعتبرها حرصا عليها وحبا لها ، وكأنها كانت محرومة طول حياتها ممن يغار عليها ..

ويسافران الى الدار البيضاء ..

***

وتعيش ناهد فى مراكش عيشة واسعة ..

حفلات ورحلات كلها متصلة بعمل زوجها وحرصه على التقرب من رجال الأعمال والشركات الذين يخدمونه فى عمله ..

وتبدأ ناهد تضيق من كثرة مجاملات ممدوح ونفاقه فى محيط عمله .. بل انها تلاحظ أنه لا يحقد عليها ولا يحاسبها عندما يتجرأ رجل من رجال الأعمال عليها أو يتمادى فى التقرب اليها ، فى الوقت الذى يحاسبها بشدة اذا سمحت لرجل بعيد عن عمله ولا يهمه فى شىء بالتقرب اليها .. وأيضا لاحظت أنه هو نفسه يبذل مجهودا كبيرا ليكسب اعجاب سيدات رجال الأعمال ، ولاحظت أنه عندما يراقصهن يلتصق بهن كما يفعل بقية الرجال ، وفى مرة قالت له :

ـ يعنى انت شارط على انى أرقص على بعد ثلاثين سنتى ، وانت لما بترقص بتلصق فى اللى بترقص معاها ..

وأجابها ممدوح ضاحكا :

ـ ده شـغل .. اطمنى .. ما فيش اكتر من كـده .. ده مجتمـع كله خواجات ولازم كده .. بس اسـمعى .. انتى مش خواجايه .. مش زى ما أعمل تعملى ..

وحلم ممـدوح دائما هـو الانتقال ليكون منـدوب الشركة ورئيس مكتبها فى باريس ..

وناهد تمر عليها لحظات تفكر فى علاء ..

وقد أصبحت حاملا ..

حتى وهى حامل تتذكر أحيانا علاء ويملأ خيالها بصورته ..

***

علاء فى القاهرة يذاكر ..

ناهـد تضع مولودها الأول .. ويرتفع صوت وأوأته .. واء .. واء ..

***

علاء فى القاهرة يدخل على أمه فرحا صائحا :

ـ نجحت يا ماما .. مش بس نجحت لـكن كمان بدرجـة ممتاز ..

***

الحياة مستمرة فى مراكش ..

وناهد مع اهتمامها وفرحتها بابنتها الوليدة ، لا تزال محتفظة بجمالها وشبابها ونشاطها فى الحفلات التى تتردد عليها مع زوجها، وتنال دائما أعجاب الرجال وتقربهم منها ، وفى الـوقت نفسـه أعجاب زوجات رجال الأعمال وصداقتهن .

الى أن يأتى رئيس مجلس ادارة الشركـة ليزور مكتبها فى الدار البيضاء ..

ويهتم ممدوح بزيارته ، ويبالغ فى اهتمامه .. فهو يسـتعد للزيارة قبلها بأسابيع .. ويعد كل شىء .. ويتحدث طويلا عنها مع ناهد .. ويقول لها انه يعلق أمله فى الانتقال الى باريس على هذه الزيارة ..

ويصل عباس بك شاكر رئيس مجلس الادارة .. فى الخمسين من عمره .. ممتلىء .. وأصلع ..

وناهد وممدوح فى استقباله فى المطار ، ويصحبانه الى الفندق، ثم يأخذانه الى البيت ..

ومن اللحظة الأولى وبمجرد أن تراه ناهد تتذكر فى خيالها سليم زيدون اللبنانى .. انه ينظر اليها نفس النظرة ، ويضغط على يدها ويحتفظ بها فى يده ، ثم بدأ يتجرأ عليها أكثر ويربت على فخذها وهو جالس بجانبها ، ويلصق ساقه بساقها من تحت المائدة ، ويقول لها كلاما جريئا أقرب الى الغزل الصريح ..

وممدوح ساكت .. بل يبتسم كلما اشتدت جراة عباس بك على زوجته .. وأحيانا يترك الغرفة حتى يتركه لزوجته .. وفى الحفلات التى تقام لعباس يقوم يراقص ناهد ويحتضنها ويحاول أن يقبلها فى عنقها ، وهى تبتسم وتحاول أن تقاومه ، ثم تتلفت باحثة عن زوجها لينقذها منه ، فتراه كأنه يتعمد ألا يلتفت اليها .. وقد ناقشت زوجها كثيرا :

ـ الراجـل عباس ده جرىء وقليل الأدب .. شـوف لك صرفة معاه ..

ويقول ممدوح :

— أصله عجز .. واتاحس .. انما ولا يهمك .. هو بس يحب المناظر ..

وتقول ناهد :

— يعنى عاجبك المناظر دى ..

ويقول ممدوح :

— يعنى أعمل أيه .. أقوم أضربه .. ولا أطرده من البلد .. هو اللى يقدر يطردنا احنا الاثنين ..

الى أن كان يوم ..

وممدوح على موعد لمقابلة عباس بك شاكر فى غرفته بالفندق .. ويصحب زوجته معه فى السيارة ، ثم يقول لها داخل السيارة :

— اسمعى انت دلوقتى تطلعى تقابليه لوحدك وتفاتحيه فى مسألة النقل لباريس .. أما تيجى منك أحسن ما تيجى منى .. وانا حاحصلك بعد شوية ..

وتذهب ناهد وتصرخ :

— اطلع له لوحدى ..؟

ويرد ممدوح :

— آه يا ستى .. وفيها ايه .. علشان تقدرى تقنعيه ..

وتصرخ :

— أطلع لراجل .. فى أوده .. فى لوكانده .. لوحدى ..

ويقول وهو يتجاهل صراخها :

— دى أوده بصالون .. يعنى يقدر يستقبل فيها الزوار .. وما حدش عارف انت رايحه فين ..

وتنظر اليه فى سخط وقرف :

— وانت راضى بكده ؟..

ويقول :

— يا ستى ده شغل .. فيها ايه دى بس ..

وتقول باحتقار :

— انت عارف كويس فيها ايه .. وعارف كويس هو عايز منى ايه ..

ويقول :

— أنا مطمئن لك يا ناهد .. وبعدين ده راجل أد جدك .. و ..

وتقاطعه وهى تنظر اليه ساخرة فى حقد :

— كده .. طيب أطمئن .. واعتبر نفسك انتقلت باريس ..

وتفتح باب السيارة ، وتنزل منها ، ثم تغلق الباب وراءها فى عنف كأنها تصفع به زوجها ممدوح ..

***

ناهد فى مصعد اللوكاندة وحدها .. مقطبة .. غاضبة ... وتنهمر الدموع على وجنتيها .. ثم ترفع رأسها ويبدو فى عينيها أنها أتخذت قرارا ، ثم تلتفت الى مرآة المصعد وتمسح دموعها ، وتفتح حقيبتها لتخرج علبة البدرة وأصبع الروج .. ويقف المصعد .. فتضغط على زر ليستمر فى الصعود الى أن تنتهى من وضع الماكياج ، وتسوى شعرها ، وتبتسم ابتسامة كبيرة كأنها تدرب نفسها على الابتسام ، ثم تضغط على زر لينزل المصعد ثانية الى الدور الذى يقيم فيه عباس بك .

***

ناهد تدخل غرفة عباس .. ويستقبلها بفرحة وجشع .. وتقول له انها سبقت زوجها لأنها تريد أن تحدثه فى موضوع خاص .. ويشدها من ذراعها ويجلسها على أريكة وهو بجانبها ويلف ذراعه حولها وهو يقول :

— ده أنا اللى نفسى من ساعة ما شـــفتك انى أشوفك فى موضوع خاص ..
ثم يلقى شفتيه على خــدها ويقبلها ، وهى تزيحه برفق وهى تضحك قائلة :
— نتكلم الأول ..
وتقول له انه مضى عليها ســنتان فى مراكش وأنها تتمنى ان تنتقل الى باريس ، وتقول له أسبابا كثيرة ويرد عليها :
— ده نفسى أنقلك معايا ..
وتقول ضاحكة :
— ما ينفعش الا فى باريس .. على الأقــل هناك ما حــدش شايفنا ..
ويقول :
— خلاص يا ستى .. باريس ..
وينحــدف عليها ، وتتركه يقبلها فى شفتيها ، وهى قرفانة ساخطة ، ثم يحاول أن ينزع ثوبها ، ويمددها على الأريكة ، ولكنها تقاومه ، وتقوم من على الأريكة وهى تقول ضاحكة :
— لا .. هنا ما ينفعش .. فى باريس .. هنا ماليش نفس..
ثم تقوم وتبدأ تعد له كأسا من الويسكى من البار المقام داخل صالون الحجرة ، حتى تشــغله عن مطاردتها .. ويسمع جرس الباب ..
وتقول ناهد فى جزع :
— يا خبر .. ده لازم ممدوح ..
ثم تتظاهر بأنها تسوى نفسها ، وتقول لعباس كأنها خائفة :
— باين على حاجة ..
ويقول عباس ضاحكا :

— ولا باين ولا حاجة ..
ويذهب ويفتح الباب .. ويدخل ممــدوح .. ويقول لــه عباس ان ناهد كانت فى انتظاره وأنها سلته بأن روت له كل أخبار المجتمع المراكشى .. ستات ورجالة ..
ويرد ممدوح :
— ما هى أختك يا عباس بيه .. والحقيقة كل مجتمع مراكش فى ايد ناهد ..
وتقول ناهد :
— مش بس كده .. أنا أقنعت عباس بيه انه ما يسافرش بكره ، ويقعد معانا كمان يومين ..
ويقول عباس وهو يناول ممدوح كأس ويسكى :
— بالمناسبة يا أخ ممدوح . الحقيقة ان نجاحك هنا والمكاسب اللى حققتها للشركة خلتنى أفكر انك تمســك مكتب باريس .. انت عارف ان اليومين دول مالناش حد هناك .. ايه رأيك ؟..
ويقول ممدوح فرحا :
— اللى تأمر بيــه يا عباس بيه .. أنا فى خدمتــك .. وزى ما بيقولوا فى السفر خمس فوائد ..
ويرد عباس ضاحكا وهو ينظر الى ناهد :
مش خمسة .. قول عشرة .. عشرين .. دى فوائد السفر ما بتخلصش ..

***

ناهد وممدوح يعودان الى البيت ..
وناهد تتجه الى ابنتها .. وممدوح وراءها قائلا :
— تعالى أبوسك يا حبيبتى ..

وتنظر اليه ساخرة فى احتقار ..

ــ ما تبوسنيش هنا .. فى باريس .. أنا هنا مش طايقاك .

***

باريس ..

وتبدأ ناهد حياتها فى باريس بشخصية جديدة بعد أن كشفت عن أطماع زوجها واستعداده لأن يبيعها فى سبيل أطماعه .. فهى الآن تفرض ارادتها عليه .. وتتصرف بحرية كأنها هى كل شيء ، وعندما يعترض تجادله ساخرة .. وفى احدى الليالى كانت ترقص مع شاب فرنسى فى مرقص عام دعيت اليه مع زوجها .. وعندما عادا الى البيت صرخ زوجها ممدوح معترضا على الطريقة التى كانت ترقص بها وردت عليه بهدوء ساخرة :

ــ الشغل عايز كده ..

ويصرخ ممدوح :

ــ شغل ايه .. ده واد ما يسواش تكلة ..

وتقول ساخرة :

ــ لا .. يسوى .. أنا بقيت افهم فى الشغل زى ما أنت عارف ..

وتنطلق فى حريتها وممدوح لا يستطيع أن يسيطر عليها الى أن يستسلم لها ..

وعباس بيه يتردد على باريس وتخرج معه وتطوف به باريس ومحلات باريس وتتركه يغازلها ، وان كان دائما يشكو من أنها لا تعطيه ما يريد ، ويقول يوما :

ــ أنا بيتهيألى ساعات انك ضحكت على .. انما من كتر ما انا نفسى فيكى بنسى انك بتضحكى على ..

وترد ضاحكة :

ــ هو فيه حد يقدر يضحك عليك يا عباس بيه ..

تقترح ناهد على زوجها أن يطلب تعيين أخيها الذى تخرج من كلية التجارة فى مكتب الشركة فى باريس .. ويعترض زوجها ويثور فهو لا يستطيع أن تعرف الشركة انه يعين شقيق زوجته .. انه غير موافق .

وتبتسم ناهد فى سخرية :

ــ أظن عباس بيه يمكن يوافق ..

ويعين شقيقها معها فى الشركة ، ثم يأتى أبوها وأمها وشقيقها الآخر لزيارتها وتستطيع أن تدخل أباها فى مشروعات تجارية عن طريق الشركة ..

وتبدو العائلة كلها وهى ترى باريس لأول مرة .. مبهورة .. فرحة .. وناهد التى أصبحت تعرف باريس كلها تطوف بأمها فى الشوارع والمحال .. وأمها التى لم تترك القاهرة من قبل تبدو مبهورة الى حد العبط .. وتضحك ناهد ..

ويعترض ممدوح على أن دعوة ناهد لعائلتها كلها تكلفه كثيرا .. لم يعد يحتمل كل هذه المصاريف ..

وترد ناهد ساخرة :

ــ اطمئن .. ما تخافش من المصاريف .. انا بقيت أعرف حتى فى المصارف ..

***

وتقرر ناهد أن تحمل مرة ثانية ..

وتحمل ..

وتدفعها فترة الحمل الى حالة من الهدوء ، وتقلل من نشاطها وخروجها ، وتستعيد احساس الأمومة كاملا ..

ويفرح ممدوح لأنها حملت ، ويقول لها ان المولـود الجـديد سـيكون بشرى خير ويجعلها تبـدل من حياتها وتعود كما كانت ست بيت .. مطيعة .. تسمع كلام زوجها ..

وترد ناهد ساخرة ..

ـ أنا قررت أخلف علشان ما اسيبش بنتى نيفين اوحدها .. اجيب لها أخ أو أخت .. ما بخلفش علشان خاطرك .. وماتنساش ان كل اللى باعمله .. وكل حياتى .. لانى سمعت كلام جوزى .

ويخرج ممدوح من الغرفة غاضبا ..

وتسرح ناهد .. ويبدو على وجهها مسـحة مسكينة كأنها تستعيد كل حياتها .. ثم تبدو فى خيالها صورة حبيبها علاء .. وتبتسم لها ..

***

علاء فى بيته يدخل على أمه فرحا صائحا :

ـ نجحت .. البكالوريوس .. ممتاز .. أول المتازين .

***

ناهد تلد .. وتضـع طفلة أخرى .. والطفلة توأوأ .. واء .. واء ..

***

علاء فى البيت مع أمه :

ـ ماما .. أنا رايح بعثـة .. اختارونى فى بعثة لباريس .. يعنى حاأسافر كمان شهر ولا شهرين ..

***

ناهد فى بيتها فى باريس .. جرس التليفون .. ناهد ترفـع السماعة ..

ـ آلو .. مش معقول .. مش ممكن ..

ثم تصرخ :

ـ عـلاء .. عـلاء .. جيت امتى .. انت فين . استنانى عندك .. جايه لك حالا ..

وتلتقى ناهد وعلاء فى باريس لقاء اللهفة والشوق الكبير .. وناهد تحس أن الشيء الوحيد النظيف فى حياتها هو حبها لعلاء .. حب العمر الطويل .. ويروى لها علاء كل أخبـاره .. وتروى له أخبارها .. ويسألها :

ـ هل هى سعيدة ..

وتجيب ناهد وهى تتحدث فى أسى :

ـ أنا اتغيرت كتير يا علاء .. شفت حاجات كثيرة .. عملت كل اللى أنا عايزاه .. انما السـعادة .. ما أعرفش .. أنا تايهة ياعلاء ..

ويتناولان الغداء معا ..

وتصحبه ناهد فى كل انحاء باريس كما يرى العشاق باريس .. محلات وأماكن أخرى غير المحلات التى تعودت أن تتردد عليها مع زوجها خـلال الدعوات .. الأماكن الهـادئة .. البعيدة .. الجميلة .. التى يبدو فيهـا رقـة باريس ، وتاريخ باريس ، وحضارة باريس ..

وتصحب ناهد علاء الى بيتها ، ويستقبله ممـدوح فى برود ولا يعطيه فرصة ليصادقه .. وتقدم له بنتيها .. نيفين ونجوى .. انها تحب حرف النون لذلك اختـارت لهما أسـماء نونية كاسمها ..

وفى يوم ..

وهما جالسان ملتصقان تحت شجرة منزوية فى غابة بولونيا .. تقترب شفاهما فى قبلة مستمرة تأخذ كل كيانهما .. انها أول قبلة يتبادلانها بكل ما فى القبلة من أحاسيس ..

وفجأة تدفعه ناهد وتقوم واقفة وتبتعد عنه فى خطوات سريعة ..

ويلحق بها علاء ، ويقف بجانبها وفى عينيه حب ورجاء .. ويهمس :

ــ دى أول مرة أحس انك بقيتى بتاعتى .. كلك لى ..

وتقول ناهد والدموع تملأ عينيها :

ــ ما أقدرش يا علاء . بلاش .. انت مش عارف أنا اتغيرت أد ايه .. وشفت ايه .. وعملت ايه .. الحاجة الوحيدة اللى ما اتغيرتش فى هى حبك .. حبنا .. مش عايزة حبنا يتغير ويبقى زى اللى شفته من غيرك .. انت قلت مرة ان حبنا فى دمنا . وانا متهيالى أن لو سبت نفسى حاسيح دمى .. حاسيح حبى .. حايبقى حبنا مجرد بوس وحضن وراجل وست .. صدقنى ياعلاء .. وساعدنى ..

ويقول علاء وكله حب :

ــ أنا زمان ما كنتش قادر أوعدك بالجواز لأنى ما كنتش عارف مستقبلى .. النهارده أقدر أوعد بالجواز لأنى بقيت فى حالة تضمن لى أيامى ..

وترد ناهد بين دموعها :

ــ أنا اللى النهارده ما أقدرش أوعد بالجواز لأن فيه مستقبل تانى ما أقدرش أعرفه . مستقبل البنتين .. بناتى . ما أقدرش .. ما أقدرش .. أنا اتعذبت كتير يا علاء ، مافيش فى حياتى

حاجة حلوة ونظيفة وباسعد بيها الا حبنا ، وعلشان يفضل حلو ونظيف ، نفضل زى ما أحنا ..

علاء فى حيرة :

ــ ازاى يا ناهد .. أنا عشت طول عمرى بيكى ولكى .. أنا نجحت علشانك .. وجيت البعثة علشانك ..

وتقول ناهد وهى تنظر اليه كأنه تودعه :

ــ لو ما كنتش باحب كنت لعبت .. لعبت معاك وبيك زى مالعبت كثير .. وطول ما انت هنا وانا خايفة .. خايفة على حبنا ما يبقاش زى ما اتعودناه .. يبقى لعب .. ما يبقاش فى دمنا ، يبقى فى الأرض .. وانت حاتقعد هنا تلات سنين ، وأنا طلبت اننا ننتقل من باريس .. وحاننتقل .. بكره . بعده . مش حاتشوفنى .. حاسيبك تانى يا علاء .. حاسيبك وحبك فى دمى .. حا أخدك معايا جوه عروقى .. حاسيبك لأن حبنا ما يقدرش يعيش الا جوانا .. ما يقدرش يعيش فى الدنيا .. ما يقدرش يعيش على الأرض .. وتلقى نفسها وهى واقفة فوق صدره .. ثم ترفع رأسها اليه والدموع فى عينيها ، ثم تقبله قبلات كثيرة سريعة، ثم تبتعد عنه وتجرى ..

وعلاء يصيح وراءها :

ــ ناهد .. ناهد ..

ويخفت صوته ، ويسقط رأسه على صدره يائسا ، ويهمس:

ــ ناهد .. ناهد ..

***

ناهد تقود سيارتها فى شوارع باريس .. وهى سرحانة هائمة تستعرض كل حياتها فى خيالها ..

وتبدو صورتها فى بيروت مع سليم ..

وصورتها فى الكويت ٠٠

وصورتها مع ممدوح ٠٠

وصورتها فى الدار البيضاء ٠٠

وصورتها مع عباس بك ٠٠

وصورتها فى باريس ٠٠

وصورتها فى القاهرة وهى طالبة مع علاء ٠٠

مع اختلاف حالتها ومواقفها فى كل صورة من الصور ٠٠

وتهمس ناهد بينها وبين نفسها :

ـ أنا تايهة ٠٠ تايهة فى العالم كله ٠٠ تايهة ٠٠

وأصوات أبواق السيارات ترتفع وراء وحول سيارتها فى ضجة وعنف ٠٠ ضجيج وعنف العالم كله ٠

كلمة

قصة « البحث عن ضابط » كتبتها كعمل سينمائى لاسجل بها المعركة الشعبية التى تحركت مع الجيش المصرى فى مواجهة الاعتداء الثلاثى على قناة السويس الذى اشتركت فيه بريطانيا وفرنسا واسرائيل عام ١٩٥٦ ووصل الى احتلال سيناء ومدينة بور سعيد وتوقف قبل أن يصل الى احتلال السويس ٠٠

وجميع حوادث هذه القصة السينمائية واقعية ٠٠ حدثت فعلا ٠٠ فقد قامت الطائرات المعادية بغارة على سجن أبى زعبل فعلا ٠٠ وقصة الكلب « مورفى » هى قصة حدثت فعلا ٠٠ وحدث فعلا أن اختطف الفدائيون الضابط البريطانى « مور هاوس » وهو من أفراد العائلة الملكية البريطانية ، وصرخت أيامها كل صحف بريطانيا تطالب بالبحث عن هذا الضابط وانقاذه ، والوسيلة التى تم بها خطف الضابط ثم قتله وتهريب جثته هى فعلا الوسيلة التى صورتها فى هذه القصة ٠٠

وقد اخترت اسم « البحث عن ضابط » تسجيلا لهذه الحادثة، ولكنه كان اسما مؤقتا وكنت أفكر فى تغييره بعد أن يبدأ تصوير الفيلم ٠٠

ولكن التصوير لم يبدأ ٠٠

واذا كانت هذه القصة لم تسرق من أدراج مؤسسة السينما

لاستغلالها تحت اسم آخر ، فانى ما زلت أتمنى أن تنتج السينما
مثل هـذه القصة حتى نذكر الشعب فى معركتنا الحاليـة مـع
اسرائيـــل ، بما كان يقوم به الشعب فى معركتنا الســابقة مع
ثلاث دول ..

احسان ..

البحث عن ضابط

عام ١٩٥٦ .. وبعد أربعة أيام من نزول القوات البريطانية ـ الفرنسـية ، فى بور سعيد ، قررت قيادة القوات المعتدية ضرب محطة الاذاعة المصرية بقنابل الطائرات لاسكاتها .. وكانت الاذاعة هى الصوت الوحيد الذى يصل بيننا وبين الشــعوب العربية والصوت الوحيد الذى يلتف حوله الشعب ليتلقى أنباء الاعتداء، وليتزود منه بالحماس وتوجيهات القيادة المصرية .. فاذا سكت هذا الصوت ، انعزل الشعب عن بقية الشعوب العربية ، وانعزل عن قيادته فى الداخل ..

وأغارت الطائرات البريطانية على محطة الارسال فى أبى زعبل.

وضربتها بالقنابل ..

وضربت معها أيضا مبنى سجن أبى زعبل ..

وسكت صوت مصر فى الداخل والخارج لبضع ساعات .. سكت فى البيـوت ، وفى الميادين ، وفى الحقول والصـحارى ، وأصبحت آلات الراديو صناديق خرساء ..

وصاح المذيع فى محطة « اذاعة دمشـــق » هنا القاهرة .. وأعلن أن محطة دمشق ستذيع باسم القاهرة الى أن يتم اصــلاح محطة الارسال المصرية ..

وهرع مهندسو الاذاعة الى أبى زعبل ، واستطاعوا بعبقرية خارقة أن يعيدوا الارسال بعد بضع ساعات ·· وانطلق صوت مصر ـ صوت جمال عبد الناصر ـ فى البيوت وفى الميادين ، وفى الحقول والصحارى ·· والناس تهلل فرحة ، وتهتف فى حماس ·· لقد كانت عودة الارسال ، انتصارا كبيرا أعاد للمعركة حياتها وقوتها ··

وتهدم سجن أبى زعبل ··

وساد الذعر وسادت الفوضى بين جنود السجن والمساجين·

ولكن روحا انسانية ووطنية عالية جمعتهم جميعا ·· ان الجنود يفتحون أبواب الزنزانات الباقية ليخرج منها المساجين احرارا ·· والمساجين ينقلون ضابط السجن من تحت الأنقاض ، ويسعفون السجانين ·· ولا أحد منهم يهرب ·· ان السجن مهدم ·· والأسوار أصبحت أنقاضا ·· والأبواب كلها مفتحة ·· ولا أحد يهرب ··

وعلى مقربة من أنقاض السجن ·· على تل من الرمال ·· جلس سبعة من المساجين الذين حررهم الاعتداء بملابسهم الزرقاء ·· السبعة من عتاة المجرمين محكوم على كل منهم بالأشغال الشاقة المؤبدة فى جرائم قتل واغتصاب ·· والسبعة فى صمت ·· جالسون القرفصاء على طريقة المساجين ورؤوسهم بين أيديهم ··

ورفع عبد الله رأسه قائلا :

ـ ما تقولوا لنا حانعمل ايه ؟

ورفع الباقون رؤوسهم ، وقال الوحش :

ـ كل واحد يروح يشوف حاله ·· خلاص ·· احنا بقينا احرار ··

وقال العتر :

ـ الحرية اللى تيجى على خراب البلد ما تبقاش حرية ··

وقال حمدان محمدين :

ـ يعنى نرجع السجن برجلينا ؟

وقال عبد الله :

ـ أشرف وأجدع ··

وسادت فترة صمت ، ثم عاد العتر يقول :

ـ ده صحيح يا رجالة ·· لو رجعنا السجن يبقى أشرف وأجدع ·· وانما برضه ناخدها بالعقل ·· دلوقتى حانرجع السجن حانعمل ايه ·· حانقطع حجر ·· بس ده وقته يا رجالة نقطع حجر ·· ده فيه انجليز قاعدين يضربوا فى البلد ·· نسيبهم يعنى يضربوا فى البلد ·· ولا بعنى علشان ماحنا مساجين ·· طيب أهم هدوا السجن دول هدوه على دماغنا ·· يعنى لولا ارادة الله كان زمانا فى رحمته ·· أنا رايح بور سعيد يا رجالة ·· وبعدما أدبح كام انجليزى ·· حارجع السجن ·· برجليه واللى خلق الخلق ·

ويقول عبد الله :

ـ كلام معقول يا جدعان ·· واحنا يعنى باقيين على ايه ·· الواحد منا يروح يا قاتل يا مقتول ··

ويقول حمدان :

ـ تصدقوا بالله ، أنا باديه دول خدت روح تلاته جونى أيام ما كانوا فى القنال· كان الشغل أيامها كتير ·· المعسكرات ماكنتش بتخلص ·· نشيل أو مانشيل ·· ولسه ·· اللى عايز يشيل يشيل ··

ويستمر الحوار بين المساجين السبعة ·· ويقرر واحد منهم أن يبقى فى السجن ·· لقد مضى عليه فى السجن عشر سنوات ·· أصبح السجن دنياه التى لا يستطيع أن يعيش خارجها ·· ويقرر

آخر أن يفر ويذهب الى بلده فى أعالى الصعيد ليأخذ بثأره ..
ويقرر الخمسة الباقون أن يتوجهوا الى بور سعيد ليشتركوا فى المعركة ضد المعتدين ..

وبقية المساجين يرفعون أنقاض السجن .. وواحد منهم يصلح باب زنزانة ، ثم يدخل فيها ويغلق الباب على نفسه ليجربه ، ويبدو وجهه من بين قضبان الباب ..

والخمسة المساجين يبتعدون فى الصحراء .

ويضطر الخمسة أن يجعلوا خط سيرهم بعيدا عن القرى . حتى لا يظهروا أمام المواطنين بثياب السجن ، ويضطرون أن يسرقوا غذاءهم خلال الطريق . ولكنها سرقات انسانية يحاولون الا يؤذوا أحدا بها .. الى أن يصلوا الى بلدة المنزلة ..

ويتسلل الخمسة الى نقطة تجمع مصرية تقع على البحيرة ، ويختبئون بين الحشائش ليلا ثم يمر بهم محمود وهو أحد الفدائيين ، فيمد « العتر » يديه فى الظلام من بين الحشائش ، ويمسك بقدميه ، فيقع الفدائى على الأرض .. ويخرج العتر ويلقى بنفسه فوق الفدائى ولكن الفدائى محمود يزيحه بقدميه من فوقه ، وتدور بينهما معركة عنيفة تثبت مهارة الفدائى فى الدفاع عن نفسه . ولكن بقية الخمسة يخرجون من بين الحشائش ، وبعد معركة سريعة بالأيدى ، يستسلم الفدائى ..

ويقول العتر :

— حيلك يا سيدنا الأفندى .. احنا عايزين نتفاهم بالمفهومية .. حضرتك يعنى ، ولا مؤاخذه تبقى مين ، وجاى منين ، ورايح فين ؟

وينظر الفدائى اليهم وهم بملابس السجن ، ثم يقول :

— أنا من قوة الفدائيين ..

ويقول حمدان :

— بيجوا ايه بأه الفدائيين دول ؟

ويقول عبد الله وهو يضع يده على جنبه أثر ضربة من الفدائى :

— يبقوا آخر مجدعة ..

ويقول العتر :

— تشرفنا يا سيدى فدائى .. ممكن بقى تعمل فينا معروف ؟

ويقول الفدائى :

— خير ..

ويقول العتر :

— تدلنا ندخل بور سعيد ازاى .. أصل لا مؤاخذه ، نادرين ندر هناك ..

ويعود الفدائى ينظر اليهم ويقول بعد تردد :

— تعالوا معايا ..

ويقول عبد الله :

— على فين باذن الله ؟

ويقول الفدائى بحزم :

— تيجوا معايا وخلاص .. من غير اسئلة .

ويقول العتر :

— ماشى كلامك ..

ويسيرون معه الى مركز التجمع على طرف البحيرة .. وهو يشبه قرية من قرى الصيادين مكون من عدة أخصاص من القش والطين .. ويسوده نشاط صامت .. أغلب من فيه يلبسون ملابس الصيادين .. وفى عشة نجد مخزنا للسلاح .. وفى عشة أخرى مطبعة صغيرة تطبع المنشورات . وبعض الرسامين يرسمون لوحات مثيرة لتطبع فى أفيشات .. وفريق يحشون السمك

بالمنشورات .. وأحدهم يفتح جسم سمكة كبيرة ويضع فى داخلها مسدسا ثم يعيد تخييطها .. وبعضهم يضع أسلحة ومنشورات فى سلال السمك ثم يضع السمك فوقها .. حركة كبيرة .. لكنها صامتة .. وعلى سطح البحيرة تقف عدة مراكب صيد بعضها مراكب كبيرة وبعضها صغيرة ، ويغطى سطح البحيرة طبقة من الشبورة ..

ويقود الفدائى المساجين الخمسة داخل المركز وهم يلتفتون حولهم فى دهشة ، ولا أحد يلتفت اليهم فكل واحد منهمك فى عمله ..

ثم يدخل الفدائى ومعه المساجين الخمسة الى أحد الأكواخ..

وفى الكوخ يقف الصاغ عبد الحميد مرتديا قميصا وبنطلونا مدنيا ، ومعه اليوزباشى رفعت وهو يبدل ثيابه ويرتدى ثياب الصيادين ..

ويرفع الفدائى يده بالتحية العسكرية قائلا :

ــ دول وصلوا جديد يا افندم ..

وينظر الصاغ عبد الحميد فى وجه كل من المساجين الخمسة .. كل وجه قاس عنيف ، ويبدو على الشاشة وفى عينى كل منهم نظرة تحفز واستهتار .. ويقول الصاغ عبد الحميد :

ــ الحمد لله على السلامة .. هربتم امتى ..

ويقول العتر فى تحد :

ــ ما هربناش .. السجن هو اللى انفتح ..

ويهز الصاغ عبد الحميد رأسه وعلى شفتيه ابتسامة ترحيب، ثم يقول لليوزباشى رفعت :

ــ لبسهم .. ثلاثة منهم يطلعوا فى الدفعة بتاعة الفجر .. والباقى يطلعوا فى الدفعة التانية .. ثم يهمس فى اذنه :

ــ دول لقطة ..

ثم يلتفت الى المساجين الخمسة قائلا :

ــ اسمع انت وهو .. المسألة مش فوضى .. الحماس مش كفاية .. الأوامر لازم تمشى .. ورفعت حياخد بيانات عن كل واحد فيكم ..

وينظر اليه المساجين فى استهتار ..

ويقودهم الفدائى خارج العشة .. ويسير بهم فى أزقة القرية التى تعمل فى الظلام والصمت ..

ويقول السجين حسنين :

ــ أوامر ايه ياخويا .. هو احنا نسيب الأوامر نيجى نلاقى أوامر ..

ويرد عليه العتر :

ــ ابسط يا عم .. بقيت عسكرى ..

ويلمح عبد الله على ضوء مصباح خافت ، داخل احدى العشش ، فتاة ــ نادية ــ وهى تعمل فى طبع المنشورات على آلة رونيو .. وينظر اليها نظرة سريعة ، ثم يعود ينظر اليها نظرة ثانية فى دهشة .. ويهمس حمدان فى أذنه وقد لمح نادية :

ــ ده فيه نسوان هنا ..

ويرد عبد الله وهو منبهر :

ــ آه ..

ويعود عبد الله يقول :

ــ والنسوان بتعمل ايه هنا ..

ويقول حمدان :

ــ والله ما أنا عارف .. يمكن هما كمان بيحاربوا الانجليز ..

ويصل بهم الفدائى الى عشة أخرى يدخلونها .. ويفتح صندوقا فيه مجموعة من ملابس الصيادين ، ويقول لهم :

— كل واحد يدور على مقاسه .. ويلبس زى ما بيلبس الصيادين ..

ويخلع الجميع ثياب السجن فى فرح .. ثم يهجمون على الصندوق وكل منهم يقيس شيئا من الملبوسات يتضح انه ليس على مقاسه .. ووجوههم القاسية المجرمة تشقها ابتسامة مخيفة .. ثم يبداون فى الشجار بعضهم مع بعض .. شجار عنيف .. الى ان يصرخ فيهم العتر :

— جرى ايه يا رجالة .. احنا حانضرب بعض ولا حانضرب الانجليز ..

وتنتهى المشاجرة ..

والوحيد الذى لم يشترك فيها هو عبد الله .. وهو رغم الملامح القاسية الجامدة التى ترسم وجهه من طول ما عاش فى السجن ، الا أنه يبدو مختلفا عن الآخرين .. انه على قدر من الثقافة .. وأكثر هدوءا .. وصمتا .. ويرتدى الجميع ثياب الصيادين ..

ويخرج الصاغ عبد الحميد من عشته مرتديا القميص والبنطلون ومعه اليوزباشى رفعت مرتديا زى الصيادين ويتجه الى مركب بخارى صغير من مراكب الصيادين يرسو على شاطىء البحيرة ..

وكل من فى القرية يشترك فى تحميل المركب بأسبتة السمك المحشو بالمنشورات ، والأسلحة .

وتخرج نادية من عشتها وهى مرتدية زى فلاحة وتجرى لتلحق بالمركب ..

ويتقدم المساجين الخمسة ، ويقول لهم اليوزباشى رفعت :

— ثلاثة منكم بس هم اللى يطلعوا ..

ويتزاحم الخمسة ليصعدوا الى المركب سويا ..

وتكاد تنشب بينهم معركة أخرى ، ولكن العتر يسكتهم ، ثم يتقدم من الصاغ عبد الحميد قائلا :

— أصل احنا لمؤاخذه كلنا كده على بعضنا بيمه واحدة .. آه .. واكلين عيش وملح سوا .. عشر سنين واللى خلق جنابك.

ويفكر عبد الحميد قليلا .. ثم يقول :

— طيب اطلعوا ..

ويفرح الخمسة ..

ويقول رفعت لعبد الحميد :

— والله أنا خايف من الجماعة دول ، تلاقيهم رايحين يسرقوا .. و ..

ويقاطعه عبد الحميد :

— لو سرقوا حايسرقوا الانجليز .. ولو قتلوا حايقتلوا الانجليز ..

ويقول رفعت :

— ده كل واحد فيهم محكوم عليه بمؤبد .. ما يمكن يكونوا بيفكروا يهربوا من مصر بعدما يتفقوا مع الانجليز ..؟

ويقول عبد الحميد :

— ما أظنش ..

ويلمح السجين عبد الله نادية وهى جالسة على أرض المركب .. وتعود الى عينيه النظرة الغريبة المبهورة ويجلس بعيدا عنها ساكتا ..

ويتحرك المركب وسط الضباب الذى يغطى سطح البحيرة ..

ويجلس الصاغ عبد الحميد فى مقدمة المركب ، ويقول بصوت هامس ولكن فى لهجة حازمة :

— اسمع انت وهو ، لو وقفنا فى نقطة مراقبة انجليزية

ماحدش فيكم يتحرك .. ولا يتكلم .. ما تنسوش انكم صيادين . لو حد فيكم احتك بالانجليز ولا نطق كلمة ، رحنا كلنا .. فاهمين .. ثم يلتفت الى ريس المركب قائلا :

ـ على بركة الله يا ريس ..

ويبتسم الريس فى ثقة .. وهو ريس صيادين فعلا ..

ويستمر المركب فى تقدمه وسط الضباب ..

ساعة ..

ساعتين ..

وكل من عليه صامت ..

وعبد الله ينظر الى نادية ، ويعود ويرخى عينيه ..

ويقول حمدان هامسا وهو يحاول أن يضحك :

ـ على الأقل فى السجن كنا بنعرف نتكلم ..

وينهره العتر :

ـ هس ..

وفجأة يرتفع صوت من على الشاطىء :

ـ وقف عندك ..

ثم صوت تعمير مدفع برن ..

ويعود الصوت صارخا :

ـ وقف قبل ما نضرب ..

ويهمس عبد الحميد لرفعت :

ـ سمعت .. عمروا البرن ..

ثم يلتفت الى ريس المركب قائلا :

ـ وقف يا ريس .. ادخل على الشط ..

ويقول العتر :

ـ دول انجليز ..

ويتحفز حمدان قائلا :

ـ انجليز .. لايمنى عليهم ..

وتتسع عينا نادية فى نشاط وتحفز ..

ويهمس عبد الحميد فى حزم :

ـ كل واحد فى حتته أوعى يتحرك ..

ويقترب المركب من الشاطىء ..

ويصيح صوت :

ـ كله ينزل من المركب ..

وينزل عبد الحميد ورفعت ليواجها ضابطا انجليزيا سكران وحوله مجموعة من العساكر الانجليز .. وبمجرد نزولهم يعمر جندى آخر مدفعا آخر من مدافع البرن ، فيلتفت عبد الحميد ناحية صوت التعمير بحركة تلقائية .. وينظر اليه الضابط الانجليزى ويصرخ فى وجهه :

ـ انت ضابط ..

ويقول عبد الحميد :

ـ أبدا .. لا ضابط ولا حاجة .. ده أنا مهندس .. وعيلتى كلها فى بورسعيد ورايح أشوفهم .. والانجليز ناس جنتلمان .. ما يصحش يسيبوا عيلتى لوحدها ..

ويعود الضابط الانجليزى يصرخ :

ـ انت ضابط ..

ويقول عبد الحميد :

ـ ضابط مين بس يا خواجا .. ده أنا مهندس ومتعلم عندكم فى لندن ..

ويقول الانجليزى السكران :

ـ أنا مش مغفل .. انت ضابط .. لأنك عرفت صوت تعمير البرن ..

ثم يلتفت الى رفعت قائلا :

ـ انت مش ضابط .. انت فدائى ..

ثم يضربه بالقلم .. ويصيح رفعت :

ـ يا ابن الذين ..

ويتحرك ليهجم على الضابط الانجليزى ولكنه يمسك أعصابه، ويقول فى لهجة الصيادين :

ـ جرى ايه يا خواجا فدائى ايه .. انا صياد سمك ..

ويصفعه مرة اخرى قائلا :

ـ انت فدائى ..

ويقترب من ريس المركب وينظر فى وجهه فيقول الريس :

ـ مش فاكرنى ولا ايه .. وما أنا رايح جاى قدامك كل يوم.

ثم يشير الى رفعت :

ـ وده كمان من رجالتى .. رايح جاى معانا .. ماتسيبونا ناكل عيش .. انتم مش بتقولوا جايين تنقذونا .. طيب ما تنقذونا بأه ... الله يخرب بيوتكم ..

ويبتسم الضابط الانجليزى قائلا :

ـ انت كويس كتير ..

ثم يلتفت الى جنوده قائلا :

ـ فتش ..

ويهجم جندى على عبد الحميد ويفتشه ، ويأخذ ساعته والنقود التى يحملها ، حوالى مئتى جنيه .. وجنود آخرون يفتشون باقى الركاب .. ويفتشون المركب .. ويضعون السنكى فى السلال التى تحمل المنشورات تحت السمك ..

ويقترب جندى من نادية ليفتشها فتزيحه فى حركة بلدية ، وهى تصرخ فى لهجة ريفية :

ـ شيل ايدك روح هات مراتك تفتشنى ..

ويضحك الجندى الانجليزى ..

ويتحفز عبد الله ليهجم عليه ، ولكن العتر يلمس ذراعه ، وهو يهمس فى أذنه :

ـ خليك تقيل .. ما هو لو زودها مش حانسكت ..

وينضم جندى آخر الى الجندى الاول ويضحكان على نادية ، فتجرى نادية وتقف وراء عبد الحميد ..

ويقول عبد الحميد للضابط الانجليزى :

ـ عيب ياكولونيل .. الانجليز جنتلمان .. و ..

ويصيح الضابط فى جنوده :

ـ فيه سلاح ؟..

ويقول الجاويش :

ـ لا .. ما فيش سلاح ..

وينظر الانجليزى فى وجه عبد الحميد قائلا :

ـ أنت ضابط ..

ويقول عبد الحميد :

ـ ما قلنا مش ضابط .. مهندس يا ميجور .. مهندس ..

ويقول الانجليزى :

ـ طيب يللا ..

ويقول عبد الحميد :

ـ والفلوس .. فلوسى ..

ويرد الضابط :

ـ ما فيش فلوس ..

ويقول عبد الحميد :

ـ أما ولاد حرامية صحيح ‥ فلوسى يا خواجه علشان عيشتى اللى فى بور سعيد ‥ دول تحويشة العمر ‥

ويرد الضابط :

ـ ما فيش فلوس ‥

ثم يلتفت الى رفعت ويصفعه ‥ قائلا :

ـ ياللا ‥

ويعود الجميع الى المركب ‥ ويقول رفعت وهو يكتم غيظه :

ـ بس أما ارجع له ابن القديمة ‥

ويقول حمدان :

ـ ياه ده اسمه كلام يا جدعان ‥ اديه بتاكلنى نفسى آخد روح ثلاثة أربعة منهم ‥

***

ويبدأ المركب سيره من جديد ‥

ويصل المركب الى الشاطىء أمام القرية الصغيرة التى تحمل اسم : « عزبة الخنازير » ، ونور الصباح قد سطع ‥ ويبدأ من عليه فى انزال حمولته . ويتجه الصاغ عبد الحميد الى جامع صغير فى القرية ويخلع حذاءه ، ويدخل الجامع ويصلى ركعتين ‥ ثم يقوم ويجلس بجانب شيخ يتلو القرآن فى صمت خفيض ‥ ويقول الشيخ وهو يقرأ القرآن ‥ « نمره حداشر شارع المينا الدور الثالث على اليمين ‥ ونمره خمستاشر فى شارع البلدية الدور الثانى » ثم يستمر فى قراءة القرآن ‥

ويقوم عبد الحميد من جانبه ويخرج من الجامع ‥

ويتلفت عبد الحميد الى حمدان الوحش قائلا :

ـ خليكو أنتم هنا ‥ اسألوا عن واحدة اسمها « أم الضو » وروحوا لها ‥

ويقول حمدان :

ـ نروح لها نقول ايه ؟

ويقول عبد الحميد :

ـ ازيك يا ست أم الضو ‥ الخير كتير والحمد لله ‥

ويقول الوحش :

ـ وبعدين ؟

ويقول عبد الحميد :

ـ هى حتفهم كل حاجة ‥

ويسير عبد الحميد مبتعدا ‥ بينما كل من كان على المركب يتجه فى اتجاه ‥

ويدخل حمدان ومعه الوحش الى القرية ‥ ويسأل أحد الفلاحين عن بيت « أم الضو » ويذهبان اليه ‥ بيت من الطين ملحق به عشة من الصفيح ‥ وأم الضو جالسة على الأرض تقطف أوراق الملوخية ‥ ويقول لها حمدان :

ـ ازيك يا ست أم الضو ‥ الخير كتير والحمد لله ‥

وترفع أم الضو رأسها اليهما ، وتبحلق فى وجهيهما ثم تشير اليهما فى صمت الى الفرقة الداخلية ‥ ويدخلان اليها فيجدان ثلاثة شبان ، أحدهم ينظف بندقية ، والثانى يقرأ فى كتاب «حرب العصابات » ، والثالث يربط بعض أصابع الجلجنايت فى فتيل . والثلاثة فى ثياب الفلاحين والصيادين ‥ ويقول حمدان :

ـ السلام عليكم يا جدعان ‥

ويرفع الثلاثة رؤوسهم صائحين :

ـ سلام .

***

بور سعيد ..
شارع رئيسى ..

دورية انجليزية تسير فى الشوارع بقيادة ضابط وحولها مجموعة من الأطفال يقلدون مشية العساكر .. الضابط الانجليزى يوزع قطعا من الحلوى على الأطفال تقربا اليهم كما كانت تقضى تعليمات القيادة لاكتساب صداقة الشعب ..

فجأة يعترض طريق الدورية كلب محلوق الشعر ، وقد كتب على جسده بخط عريض وباللغة الانجليزية اسم « ايدن » وعلى جانبه الآخر اسم « موليبه » ..

ويستشيط الضابط غضبا عندما يرى الكلب ، ويأمر جنوده بأن يقتلوه ..

ويصوب أحد الجنود بندقيته ويضرب ، ولكن الكلب يجرى .. ويجرى وراءه الجنود .. ويضحك أهالى بورسعيد .. ويبدو الكلب مدربا على الأعمال الفدائية .. فهو يختفى .. ثم يظهر أمام الجنود .. وعندما يجرون وراءه ويطلقون الرصاص ، يختفى مرة ثانية .. ثم يظهر لهم وهو يحاورهم .. والناس تضحك .. واحد الجنود يقع وهو يجرى وراء الكلب .. وجنديان يصطدمان ببعضهما .. و .. و . والناس تضحك .

وقد ظهر الكلب « مورفى » فى شوارع بور سعيد بعد الاعتداء وهو يحمل على جانبيه يافطتين كتب على أحدهما اسم ايدن وعلى الثانية اسم موليبه ، فرفع الانجليز اليافطتين من على جانبيه ، وأخذوا الكلب وسجنوه فى حديقة بيت القائد البريطانى .. ولكن الكلب هرب من البيت ، وبعد أيام عاد يسير فى شوارع بور سعيد وقد كتب على جسده بالزيت اسم ايدن وموليبه ، فأخذه العساكر الانجليز وحلقوا شعره حتى يزيلوا الكتابة من عليه ،

وسجنوه هذه المرة فى معسكر الجيش الانجليزى ، ولكن الكلب « مورفى » استطاع أن يهرب مرة ثانية ، ولمحه أحد ضباط المعسكر وهو يهرب ، فقرر أن يتبعه حتى يعرف صاحبه ، وركب هو ومجموعة من الجنود سيارة جيب ، وهرعوا بها وراء «مورفى» ولكن « مورفى » وقد شعر بأن الانجليز يتتبعونه استطاع أن يخفى نفسه فى حوارى وازقة بور سعيد .. وفى الليل ، وبعد أن يئس الانجليز من العثور عليه ، يخرج « مورفى » من الحوارى ، ويسير بجانب الحائط حذرا الى أن يصل الى بيت فى شارع محمد على ، ثم يصعد الدرج الى عيادة طبيب الأسنان الدكتور خليل عبد اللطيف ، ويشب بقدميه على الباب ويخبط عليه ، الى أن يفتح الباب ، ويدخل مورفى ..

وفى صباح اليوم التالى يخرج مورفى الى شارع بور سعيد وقد كتب على جسده المحلوق اسما ايدن وموليبه الى أن يجرى وراءه جنود الدورية الانجليزية يحاولون قتله (المشهد السابق)..

***

فتحية .. فتاة شقراء مثيرة تسير فى شوارع بور سعيد ، وتقابل ضابطا بريطانيا فتقف وتتحدث معه ، والضابط يغازلها ويداعبها بيديه ويحاول أن يحدد معها موعدا للقائه ..

على المقهى القريب يجلس الصاغ عبد الحميد وهو بالقميص والبنطلون .. واثنان من زبائن المقهى ينظران الى الفتاة الشقراء ، ويبصق أحدهما على الأرض ، ويقول :

ــ أصلها بنت انجليزية ..

ويرد الآخر :

— والله أبوها كان راجــل طيب ووطنى •• ما غلطش الا انه اتجوز انجليزية ، وخلف منها بنت الهرمه دى ••

ويقول الأول :

— والله الواحد متهيأ له يقوم ياخد روحها ••

ويمد العتر رأسه وهو جالس على مقعد آخر فى المقهى بعيدا عن محمود ، ويمد رأسه ويقول للاثنين اللذين يتحدثان :

— احنا فى الخدمة ••

فتحية تترك الضابط الانجليزى وتسير فى الشارع ، وكل من يصادفها من الأهالى ينظر اليها باحتقار ويبصــق على الأرض •• والصاغ عبد الحميد يتتبعها بعينيه ••

تصل فتحية الى العمارة التى تقع فيها عيادة طبيب الأسنان الدكتور خليــل عبد اللطيف •• وتصـعد وتقف أمام باب العيادة وهى تتلفت حولها ، ثم تضغط الجرس •• ويفتح لها محمود وهو يرتدى زى التومرجى •• (ومحمود هو نفسه الفدائى الذى رأيناه فى مركز تجمع الفدائيين والذى قاد المساجين الخمسة الى الصاغ عبد الحميد ••) وتدخل فتحية وتجلس فترة فى غرفة انتظـار المرضى ، الى أن يعود محمود ويستدعيها الى غرفة الكشف •• ويستقبلها الدكتور خليــل ، وتجلس على المقعد ، تفتــح فمها ، ويقول الدكتور خليل وهو ينظر فى أسنانها :

— كله كويس •• فيــه تقدم كبير •• بس الليــلة دى لازم تستريحى فى البيت •• تكونى فى البيت الســاعة ستة علشان تستريحى كفاية ••

وتنظر اليه فتحية وكأنها فهمت ••

ويعود الدكتور خليل قائلا :

— طويل •• أسمر •• بكره حانخلص •• بكره حانخلص •

وتهز فتحية رموش عينيها ، وهى فاغرة فاها والدكتور خليل تظاهر بعلاج أسنانها ••

***

شوارع بور سعيد الرئيسية ••

نادية تســير فى الشــارع •• وتقف وتشــد من حقيبتها منشورا وتناوله لأحد المارة •• ويقرأ المواطن المنشور وهو موقع بامضاء « قوات التحرير » •• ويبتسم فى فرح •• وتمر نادية على مواطن آخر وتناوله منشـورا آخر •• ثم تدخل محلا وتتظاهـر بالشراء ، وتترك على مائدة داخل المحل مجموعة المنشـورات •• ثم تخرج من المحل وتناول مواطنا آخر منشورا ••

فرغلى •• مصرى متعاون مع الانجليز •• يمر فى الشــارع وهو جالس فى ســيارة جيب يقودها عسكرى بريطانى •• يلمح نادية وهى توزع المنشورات •• فيأمر السـائق بالوقوف وينزل من السيارة ويتقدم اليها •• ولكنه ما يكاد يصل اليها حتى يظهر عبـد الله السجين فى لباس الصـيادين ، وكان طول الوقت يتبع نادية •• ويهجم على فرغلى ، ويصرخ فى وجهه :

— مش عيب عليك يا راجل ••

ويمسكه من يده ، ويرتفع النقاش ، ويتجمع الناس ، ويخاف فرغلى ، فيجرى من وسط الزحام ، ويعود الى السيارة ويطلب من السـائق الانجليزى أن يقودها بسرعة ••

***

تصل سيارة فرغلى الى مبنى القيادة البريطانية ••

والميجور ديزموند يعقد اجتماعا داخل القيادة ويحضره عدد من الضباط الانجليز ..

ويدخل فرغلى الى الاجتماع ويجلس على أحد المقاعد ..

الميجور ديزموند يقول أنه عمل فى مصر قبل الجلاء عشرة أعوام ، وأنه يعرف الشعب المصرى معرفة جيدة ، ويتكلم العربية، ويعرف أن هذا الشعب همه على بطنه ، وانه ليس متعلقا بالنظام الحاضر ، وأن المعاملة الحسنة ، وتوزيع الرشاوى والهبات ، تغنى عن محاربته .. و .. و .. ثم يطلب من فرغلى أن يركب سيارة ويطوف بشوارع البلد ويعلن بالميكروفون أن القيادة ستوزع تموين الأرز والسمن واللحم والسكر على الأهالى ، كما ستوفر العمل لكل من يطلبه ، ويعلن أن يتقدم الأهالى الى القيادة لصرف التموين لهم .. و .. و .. الخ . ويقول فرغلى ان بعض الأهالى يوزعون المنشورات ..

ويصرخ ديزموند بأن هؤلاء ليسوا سوى عدد من المجانين من السهل جمعهم ، وأن الشعب يحب الانجليز ..

مبنى القيادة من الخارج .. عسكرى انجليزى يقف داخل كشك الحراسة ..

فى منحنى من الطريق يقف شاب تحت ابطه «أفيش» وفرشاة للصق الاعلانات .. وبجانبه طفلان .. ويتحدث الى الطفلين ويشير لهما الى الجندى البريطانى .

ويتقدم الطفلان الى الجندى البريطانى ويبتسمان له ويقلدانه فى حركاته ..

ويبتسم لهما الجندى البريطانى ، ثم يخرج من جيبه بعض الحلوى يقدمها لهما ، وبينما هو مشغول بهما ، يتقدم الفدائى ،

بسرعة يلصق الأفيش على ظهر كشك الحراسة وهو أفيش مرسوم عليه صورة الشعب المصرى يشوط المعتدين بالحذاء ..

ويختفى الفدائى بسرعة ..

ويخرج الميجور ديزموند من مقر القيادة وحوله بعض الضباط ، فيلمح الأفيش ويثور ، بينما يبتسم فرغلى فى مرارة .

***

فرغلى يطوف بسيارة يعلن فى ميكروفون بأن يتقدم الأهالى الى القيادة البريطانية يطلبون العمل والتموين .. والأهالى تنظر اليه فى اشمئزاز ..

فرغلى يعود فى الساعة السادسة الى بيته فى احدى عمارات بور سعيد .. توصله اليه سيارة انجليزية .. وما يكاد يصعد السلم حتى يسمع صوت أقدام وراءه فيجرى فى فزع ، وصوت الأقدام يقترب .. ويقف أمام أحد الأبواب ويخبط عليه بيديه ، ولكن صوت الأقدام يقترب أكثر .. فيبتعد عن الباب .. ويجرى صاعدا السلم .. الى أن يصل الى سطح العمارة .. وتلحق به الأقدام التى تتبعه .. ويبدو ثلاثة .. الصاغ عبد الحميد .. ومحمود الفدائى فى زى التمرجى .. والعتر فى زى الصيادين .. ويقف فرغلى مستندا الى حائط السطح .. والثلاثة يقتربون منه فى صمت وخطوات بطيئة .. وفرغلى يرتعش .. ويخرج مسدسه .. وترتعش يده .. ثم يقع المسدس من يده ، ويبدأ فى التوسل والبكاء .. ويشير عبد الحميد الى العتر فيهجم على فرغلى ويحمله بيده ويلقى به من فوق سطح العمارة ..

جثة فرغلى ملقاة فى الشارع ..

الثلاثة يقفزون من السطح الى سطح العمارة المجاورة ..

الأهالى ملتفون حول الجثة .. وسيارة الجيش البريطانى المساحة تصل .. ويصعد الجنود الى العمارة بحثا عن الجناة ..

سكان العمارة فى فزع .. يخرجون من الأبواب ..

الضابط يأمر الجنود بتصويب مدفع ميدان على العمارة .. صراخ ..

الصاغ عبد الحميد يخرج من باب العمارة المجاورة .. ويتلفت حوله ثم يسير فى الشارع .. ويلمحه احد الضباط الانجليز ، فيجرى وراءه ومعه ثلاثة من الجنود ، ويطاردونه .. وأثناء المطاردة يسمع صوت قصف المدفع البريطانى للعمارة ..

وتستمر المطاردة ..

***

يصعد عبد الحميد على سلم عمارة بعيدة ، ويدق أحد أبوابها فتفتح له فتحية ، ويقول بسرعة :

ــ بكره نخلص ..

فتدعه فتحية يدخل بسرعة .. ويخلع ثيابه ويرقد فى الفراش .. وتشير فتحية الى شقيقتها فترقد بجانب عبد الحميد فى الفراش ..

بعد قليل تسمع دقات سريعة على باب بيت فتحية .. وتفتح الباب .. ويبدو وجه الضابط الانجليزى .. وهو نفس الضابط الذى رأيناها تحادثه فى الطريق .. وتتظاهر فتحية بأنها تعتقد أن الضابط جاء لمغازلتها ، وتقول له انه لا يستطيع أن يأتى الى بيتها الآن لأن أختها وزوجها ينامان فى الداخل .. ويدخل الضابط رغم هذا ويدخل خلفه الجنود ..

ويفتح حجرة النوم فيرى أخت فتحية وعبد الحميد متعانقين ويقبلان بعضهما .. فيقول :

ــ كويس كتير ..

ثم يغلق الباب .. ويعود يغازل فتحية ، ويتفق معها على موعد وينزل ..

***

العمارة الثانية مهدمة .. والأهالى يجمعون حوائجهم من بين الانقاض .. وعربات الاسعاف تنقل القتلى والجرحى ..

***

وفى الصباح التالى عبد الحميد وفتحية فى سيارة خصوصية يقودها عبد الحميد خارج شوارع بور سعيد ، فتحية تضع رأسها على كتف عبد الحميد متظاهرة انها فى حالة غرام .. تمر السيارة فى حذاء معسكرات الجيش البريطانى .. ويلوح الجنود الفرنسيون لهما ويهللون لهذا المشهد الغرامى .. عبد الحميد يتمتم وهو يتظاهر بالابتسام للجنود الفرنسيين ..

ثلاث دبابات سنتوريون .. الجانب الشرقى الكيلو ١٤ .. بينما نرى فتحية تكتب فى ورقة تسندها على ركبة عبد الحميد وهى لا تزال مستندة برأسها على كتفه .. ويظل عبد الحميد يملى على فتحية المعلومات العسكرية التى يجمعها .. ويطوف حول بور سعيد بالسيارة ليسجل نقط وقوف الدبابات والمدافع ..

***

ويدخل عبد الحميد بالسيارة بور سعيد ، ويأخذ الورقة التى كانت فتحية تكتب فيها ويضعها فى جيبه .. وتنزل فتحية من السيارة ، ويقودها عبد الحميد ويقف بها بجوار احد المقاهى ..

شوارع بور سعيد ، والدورية الانجليزية تمر فى الشوارع بقيادة احد الضباط وحولها الأطفال .. يرفع الضابط بصره

فيرى دميتين كبيرتين معلقتين فى أعمدة النور فى وضع مشـنوق وقد كتب على احـداهما ايدن ، وعلى الأخرى موليه .. ويجن الضابط ويأمر جنوده بانزال الدميتين .. والاهالى يضحكون ..

وفى شـارع آخر يقف بعض الجنود الانجليز وهـم يخفون بفرشاة مغموسة فى الجير شعارات مكتوبة على الجدران « اخرجوا من بلادنا » .. و « يعيش عبد الناصر » .. الخ ..

***

اليوزباشى رفعت فى زى ماسح احذية .. ويقترب من المقهى الذى يجلس فيه عبد الحميد يمد له عبد الحميد حذاءه ويجلس رفعت ليمسحه .. ويهمس عبد الحميد « قيادة الصاعقة شارع محمد على نمره ١٢ » ثم ينحنى متظاهرا انه يناوله نقودا ، ويناوله الورقة التى سجلت فيها فتحية المعلومات العسكرية ..

***

رفعت يسير فى شارع محمد على وهو يحمل سبت فيه بعض الخضروات .. ويتلفت حوله .. ثم يصعد الى العمارة .. وينقر على أحد الأبواب نقرات خاصة ، فيفتح الباب ويطل منـه وجـه شاب يرتدى البيجاما .. ويقول رفعت .. « نصر » .. ثم يناول الشاب سبت الخضروات وينزل من العمارة بسرعة ..

***

داخل الشقة التى اتخذها جنود الصاعقة مركز قيادة لهم .. خمسة من الضباط والجنود بعضهم يرتدى البيجامات وبعضهم بالفانلة والبنطلون .. يلتفون حول سلة الخضار ويشقون الكوسة والباذنجان ، الى ان يعثروا داخل ثمرة الكوسا على الورقة التى تحوى المعلومات العسكرية .. فيدرسونها .. ثم يفتحون خارطة

بور سعيد ، ويرسمون دائرة بالقلم الاحمر حول أحد المواقع : الانجليز حاطين هنا ثلاث دبابات ..

***

موقع عند احـد مداخل بور سعيد .. ليـل .. صمت .. ثلاث دبابات واقفـة موجهة مدافعها الى بور سـعيد .. بينما الضابط والجنود الانجليز جلسوا على الارض على مسافة قريبة يسكرون .. رجال الصاعقة يزحفون على بطونهم ليضعوا تحت الدبابات قنابل متفجرة .. ثم يزحفون بعيدا ..

الدبابات الثلاث تنفجر ..

يذعر الضابط والجنود الانجليز ، ويهبون الى سـلاحهم .. فيتلقاهم قـوات الصـاعقة المرابضـة على بعد وتدور معـركة بالترليوزات .. وتفنى القوة الانجليزية عن آخـرها .. ويقتـل اثنان من رجال الصاعقة ..

***

شوارع بور سعيد ..

منشورات تغطى الجدران مكتوب فيها « يا أهالى بور سعيد .. الصاعقة معكم .. خسر العدو ليلة امس ثلاث دبابات واحـد عشر قتيلا .. »

***

مركز القيادة البريطانى ..

القائد البريطانى فى اجتماع وهو ثائر .. ويأمر بتفتيش جميع بيوت وشـقق بور سعيد بحثا عن رجال الصـاعقة .. الميجور ديزموند يحـاول أن يقنع القائد البريطانى بأن الشـعب المصرى

يرحب بالانجليـز ،وانه لو اعلن عن مكافأة لمن يسـلم احـد رجال الصاعقة ، فسيسلمهم الأهالى ..

***

الجنود البريطانيون ينتشرون فى جميع انحاء بور سـعيد فى حملة تفتيش كبرى .. ويقتحمون البيوت .. ويقلبون قطع الاثاث .. ويقبضون على كثير من الشبان يحملونهم فى سيارات الىسجن القيادة ..

بعض الجنود يصـعدون الى العمارة التى يقع فيها مركـز قيادة الصاعقة .. ويطرقون باب الشقة ، فلا يجيبهم احـد .. ويحطمون الباب . ويدخلون ويفاجأون بكلمة مكتوبة على الحائط بالخط الكبير وباللغتين الانجليزية والعربية : « الصاعقة كانت هنا .. »

***

فى الليل .. ليلة حملة التفتيش الكبرى .. والجنود الانجليز والسيارات الحربية لا تزال تملأ الشوارع .. وطلقات الرصاص تسمع من بعيد .. الكلب مورق يسير بجانب الحائط حذرا متسللا وهو يعرج بأحد اقدامه بعد ان أصيب فيها برصاصة .. ولا يزال مكتوبا على جسده اسم ايدن وموليه ..

يلمحه أحد الضباط الانجليز ..

ويهم جندى انجليزى بأن يطلق عليه النار ، ولكن الضابط يمنعه .. ثم يتتبع الكلب من بعيد ، ومعه بعض الجنود ..

ويدخل الكلب الى عمارة الدكتور خليل عبد اللطيف .. ويخربش باب العمارة بقدميه ، فيفتح له الدكتور .. وبعد قليل يهجم الضابط الانجليزى والجنود على الشقة ، ويقتحمونها

ويقبضون على الدكتور .. ويهجم الكلب مورق على الجنود دفاعا عن الدكتور وعن نفسه ولكن الجنود الانجليز يتغلبون عليه ، ويحملونه معهم ..

***

الدكتور خليل فى سجن الانجليز ، يعذبونه .. مختلف انواع التعذيب .. الضرب . الصدمات الكهربائية . الشد .. العطش .. الجوع .. حتى يعترف عن اماكن الفدائيين ورجال الصاعقة .. ولكنه لا يعترف .. الى ان يموت من التعذيب .. وهو يكتب على حائط السجن .. مصر حرة .. عاش جمال ..

***

الكلب مورق مقيد داخل معسكر الانجليز .. يبدو عليه الضعف .. ويفهم من كلام الانجليز انه يرفض الطعام منذ قبض عليه ...

وفى اليوم الذى يموت فيه الدكتور خليل .. يموت الكلب مورق ..

***

حمدان والوحش ومعهما اثنان من الفدائيين فى بيت «ام الضو» .. يقول حمدان انه مضى عليه أربعة ايام لم يصنع شيئا . وان البقاء فى السجن كان افضل .. وانه يفكر فى ان يخرج من هذا البيت ويحارب الانجليز وحده ولحسابه .

يدخل احد الفدائيين ، ويقول لهم ان هناك اجتماعا فى شونة البصل التى تقع فى الكفر ، وعلى حافة الطريق الزراعى الممتد بجانب القنال ..

ويقوم الجميع الى شونة البصل .. والوحش يتمتم :

— اجتماعات ايه يا رجالة .. احنا جايين نتكلم ولا نحارب .

يدخلون الى شونة البصل .. وهى مليئة بأكوام البصل .. وخلف احد الاكوام يجلس اليوزباشى رفعت ..

ويلتف الفدائيون حوله .. ويشرح لهم خطة عمل كمين لقافلة من السيارات العسكرية التى ستمر فى منتصف الليل ..

***

وفى المساء يخرج رفعت من شونة البصل ومعه اكثر من عشرين فدائيا بينهم حمدان والوحش ويسيرون بعيدا عن القرية ثم يبدأ فى حفر نفق عريض يقطع الطريق .. ويحفر الفدائيون بهمة وبسرعة .. ويقول حمدان :

— هو احنا نسيب تقطيع الحجر علشان نحفر هنا ..

بعد ان يتم الحفر يغطى الفدائيون النفق بالجريد ، وينشرون فوقه التراب .. ثم يعودون الى شونة البصل .. ويبدأ رفعت ومن معه يخرجون المترليوزات من بين اكوام البصل ، ويقول الوحش :

— انا معرفتش شغل المدافع .. انا باشتغل بايديه ..

ويمد يديه فى وضع من يهم بخنق شخص ..

***

فى منتصف الليل تمر قافلة السيارات البريطانية .. ولا تكاد تجتاز شونة البصل حتى تقع بعض السيارات فى الحفرة .. ويبدأ الفدائيون المختبئون فى الشونة ، يطلقون النار على السيارة الاخيرة .

تقف القافلة كلها .. وتدير المصابيح الكهربائية التى كانت تحملها السيارات الى الشونة وتبدأ معركة بالرصاص .. ويتكاثر الجنود الانجليز ، ويقع منهم قتلى كثيرون ، ولكنهم يفلحون اخيرا فى اقتحام شونة البصل .. ويختبىء بعض الفدائيين فى داخل

أكوام البصل .. ويدخل جندى انجليزى يحمل نفاثة لهب .. ويحرق اكوام البصل . ويخرج حمدان من بين كوم البصل وصدره مشتعل بالنار .. ويلقى بنفسه على الأرض ليطفىء النار فيهجم عليه العسكرى الانجليزى ويهم ان يطعنه بالسونكى ولكن الوحش يقفز على العسكرى الانجليزى ، ويلقيه على الأرض وقد أطبق اصابعه الغليظة على عنقه .. ويطلق جندى انجليزى آخر النار على ظهر الوحش .. فيقع قتيلا .. ولكن اصابعه لا تنفرج عن عنق الانجليزى .. ويموت الانجليزى والوحش قتيلا فوقه ..

ويستطيع حمدان ان يهرب من الشونة وصدره محترق ..

***

بعد انتهاء معركة الشونة يأمر قائد القافلة الانجليزية بحرق قرية « كفر الخنازير » كلها ..

وتشتعل القرية كلها .. والأهالى والنساء يصرخون .. وطلقات الرصاص لا تزال تتبادل بين الفريقين ..

***

فى الصباح التالى ..

شوارع بور سعيد ..

منشورات تغطى الجدران مكتوب فيها : « يا اهالى بور سعيد .. الفدائيون معكم .. خسر العدو ليلة امس اربع سيارات حربية وثلاثين قتيلا فى معركة كفر الخنازير .. »

***

الميجور ديزموند خارج من فندق « البيت الحديدى » حيث اتخذت القيادة البريطانية بعض مكاتبها .. يلتف حول الميجور بعض الأهالى يتزاحمون حوله ويقدمون له عرائض تحمل طلبات التموين .

على مقهى قريب يجلس الصاغ عبد الحميد وبجانبه الفدائى محمود .. ويقول عبد الحميد مشيرا الى ديزموند :

— الراجل ده اخطر واحد فى قوات الاحتلال ..

ويقول محمود :

— كلهم اخطر من بعض ..

ويقول عبد الحميد :

— لأ .. ده أخطرهم .. أصله عاش فى مصر كتير .. وبيحاول دلوقتى يعمل شبكة جاسوسية جديدة .. وبيغرى الأهالى بالتموين والفلوس .. لازم نشوف له حل ..

ويقول محمود :

— على كل حال الانجليز بقالهم يومين مطمئنين .. ما حصلش ولا عملية .. وفاكرين ان حرق كفر الخنازير خوف الناس ..

ويقول عبد الحميد وهو ينظر فى ساعته :

— زمان العتر وعبد الله بيقوموا بعمليتهم دلوقتى .. انا مستنى اخبار ..

***

فى شارع آخر من شوارع بور سعيد ..

مجموعة من الأطفال يلتفون حول جنود دورية انجليزية .. يغنون ويلعبون معهم .. والجنود الانجليز يلعبون معهم ويوزعون عليهم الشيكولاته .. بينما ضابط الدورية يقف مستندا الى عمود وهو يضحك ..

تمتد يد من خلف الضابط الانجليزى ، تكتم انفاسه بمنديل مبلل بمخدر . ثم يبدو العتر وعبد الله ، ويحملان الضابط بسرعة

غريبة ويلقيان به فى ارضية سيارة قريبة ، ويركبان فيها وتنطلق السيارة ..

ويتم كل ذلك فى وضح النهار ..

وبسرعة عجيبة ..

***

السيارة تدخل فى « المناخ » وهو الحى العربى فى بور سعيد، وكل بيوته واطئة ومتلاصقة .. وتقف السيارة أمام مدخل حارة ضيقة ، وينزل العتر وعبد الله ثم يسحبان من داخل السيارة حصيرة ملفوفة فى داخلها الضابط المخطوف ..

شخص لئيم خبيث المظهر يقف عند مدخل الحارة ويراقب العملية ، ويتتبع بعينيه عبد الله والعتر وهما يحملان الحصيرة ، ويدخلان بها بيتا فى الحارة ..

***

يصعد عبد الله والعتر السلم الضيق ثم يدخلان شقة ضيقة نرى فيها حمدان راقدا وهو يعالج ويئن من صدره المحروق .. ومعه السجين الخامس ..

ويقول العتر ضاحكا :

— جبنالك اكله حلوة .. تحب تأكلها لوحدك ولا ناكلها معاك؟.

ثم يفرد الحصيرة ويظهر فيها الضابط الانجليزى وهو لا يزال مخدرا ..

ويعتدل حمدان فى رقدته وتمتد يداه فى الهواء كأنه يهم بخنق انسان ..

***

عبد الحميد ومحمود جالسان فى المقهى ، ويقترب منهما شخص ثالث ويجلس بجانبهما قائلا :

— القيادة هايجة .. يظهر ان الضابط اللى اتخطف يبقى قريب الملكة .. ولا حاجة زى كده .. دول هايجين قوى ..

***

السيارات العسكرية .. ودوريات الجنود .. وطائرات الهليكوبتر .. تخرج فى سرعة الى شوارع بور سعيد ..

***

العتر وعبد الله وحمدان والسجين الخامس عوض مجتمعون حول حمدان .. ويقول حمدان :

— المهم دلوقتى ان احنا نخلص من الجثة .. نتاويها بعيد .. احسن لو انكشفت الانجليز مش حاير حموا ..

ويقوم عبد الله قائلا للعتر :

— قوم بينا ندور على طريقة ..

يخرجان من البيت ، ولا يكادان يسيران فى الحارة حتى يقابلا قسيسا .. فتبرق عينا العتر ، ويمسك بيد القسيس قائلا :

— عن اذنك يا ابونا .. عندنا واحد عيان .. بيموت ومحتاج لك ..

ثم يهمس فى أذن عبد الله ، ويناوله كل ما معه من نقود ، وهو لا يزال ممسكا بيد القسيس بقوة ..

ويبتعد عبد الله ..

ويسحب العتر القسيس الى داخل المنزل ..

والشخص اللئيم الخبيث المظهر يراقب كل ذلك ..

***

القسيس داخل المنزل عار من ملابسه وهو جالس فى استسلام ..

العتر وقد ارتدى ثياب القسيس .. يقول لحمدان :

— حانعمله جنازة هايلة .. امال .. واجب برضه ..

عبد الله يعود الى الحارة راكبا عربة نقل الموتى المسيحيين يجرها حصانان بجانب السائق ، ومساعده .. وتقف العربة عند مدخل الحارة ، وينزل السائق ومساعده ويحملان التابوت ويدخلان به الى الحارة ثم الى البيت والشخص الخبيث المظهر يراقب كل ذلك ..

يعود السائق ومساعده يحملان التابوت وقد ثقل وزنه ، ويسير خلف التابوت العتر ، وهو فى ثياب القسيس .. ويشير عبد الله الى بعض الاهالى ليسيروا معه خلف عربة نقل الموتى التى تحمل التابوت الى المقابر ..

***

الشخص الخبيث المظهر يسير فى شوارع بور سعيد متجها الى مركز القيادة ..

***

العتر وعبد الله وقد عادا الى البيت بعد الانتهاء من الجنازة ، ويخلع العتر ملابس القسيس ويعطيها لصاحبها قائلا :

— آسفين يا ابونا .. أصلنا خفنا عليك تمشى فى الجنازة بنفسك ..

ويخرج القسيس من الحارة ، ومع خروجه تبدو القوات الانجليزية وهى تقترب لمحاصرة حى المناخ كله .. ويدخل الجنود المسلحون لتفتيش البيوت ...

يدخل احد الاهالى الى بيت العتر صائحا :

— الانجليز ..

ويسرع جميع من فى البيت الى سطح المنزل ويأخذون فى القفز من سطح الى سطح وكل الأسطح متشابكة .. وتبدو فوق الأسطح

عشرات من الاهالى وهم يقفزون فوق الاسطح .. هربا من الانجليز ..

يصعد بعض الجنود الى سطح البيت ، ويصوب احدهم بندقيته ، فيصيب عبد الله فى كتفه .. ولكنه يتحامل على نفسه ويظل يجرى ويقفز فوق الاسطح ..

الشخص الخبيث يخاف من طلقات الرصاص ، فيجرى .. ويظنه جندى انجليزى احد الهاربين ، فيصوب مدفعه اليه ويقتله.

تستمر المطاردة .. صراخ .. وطلقات نار ..

***

محمود وعبد الحميد ورفعت فى مخبئهم ببور سعيد .. وعبد الحميد يقول لهم :

ـ ديزموند كشف مكان العتر وعبد الله .. ومحاصرين حى المناخ كله ، ونازلين ضرب فى الاهالى .. لازم نخلص من ديزموند .. لازم .. بكره ..

ثم ينظر الى محمود نظرة قوية كأنه اختاره للقيام بهذه العملية.

***

ليل ..

عبد الله فى عشة على البحيرة ، وبجانبه نادية تعالج جرحه .. ويقول عبد الله :

ـ العتر ما وصلش .. ولا حمدان .. ولا عوض ..

وتقول نادية :

ـ لازم راحوا حتة تانية ..

ويقول عبد الله :

ـ أنا مش عارف ايه اللى جابنى هنا .. ماكنتش شايف حاجة .. فضلت أجرى لغاية ما وقعت فى الحتة دى ..

وتقول نادية وقد انتهت من تضميد جرحه :

ـ تعرف يا عبد الله انت مش باين عليك ابدا انك مجرم .. ولا مسجون .. اول ما شفتك وانت لابس بدلة السجن ، استعجبت ..

ويبتسم عبد الله ابتسامة هادئة ويروى لها قصته ، وكيف انه كان وكيل مكتب بريد فى القرية ، وكان متزوجا من زوجة جميلة صغيرة يحبها ، ثم حدث ان ابن الباشا اعجبته زوجته .. وفى يوم ترك المكتب فى غير موعده وعاد الى بيته فوجد ابن الباشا يحاول اغتصاب زوجته .. فجن .. ورفع قضيبا من حديد وانهال على رأس ابن الباشا .. ولم يمت ابن الباشا .. ونقلوه الى قصره واتهموه ـ بالتواطؤ مع البوليس ـ بانه حاول قتل ابن الباشا لسرقته وفى قصره ، لا فى بيته وهو يحاول اغتصاب زوجته ... وحكم عليه بعشر سنوات اشغال شاقة ..

ثم يقول عبد الله :

ـ لما جت الثورة قبضت على الباشا ، وصادرت املاكه ، وابنه هرب .. واتشرد فى بلاد بره .. ولما عرفت ان الانجليز رجعم وانا فى السجن ، اتهيأ لى ان الباشا كمان حايرجع .. وابنه حايرجع .. ولما اتهد السجن جريت علشان احارب الانجليز .. اطردهم قبل ما يرجعوا الباشا وابنه ..

وتقول نادية :

ـ وحانطردهم باذن الله ..

ـ انا فاضلى تلات سنين وشهرين على الافراج ..

وتبتسم نادية فى خفر ..

***

صباح اليوم التالى ..

محمود فى زى اهالى بور سعيد ، يشترى رغيفا ٠٠ ويتوارى فى مكان بعيد ، ويفتح الرغيف ثم يخرج من جيبه قنبلة يدوية ويضعها داخل الرغيف ٠٠ ويحمل الرغيف فى يده ٠٠٠ سندوتش بقنبلة ٠٠

ويسير محمود الى ان يصل الى فندق البيت الحديدى ، ويقف مع الأهالى المتجمعين هناك ليقدموا العرائض الى الميجور ديزموند ٠٠ ويخرج محمود عريضة يمسكها بيده ، والرغيف فى يده الاخرى ٠٠

ويخرج ديزموند من الفندق ويركب سيارته الجيب ، والأهالى يتزاحمون حوله ليقدموا له العرائض وهو يبتسم فى غرور ٠٠ وتهم السيارة بالانطلاق ٠٠ فيرفع محمود الرغيف الى فمه ويقطم منه بأسنانه ، وهو فى الواقع يشد صمام القنبلة ٠٠٠

ثم يلقى الرغيف تحت السيارة ٠٠

ويصرخ فى الناس :

ـ ابعد انت وهو ٠٠ الخواجه مش عاوز دوشة ٠٠

ويبتعد الناس ٠٠

ومحمود يقف حائلا بينهم وبين السيارة حتى لا يقتربوا منها.

ولا تكاد السيارة تتحرك حتى تنفجر القنبلة ٠٠

ويسقط الميجور قتيلا فى السيارة ٠٠ ومعه السائق ٠٠ والحارس الذى يجلس بجانب السائق ٠٠

ويسقط محمود ايضا وقد أصابته شظايا القنبلة ٠٠

ويفزع الأهالى ٠٠

ثم يعودون ويحملون جثة محمود ويختفون بها ٠٠ تاركين جثث الانجليز فى مكانها ٠٠

***

القائد الانجليزى ثائر ثورة كبرى وهو يصرخ :

ـ ديزموند كان بيقول الشعب المصرى شعب مسالم ٠٠ اهم قتلوه ٠٠ قتلوه ٠٠ اضربوا البلد ٠٠ اضربوها بالطيارات ٠ اضربوا الحى العربى الأول ٠٠ وحى الجميل ٠٠ والاحياء الزحمة اللى فيها الأهالى ٠٠

اتصال عسكرى بقيادة القوات الجوية البريطانية ٠٠

الطائرات تحلق فوق بور سعيد وتضرب حى المناخ ، وحى الجميل ٠٠ الفزع ٠٠ والصراخ ٠ حرائق ٠ بيوت تهد ٠ الأهالى يهربون ٠٠ جميع القوات المصرية تفتح النار من النوافذ على القوات الانجليزية ٠٠

***

الجرائد المصرية وعلى صدر صفحاتها بالخط العريض :

« انسحاب قوات الأعداء » و « انتصرنا ٠٠ » و ٠٠ و ٠٠ الخ ٠٠

منظر لمدينة بور سعيد مهدمة ٠٠

اعلان داخل معسكرات الجيش الانجليزى بمنع دخول الجنود الى مدينة بور سعيد ٠٠

مظاهرات شعبية ضخمة فى شوارع بور سعيد تحمل صورة جمال عبد الناصر ، وتهتف للنصر ، وتنشد الله اكبر ٠٠

عبد الحميد ورفعت على مقهى فى بور سعيد ، ويقول رفعت:

ـ يعنى حانبطل شغل ولا ايه ؟٠٠

ـ ويقول عبد الحميد :

ـ الشغل مش حايبطل الا لما يخرج آخر عسكرى من بور سعيد ٠

ويقول رفعت :

ـ بس انا لى تار لازم آخده قبل الانسحاب ٠٠ الضابط

الانجليزى ضربنى وحلفت انى ارجع له .. لسه معسكر فى النقطة نفسها ..

ويقول عبد الحميد :

— ما تدخلش المسائل الخاصة فى شغلنا ..

ويقول رفعت :

— دى مش خاصة .. دى ..

ويقول عبد الحميد وهو يبتسم ابتسامة ذات معنى يفهم منها رفعت ان عبد الحميد موافق :

— دلوقتى احنا اعلنا وقف القتال .. وانا مش مسؤول .. مش انا اللى حلفت انى آخذ تارى ...

***

رفعت مع قوة من الفدائيين بينهم عبد الله وهو لا يزال يربط الشاش على كتفه فوق جرحه .. يحاصرون موقع المراقبة الانجليزية على شاطىء البحيرة .. والجنود الانجليز لاهون مطمئنين الى وقف القتال .. رفعت يهمس لرفاقه :

— مش عايزين ضرب .. دى عملية تأديبية بس ..

الفدائيون يتسللون داخل المركز .. وكل فدائى يصوب مدفعه الى صدر جندى .. وهو يشير اليه باصبعه ان يسكت ..

رفعت يتسلل الى خيمة الضابط الذى يكون سكران .. ويشده من قميصه ، وينظر فى عينيه ويذكره بنفسه .. يتوسل اليه الضابط ان يرحمه ..

ويقول رفعت :

— انا وعدت انى ارجعلك .. ولما المصرى يوعد لازم يوفى بوعده ..

ويركع الانجليزى على ركبته متوسلا ..

رفع رفعت كفه ليصفعه ، ولكنه يعود ويخفض يده :

— بلاش .. كفايه كده ..

ثم يأخذ مدفع الضابط .. ويخُرج ليأمر رجاله أن يجمعوا كل سلاح الموقع .. ثم ينسحبوا بعيدا ..

* * *

الانسحاب ..

الجنود الانجليز يركبون البواخر ..

القوات المصرية تتقدم الى بورسعيد ..

مظاهرات صاخبة فرحة ..

عبد الحميد ورفعت وعبد الله ونادية وفتحية .. وقفوا فى الشارع يتضاحكون ..

عبد الله يصافح نادية قائلا :

— أنا راجع ابو زعبل .. فاضل تلات سنين وشهرين ..

وتقول نادية ضاحكة :

— لا .. تلات سنين .. وستاشر يوم ..

ويبتسم عبد الله ابتسامة كلها حب ..

* * *

عبد الله على باب سجن ابى زعبل ..

يفتح الباب .. ويحييه السجان تحية عسكرية .. ويقف له ضابط السجن تحية له ..

ويسيرون معه فى احترام كبير الى العنبر . ويقول له الضابط :

— انت بطل .. وبطل .. أكتر لأنك رجعت لنا برجليك .. أنا حاطلب اعفاءك من بقية المدة ..

ويقول عبد الله :

— والله السجين فى بلد حرة .. أحسن من الحر فى بلد سجينة .

* * *

مظاهرات صاخبة فى شوارع القاهرة ..
وجمال عبد الناصر يخطب ..
وأرواح الشهداء .. محمود .. والعتر .. وحمدان ..
والدكتور . . . ر . . . و . . . تسير باسمة فوق السحاب .

يا حبيبى لا ترانى بعيون الناس

شهيرة .. حلوة .. ذكية .. طموحة . فى التاسعة عشرة من عمرها .. وحيدة والديها ..

والدها أتم تعليمه فى لندن ، وعاد من هناك بعقلية متحررة .. وقد أطلق لها الحرية على آخرها لأنه يؤمن بأن الانسان يمنع نفسه ولا تمنعه الأوامر والمراقبة .. حتى لو كان هذا الانسان بنتا حلوة كابنته .. وهو مع تحرره انسان ناجح .. يحب النجاح ويسعى اليه .. ويملأ كل ساعة من حياته بشىء يستفيد منه .. فهو يخرج من عمله كمهندس فى مصنع كيمائى ، ثم يذهب الى النادى ليمارس الرياضة ، ويعود الى البيت ليقرأ ، أو ليفكر فى مشروع كيمائى جديد يبيعه لشركات الأدوية ، أو ليستمع الى اسطوانات الموسيقى الكلاسيك أو أغانى سيد درويش .. وهو لم يحاول أن يكون من أصحاب الملايين ، لأنه لا يحتاج الى ملايين ليعيش بها ، ولكنه يكسب ليعيش فى المستوى الذى اختار أن يعيش فيه ، وهو مع هذا يحسب كل حياته بالأرقام .. ان الأرقام بالنسبة له احدى هواياته .. فهو يحرص — مثلا — على أن يحسب كم دقيقة تستغرقها كل أسطوانة من الأسطوانات التى يسمعها ، وكم لفة تدور بها الأسطوانة الى أن تنتهى .. وقد سألته شهيرة مرة :

— بابا .. تسمح تقول لى انت ليه ما فكرتش تجيب لى أخ

ولا أخت أتسلى بها وأتخانق معاها زى كل صـــحباتى ما بيتمتعوا بالخناق مع اخواتهم ..

وأجابها ضاحكا :

ــ نحسبها يا شهيره .. أنا وانت وماما محتاجين لمتين جنيه فى الشهر ولو كان معانا واحد كمان كنا نتكلف ميتين وخمسين جنيه علشان نعيش فى نفس المستوى اللى احنا عايشين فيه دلوقت .. لأن تكاليف الفرد الزيادة معناها زيادة تكاليف البيت كله .. يعنى مثلا السفرجى اللى يخدم أربعة يطلب أكثر من السفرجى اللى يخدم اتنين .. وبعدين أنا دلوقت باديكى تقريبا ساعة ونص من وقتى كل يوم ، وبتاخدى على الأقل عشرين فى الميه من اهتماماتى الذهنية والنفسية ، لو كان لك أخ أو أخت كان كل ده زاد .. ونفس الحالة تنطبق على ماما .. ولو حسبت ده كله وغيره كتير تلاقى انى لو كنت جبت لك اخ أو أخت ما كنتش كسبت حاجه ، ولأنى ما جبتش ما خسرتش حاجه .. حتى طموحى للمستقبل .. يعنى تفكيرى فى الحياة من بعدى ، ما نقصش حاجه لأنك تقدرى تحققى كل طموحى لو كنت خلفت ولد وكل طموحى لو كنت خلفت بنت كمان .. وبعدين .. زى ما انت عارفة حبوب منع الحمل اليومين دول ما بتكلفش حاجه ..

ورغم أن والدها كان يقول مثل هذا الكلام وهو يضحك ، ورغم أنها كانت تضحك معه ، الا أن مثل هذه الآراء كانت تصـــنع شخصيتها ، وتبنى عقليتها ..

وأمها أيضا .. خديجة ..

كانت أمها حلوة .. ليست فى مستوى جمال ابنتها شهيرة ، ولكنها حلوة .. وكانت كأبيها متحررة فى عقليتها وتصرفاتها ..

وقد أحبت أباها قبل أن يسافر للدراسة فى لندن ، وتزوجته بمجرد أن عاد .. تزوجته دون موافقة أهلها ولا أهله ، ودون أن تقيم حفلة زفاف .. فرح .. بل دون أن تصـــنع لنفسها ثوب العروس وتلتقط صورة تحتفظ بها ذكرى العمر كله .. ان الزواج لقاء بين اثنين .. وقرار يتخذه اثنان .. وفرحته يكفى أن تكون فرحة اثنين .. وبعد أن يتم يبدأ البناء الاجتماعى الذى يراه الناس .. وكانت أمها تروى لها كل هذا .. كيف تزوجت ورأيها فى الزواج .. وقد استطاعت أمها أن تصنع من ابيها زوجا سعيدا لا لأنها تخدمه وتطبخ وتغسل ، ولكن لأنها أحبته ، والحب هو أن يفهم الحبيب حبيبه .. يفهم كل ما فيه .. ويحب فهمه له .. وهى زوجة ذكية ناجحة .. بيتها فى القاهرة يكاد يكون بيتا فى أوربا .. كل شىء جديد فيه .. وهى قادرة على أن تشترى لبيتها كل جديد حتى لو اشترته من الخارج .. ورغم انها ليست محتاجة ماديا .. فقد قررت أن تؤسس داخل البيت آتلييه لصنع ملابس النساء .. انها تهوى الخياطة منذ كانت صغيرة ، وتعودت أن تصنع كل ثيابها بنفسها .. تصنع الموديل ، وتقص القماش ، وتحيكه .. وقد عرفت صديقاتها عنها مهارتها فى الحياكة فكن يلجأن اليها لتساعدهن فى حياكة ثيابهن .. ثم رأت خديجة بعقلها وطموحها أنها تستطيع أن تحترف الحياكة .. فأنشأت داخل البيت هذا الاتلييه الصغير ، ولكنها ظلت معه محتفظة بشخصيتها الاجتماعية .. فهى لا تعمل لأى زبونة .. يجب أن تكون الزبونة صديقة أو شخصية كبيرة معروفة من شـــخصيات المجتمع .. وتتقبل عملا قليلا جدا وتطلب أجرا مرتفعا جدا .. حتى أصبحت كل سيدة فى المجتمع تتمنى لو أن خديجة هانم قبلت أن تصنع لها

ثوبا .. ولم تكن خديجة مثلا تقبل أن تصنع ثوبا لاحدى الفنانات ، لأنها تربط عملها بالمجتمع الذى تعيش فيه ، وهى لا تعيش فى مجتمع الفن ، وقد سألتها ابنتها شهيرة يوما :

— يا ماما .. أم كلثوم طلبت انها تجيلك وتفصلى لها فستان .. مش راضيه ليه لأ .

وأجابت خديجة وعلى شفتيها ابتسامتها الذكية المحترمة :

— أم كلثوم فنانه .. فنانه كبيره .. وأنا مش فنانه زيها بأقف قدام الناس ، وماقدرش أعرف احساسها ايه وهى واقفه قدام الناس .. ما أقدرش أعرف ذوقها ، ولا ايه اللى يعجبها . ولا الشخصية بتاعتنا .. شخصية الفنانة اللى بتقف على المسرح غير شخصية ست البيت .. حتى لو كانت أم كلثوم ست بيت تلاقيها قدام الناس شخصية تانيه .. الفستان اللى أنا باعمله مش مجرد قماش وموديل ، لازم يعبر عن شخصية .. علشان كده ما أقدرش أعمل شخصية ما أعرفهاش .. وأنا ما يهمنيش أخيط لمين انما يهمنى انى انجح فى كل اللى أعمله ..

وتأثرت شهيرة بشخصية أمها كما تأثرت بشخصية أبيها .. والفرق أنها لا تهوى الخياطة كأمها .. ولكنها هوت الفن كأبيها . كانت تهوى الموسيقى ، وتهوى الغناء ، وتهوى الرقص .. واذا كانت غرفة أبيها مزدحمة باسطوانات الموسيقى الكلاسيكية القديمة ، كانت غرفتها مليئة بأسطوانات الموسيقى المودرن ، أفرنجى وعربى .. وكانت الموسيقى تملأ البيت دائما ما دامت هى فيه ، حتى لو جلست الى مكتبها الصغير لتذاكر دروسها ، لم تكن تستطيع أن تذاكر الا على صوت الموسيقى .. وتغنى .. تغنى أغنية I love you ثم تغنى أغنية الطشت قال لى .. وترقص

رقصة سيكودى ليك ، ثم ترقص رقصة باليه ، ثم ترقص بلدى .. وأبوها وأمها لا يتدخلان فى كل هذا الضجيج الحلو الذى تملأ به البيت ، كان كل انسان حرا فى حياته حتى داخل بيت العائلة ، وهما سعيدان بها ..

ولكن ..

كان أقوى ما يسيطر على شهيرة هو سعيها للنجاح .. تحب النجاح ..

تريد أن تنجح فى كل شىء .. كل شىء .. مهما كلفها النجاح .. كان حبها للنجاح يجعل منها شخصية طموحة .. غاية الطموح .. وطموحها يدفعها الى الجرأة .. منتهى الجرأة .. وكان يحميها من جرأتها دائما انها ورثت عن أبيها لغة الأرقام . كل شىء بالأرقام حتى الحالات العاطفية والنفسية .. هذه الحالة تكلفنى مائة وخمسين كالورى ، وأكسب منها خمسين فيتامين د ، اذن فهى حالة خاسرة .. وبهذه العقلية الرقمية ظلت رغم مظهرها الجرىء ، سليمة فى داخلها وفى حقيقتها ..

وكانت شهيرة تعلم أنها جميلة .. وكانت حريصة على أن تكون أجمل وأجمل . وأن ينجح جمالها . ولكنها كانت تعلم أن الجمال هو عنصر واحد من عناصر الحياة .. هناك عناصر أخرى يتطلبها النجاح . الذكاء .. النشاط . اكتساب الناس . الجهد . الجمال ليس الا عنصرا مساعدا ..

وقد نجحت شهيرة فى كل امتحاناتها المدرسية منذ أن كانت فى المدرسة الانجليزية ثم بعد أن انتقلت الى الجامعة الأمريكية .. وكانت تذاكر وتبذل جهدا فى المذاكرة ، ولكنها كانت تعلم أنه بجانب المذاكرة فان جمالها وعلاقاتها الاجتماعية يعتبران عنصرا من عناصر نجاحها فى كل امتحان ..

كانت ترى صورة جمالها فى عين كثير من مدرسى وأساتذة الجامعة .. وكانت تفرح بهذه الصـــورة وتعتز بها .. وكثير من الأساتذة يتقربون اليها ، وبعضـــهم يعرض عليها أن يســـاعدها بدروس خصوصية ، وأحدهم تعود أن يحـــدثها فى التليفون كل مساء .. ليست هذه « بصبصة » .. ليس هناك ما يمكن أن يسمى بصبصة ويحمل المعنى الذى يقصده الناس .. انه اعجاب .. واطراء يجب أن تعتز وتفتخر به .. انه نجاح لجمـــالها .. والنظرة الحلوة كالكلمة الحلوة .. لا أكثر .. كل بنت فى العالم تتمنى النظرة الحلوة والكلمة الحلوة حتى لو كانت من غريب أو عابر طريق .. والرجل لا يلام على نظرته الحلوة وكلمته الحلوة ، وبالعكس يجب أن تشكره عليها .. انه لا يعتدى ما دامت مجرد نظرة ومجرد كلمة . انه يتعبد فى جمال الله .. انه يرضى غرورها .

بل ان بعض الأساتذة كانوا يوجهون الدعوة لشهيرة لتخرج معهم .. وكانت بسرعة تحرك عقليتها الرقمية وتحسب كل شىء .. شخصية صاحب الدعوة وثقتها فى تصرفاته .. والمجتمع الذى تخرج اليه .. والهدف من الدعوة . وكثيرا ما كان ينتهى الحساب لتخرج مع الأستاذ .. لترقص معه اذا كان الأستاذ شابا ، أو تذهب معه الى السينما .. أو .. أو .. ودائما لا تخطىء فى حساباتها الرقمية .. وفى حالات كثيرة كانت هى التى تسعى لصداقة الأستاذ .. تصادق عائلته اذا كان رب عائلة ، أو تشجعه على صداقة خاصة وتتصل به بالتليفون اذا كان أعزب .. ولم تكن تعطى شيئا أكثر من مجرد الصداقة .. وكانت قادرة على تحمـــل صـــداقة الجميع حتى لو اضطرت أن تنافق ، أو اضطرت أن تحمل نفسها ساعات ثقيلة .. انها تؤمن بأن النجاح يتطلب صداقة الناس .. والنجاح فى امتحانات المدرسة والجامعة يتطلب صداقة الأساتذة .

وكانت لها صداقات مع كثير من الشبان .. زملائها فى الجامعة الأمريكية .. وفى النادى .. والصداقات التى تكسبها خلال الصيف على الشاطىء .. واخوة صديقاتها .. وكانت دون أن تتعمد تضع حدودا لهذه الصداقات تمليها عليها عقليتها الرقمية .. أكسب كذا وأخسر كذا .. وتخرج مع الكثيرين . لترقص .. وفى رحلات . وفى حفلات خاصة يقيمها الشباب .. وأبوها وأمها لا يعترضان على أن يكون لها كل هذه الصداقات .. ان العائلة كلها تؤمن بتقاليد المجتمع الأوروبى والأمريكى ، التى تعطى للفتاة الحق فى أن يكون لها أصدقاء من الشبان الى أن تستقر على صديق واحد [illegible] steady تحبه وترتبط به وتبنى معه مستقبلها .. ولذلك لم تكن شهيرة تخفى شيئا عن والديها :

— ماما أنا خارجة النهارده مع علاء .. حانسهر فى التمارينا ومعانا نيفين وحسن ..

— بابا .. محمود حيفوت على بكره الصبح وحانطلع رحله للفيوم .. تصور فرضوا على انى أنا اللى أعمل السندوتشات .. لازم أعمل خمسين ساندوتش ..

وكان علاء أو محمود أو عنى أو خليل .. أو أى واحد من الأصدقاء الكثيرين يمر عليها بسيارته أمام البيت .. ويضغط على الكلاكس حتى تسمعه كل العمارة وتسمعه شهيرة .. وفى معظم الأحيان كان الصديق يصعد الى شقة العائلة وتستقبله الأم والأب قبل أن تخرج معه شهيرة ، ويودعانها بقبلة وابتسامة حب وثقة وأمنية بليلة سعيدة ..

وكانت أكثر الليالى التى تحبها شهيرة هى الليالى الراقصة .

انها تحب الرقص .. وتريد أن ترقص كل يوم .. وعلى قدر حبها للرقص كانت حريصة على أن تنجح فيه .. أن تكون خير من

برقص .. وكانت تتبع الرقصات الجديدة أولا بأول .. وتجربها أمام المرآة قبل أن ترقصها أمام الناس .. وكانت تستطيع عندما ترقص فى محل عام أن تجذب اليها الأنظار حتى يفضل بقية الراقصين أن يتركوا لها حلبة الرقص ليتمتعوا بمشاهدتها ترقص وحدها مع زميلها .. وعرفتها جميع المحال الراقصة ، وعرفتها جميع الفرق الموسيقية التى تعزف للرقص .. ولكنها لم تكن تكتفى بالرقص فى المحال العامة .. انها تستطيع أن تسهر فى الخارج كل ليلة .. ولكنها تريد أن ترقص كل يوم .. فكانت تنظم رقصات فولكلورية داخل الجامعة الأمريكية .. وكانت تستطيع أن تخلق من كل مكان حلبة للرقص .. استطاعت مرة أن تجذب زملاءها ليرقصوا فى ملعب التنس رقصة يعبرون بها عن لعبة التنس ، واستطاعت مرة أن تصنع رقصة فى حمام السباحة .. ولكنها لم تكن ترقص أبدا أمام الناس الرقص البلدى ، وترقصه دائما أمام المرآة فى بيتها ، وتبتكر فى حركاته ، وتتبع رقصات ناهد صبرى ونجوى فؤاد ، ولكنها لا ترقص أبدا أمام الناس رغم الحاح أصدقائها وصديقاتها .. وصرخ محمود يوما والشلة جالسة فى حديقة الجامعة الأمريكية :

— ما ترقصيش بلدى ليه .. اشمعنى البلدى .. يعنى ما فيش عيب الا فى البلدى ؟.

وضحكت شهيرة ثم هدأت ضحكتها وأجابت كأنها استاذة فى الرقص :

— الرقص البلدى مش عيب .. وكل الرقصات الجديدة واخده من رقصنا البلدى .. الجيرك .. والسايكوديليك .. والبوجوار .. كل الرقصات دى واخده من رقصنا البلدى .. واحساسه احساس فردى .. يعنى أنا لما برقص بلدى باحس

.. زى ما أكون باكلم نفسى .. أو باحلم .. وانا ما حبش أكلم نفسى قدام الناس .. علشان أتمتع بالرقص البلدى وأرقصه كويس .. لازم أكون لوحدى .. وياريت نقدر نعمل حاجه جديده ونطور الرقص البلدى .. نخليه رقص جماعى .. يعنى نرقصه كلنا مع بعض .. بنات وولاد .. فيه رقص بلدى للأولاد انما ماحدش دلوقتى بيرقصه .. نرجعه تانى ونطور حركاته ونطور حركات الرقص البلدى للبنات .. ونرقص فى كل حته .. زى ما بنرقص الجيرك .. محمود رضا عمل كده فى الاستعراضات اللى بيقدمها انما لسه الاستعراضات دى ما بقتش للناس كلهم ..

وزملاؤها يستمعون اليها فى اعجاب ، ويخفون اعجابهم وراء تحديها فى المناقشة .. وشهيرة تقبل تحديهم بروح مرحة . وتطول المناقشة تتخللها ضحكات كثيرة ، وآراء جادة كثيرة ..

وكانت شهيرة تشعر بغيرة بعض زميلاتها منها .. ان النجاح يكلف صاحبه غيرة زملائه . ولكنها كانت دائما قادرة على أن تخفف من احساس الغيرة منها ، وتتعمد أن تكسب صداقة اللاتى تنطلق الغيرة فى تصرفاتهن ..

ولكن ما لم تحس به شهيرة أبدا هو نظرة المجتمع الواسع اليها .. رأى الناس الذين لا يعرفونها .. كلام الناس .. كانت تعيش باحساسها وعقليتها داخل مجتمعها المتحرر المنطلق .. لم تكن تشعر أن حريتها وجرأتها تجعل لها صورة مشوهة فى أعين الناس البعيدين .. وكانت تعرف أن كثيرات من صديقاتها يعشن فى مجتمع محافظ يؤمن بالتقاليد والمبادىء القديمة .. فلا يسمح لهن بصداقة الشبان .. ولا يسمح لهن بالشخصية الكاملة الحرة .. وقد تطور هذا المجتمع الى حد أن سمح للبنت بأن تذهب الى الجامعة وتقضى يومها بين الشباب . ولكنه ظل متصورا الجامعة

كأنها بيت محافظ .. البنات فى مكان والأولاد فى مكان .. وممنوع الاختلاط .. ممنوع أن تصـــادق البنت شابا وتدعوه الى بيتها كمجرد صديق وزميل .. وممنوع أن ترقص .. وممنوع أن تخرج بعد مواعيد الجامعة .. ورغم هذا فكل بنات هذا المجتمع يفعلن ما يردن ، وينطلقن خارج تقاليد وأوامر الأب والأم .. ينطلقن فى السر ، انها تذكر ما صنعته صديقتها ليلى .. كانت مدعوة معها فى حفلة راقصة خاصة .. وجاءت مع صديقها محمود فى الساعة السابعة .. وبعد ساعة اضطرت أن تخرج من الحفلة وهى تكاد تبكى .. وسألتها شهيرة :

ـــ رايحه فين ؟

واجابت ليلى والزهق والثورة والدموع فى عينيها :

ـــ لازم أرجع البيت .. أنا قلت لهم انى رايحــه لدكتور الأسنان ..

ثم التفتت ليلى الى محمود قائلة فى ثورة :

ـــ اسمع يا محمود .. استنانى هنا .. بابا وماما بيناموا الساعة عشرة .. وأخويا مسافر . الساعه حداشر حاكون عندك .

وقد عادت شهيرة ليلتها الى البيت فى الساعة العاشرة .. أوصلها صديقها علاء .. وسمعت فى اليوم التالى أن ليلى قد عادت وأنها بقيت مع محمود حتى الرابعة صباحا .. وقالت لها شهيرة :

ـــ بس انتى مجنونة .. قعدتى تعملى ايه للساعة أربعه ..

واجابت ليلى ضاحكة :

ـــ أصل بابا ما بيصحاش من النوم قبل خامسه .. وانتى عارفه أنا ما باشبعش من محمود ..

وشهيرة لا تحب هذه الحياة .. انها لا تحب أن يكون فى حياتها

أسرار .. حتى لو كانت عن أبيها وأمها .. ان الاسرار تدفع الى الاختباء . والاختباء يحرض على الخطأ .. على الخطيئة .. وينتهى بالندم .. وهى تذكر أن أباها قال لها يوما :

ـــ ما فيش حاجه تحمى الواحد الا حريته .. الحرية تخلى الواحد مسئول عن نفسه .. ويحمى نفســـه .. علشان كده أنا سايبك حره .. علشان تشيلى معايا مسؤولية نفسك ..

انها مؤمنة سعيدة بحياتها وحريتها وقادرة على أن تحمــل مسؤولية نفسها ، ولكنها لم تلتفت الى كلام الناس .. الى نظرة الناس اليها .. الى تفسير الناس لهذه الحرية التى تعيشها .. انها لا تدرى أن هناك ناسا قد يفسرون حريتها على أنها انحلال ، ويرونها كأنها متهتكة ، ويتصورون أن كل من يرقص معها ينالها .. ينال جسدها .. ان الناس يرون ليلى المختبئة التى تعيش حياتها الخاصة فى السر .. يرونها فى صورة أرقى وأنظف من الصورة التى يرونها فيها ..

ولكن لا تدرى كل هذا ، ولا يخطر على بالها أن تهتم بكلام الناس ..

الى أن عرفت رؤوف ..

وارتبطت به ..

أصبح صديقها الوحيد ..

انها تحب ..

وقد ظلت شهورا طويلة تراه من بعيد .. وعندما عرفته اتخذته مجرد صديق كبقية الأصدقاء .. ولكنها منذ أن رأته لأول مرة وهو يشدها اليه .. وربما كان أكثر ما يشدها اليه هو انه يستطيع أن ينجح فى كل شىء يقوم به .. ينجح فى الرقص .. وينجح فى اللعب .. وينجح فى الرياضة التى يمارسها .

وقد نجح فى الوصول اليها .. انه يعرف كيف يصل بكلامه الى صميم اقناعها .. ويعرف كيف يصل بتصرفاته الى شدها بعيدا عن كل أصدقائها .. ولا يبدو أبدا انه يتعمد هذا النجاح .. انه نجاح منطلق من طبيعة تكوين شخصيته ..

وهى لا تستطيع أن تنسى أول قبلة جمعت بينهـــا وبينه .. لقد مرت شهور طويلة وهو لا يحاول أبدا أن يقبلها ؛ حتى ولو قبلة من هذه القبلات السريعة التى يسقطها الأصدقاء أحيانا على خُدها ، ولا تفسرها أكثر من التفسير البرىء كأنها مجرد تحية .. بل انه لم يحاول يوما وهو يراقصها أن يتعمد ضمها اليه أو لصق خدها بخده . كان يعطى كل نفسه للرقص .. ان الموسيقى تنطلق فيه كله ؛ تكاد تحس أن قلبه أصبح يدق على وقع دقات الجاز .. وكانا ينجحان وهما يرقصان .. كل الناس تلتف حولهما وهما يرقصان ليشهدا نجاحهما ..

واقتربا أكثر وأكثر .. واصبحت تراه كل يوم .. ويأتى اليها فى البيت كل يوم تقريبا .. وأمها وأبوها بدآ يحسان أن رؤوف أصبح الصديق الدائم .. أصبح الحب .. وهى فى حديثها معهما تذكر رؤوف كثـــيرا .. رؤوف قال .. رؤوف يفكر .. رؤوف يريد ..

كل ذلك وهو لم يقبلها بعد ..

لقد أصبحت هى نفسها تنتظر قبلته .. ولكنها لا تكاد تلقاه حتى يشغلها بحـــديث أو مشروع يشغلها عن الاحساس بانتظار قبلته ...

ثم بدأت تلاحظ أنه أخذ يتباعد عن الرقص .. انه لم يعد يريد أن يرقص كل ليلة ؛ ولم يعد يتحدث كثيرا عن الرقصـــات الجديدة ولا عن الأسطوانات .. لقد بدأ يهتم بشىء جديد ، لم يكن

يهتم به كل هذا الاهتمام من قبل .. وبدأ يتدرب على لعب الكرة فى النادى الأهلى .. وكانت تذهب لتجلس بعيدا وهو يلعب .. انه يستطيع ان ينجح فى الكرة أيضا .. انه يلعب الكرة منذ كان صغيرا . ولكنه لم يقرر النجاح فيها الا أخيرا ..

وبعد أن أتم تدريبه ، ركب معها فى سيارة أبيها التى كثيرا ما كان يسمح لها بقيادتها . وخلال الطريق كان يبدو متعبا من طول فترة التمرين التى قضاها فى الملعب ..

وألقى رأسه على كتفها وهى تقود السيارة . وقال :

ـــ أنا هلكت النهارده .. لفيت الملعب خمس مرات وبعدين لعبت .. تسمحى لى أنام ..

واوقفت السيارة على جانب طريق هادىء وقالت ضاحكة :

ـــ أهو انت كده .. ما تعملش حاجه الا وتهلك نفسك فيها ..

ورفع اليها عينيه صامتا كأن عينيه تتوسلان اليها أن يناما فى عينيها .. وطال لقاء عينيه بعينيها ، فى نظرة هادئة حلوة ؛ حتى كادت تحس بعينيه كأنهما عينـــاها .. وقلبها يخفق فى حنان .. واحساسها يحتضنه كأنها أم تريحه .. وشب برأسه فى هدوء ؛ واقترب بشفتيه من شفتيها . والتفت الشفاه ببعضها كما يلتف المجهد بغطائه .. لم تكن قبلته تعبر عن هذا الانتظار الطويل الذى قضياه شهورا طويلة .. كانت قبلة كأن كلا منهما ذهب الى مكانه المخصص له .. طويلة هادئة .. الحب فيها حنان وراحة وأمان ونعيم هادىء ..

انها لا تنسى أبدا هذه القبلة .. وكانت قد جربت القبلات من قبل .. ولكن هذه القبلة هى القبلة الأولى التى عرفت بها معنى القبل .. وعاشت القبلات معهما بعد ذلك .. ولكنها لم تكن أبدا قبلات مفتعلة متعمدة . انها قبلات تجمعهما قبل أن يفكرا فيها ..

وعرفت شهيرة برؤوف ..

وعرف رؤوف بشهيرة ..

وكان يمكن أن يعلنا خطبتهما كما يفعل الآن كل البنات والأولاد حتى ولو لم تنته الخطوبة الى زواج ، انما لمجرد تبرير علاقتهما أمام الناس والمجتمع .. ولكن شهيرة لا تريد .. ان الخطوبة هى مقدمة زواج .. ومقدمات الزواج ليست مجرد الحب .. انها القدرة على البناء .. ورؤوف الى اليوم لا يستطيع أن يضع مقدمات البناء .. انه ناجح .. وهى تحب النجاح .. وتحبه لنفسها أيضا .. ولكنها بدأت تكتشف أن رؤوف يختلف عنها فى طريق الوصول الى النجاح .. انه يغير طريقه دائما .. انه ينجح فيما يتطلبه مزاجه الخاص .. لا للنجاح نفسه .. ومزاجه يتغير بين وقت وآخر .. وقد دفعه مزاجه الخاص الى النجاح فى الرقص .. ثم تغير مزاجه واندفع الى النجاح فى لعب الكرة .. ثم تغير مزاجه اندفع الى النجاح فى لعب البلياردو .. وهى تذكر يوما كان مفروضا فيه أن ينام مبكرا حتى يشترك فى مباراة للكرة فى اليوم التالى .. ان النادى يحتاج اليه فى هذه المباراة .. انها مباراة مع الزمالك .. وسألت عنه فى التليفون فى الساعة الثامنة فلم تجده فى البيت ، وكانت تعرف أنه ذهب الى نادى الجزيرة ، فخرجت من البيت وذهبت الى النادى لتبحث عنه وتعود به لينام استعدادا للمباراة .. وطافت بالنادى كله الى أن وجدته .. وجدته فى صالة البلياردو .. وكان يلعب .. يلعب البلياردو بنفس الحماس والتفانى الذى رأته بهما عندما كان يهوى الرقص ثم عندما أصبح يهوى الكرة .. واقتربت منه وهمست :

— بكره الماتش يا رؤوف .. لازم تستريح ..

ورفع رأسه من فوق البلياردو ، وقال بسرعة وهو ينظر اليها كأنه يلومها لأنها تشغله عن أمر هام :

— اعتذرت للنادى .. خلاص .. شبعت كوره ..

ثم رفع « الاستيكه » بين يديه وانحنى فوقها ليصوبها الى كرة البلياردو .. وكله وراء كرة البلياردو .. ونجح فى البلياردو .. أصبح عضوا هاما فى فريق نادى الجزيرة للبلياردو ، وتقرر أن يسافر مع الفريق الى الخارج للاشتراك فى مباراة دولية ..

وفجأة .. قبل أن يسافر .. انقلب مزاجه واندفع يلعب البريدج ..

وعاشت شهيرة معه فى رحلة البريدج .. انه يقضى الساعات الطويلة جالسا الى مائدة اللعب وكل فكره وكل احساسه ضائع بين أوراق الكتشينه التى يحملها بين أصابعه فى تهافت كأنه يحمل مستقبله كله ..

وتغير نوع أصدقائه .. انه يلعب ويقضى يومه بين أصدقاء كبار السن .. يتحدثون حديثا لا يهمها وينظرون اليها نظرات لا طعم لها ولا معنى .. كأنهم ينظرون الى تمثال لفتاة جميلة يمرون به دون أن يقفوا أمامه .. وتفكيرهم واهتمامهم وكل ما فيهم منحصر فى البريدج .. وكانت تذهب لتراه وتجلس بجانبه حول المائدة ثم تزهق بعد لحظات ، وتحس كأنها انسانة فاشلة .. فاشلة فى أن تعيش حياة حبيبها .. وهى لا تحتمل الاحساس بالفشل . انها تعيش للنجاح وبالنجاح .. فتقوم من جانبه وتجرى وهى لا تدرى الى أين .. وأحيانا كثيرة لا ينتبه الى أنها قامت وجرت من جانبه .. ان كل ما يدريه هو ورق الكوتشينة الذى يحمله بين أصابعه ..

وقالت له :

— رؤوف .. بلاش البريدج ده .. بياخد كل وقتك ، وأنا ما بحدوش ..

وقال ضاحكا :

— تعرفى تشرشل كسب الحرب ليه .. علشان كان لعيب بريدج .. وتعرفى عمر الشريف بأه عالمى ليه .. علشان لعيب بريدج .. اللى عايز ينجح لازم يبتدى بالبريدج ..

وكانت تعلم أنه يوما ما سيتغير مزاجه ويترك البريدج .. ولكن ما أحدثه البريدج فيه أنه أصبح يغار عليها أكثر .. ربما لأنه أصبح يتركها وحدها أكثر .. وقد كان رؤوف منذ أن ارتبطت به يغار عليها ، ويبدو كأنه يحبها باحساس جده أو جد جده .. الفستان ده قصير قوى يا شهيرة ما أقدرش أستحمل ان كل الناس تتفرج على لحم حبيبتى .. ما تضحكيش الضحكه دى يا شهيره ، ده انت زى ما تكونى مركبه ميكروفون . الناس كلهــا سامعه ضحكتك .. مش معقول ترقصى بالشكل ده يا شهيره .. صدرك مكشوف كله يا شهيره ..

وكانت تشكو لأمها من غيرة رؤوف عليها :

— تصورى يا ماما .. ده شويه حايلبسنى برقع ويحطنى فى شوال .. مع ان اخته بتلبس مينى وشورت وبتعمل كل اللى هى عايزاه ..

وضحكت أمها قائلة :

— كلهم كده .. الراجل منهم مهما كان مودرن ومتحرر فى تفكيره ، أول ما يحب ينقلب ويبقى عايش فى أيام جده .. يرجع لأصله .. يبقى شرقى .. وأبوكى مع أنه عاش فى لندن ومتحرر كان برضه يقول البسى ما تلبسيش . واضحكى وما تضحكيش

.. انما بعد شويه .. سنه ولا سنتين .. خلاص .. يهدى .. ويثق فى مراته ويرجع يعيش فى عصره ..

واحتملت شهيرة عقلية حبيبها الشرقى ..

ولكن البريدج جعله أكثر غيرة .. انه ينظر اليها كلما رآها كأنه يبحث فيها عن شيء ينهرها عنه ، ويتشاجر معها من أجله .. وكانت فى أيام كثيرة تقبل دعوة أصدقائها وصديقاتها من زملاء الكلية الى رحلة أو سهرة راقصة .. وكانت تقبل .. انهــا لا تستطيع أن تعيش بلا رقص .. وبلا ناس .. لا تستطيع أن تعيش كورقة كوتشينة ملقاة بجانب مائدة البريدج ..

وكان يقول :

— لا ..

وتشد أنفاسها تستعين بالله والملائكة وتقول :

— لأ ليه .. ؟

— دول ناس ما يستهلوش ..

— اذا ما كانوش عاجبينك تعال معايا ..

— آجى أعمل ليه .. ألعب استغمايه .. ولا أرقص زى العيال .. أنا كبرت يا شهيره ..

— هم اللى يكبروا ما يعملوش حاجه الا البريدج ..

ويستمر النقاش .. وأحيانا يخضع لها ويذهب معها وهى تحس بضيقه فى كل لحظة .. وأحيانا يتركها تذهب وحــدها مفضلا البريدج ، وهما فى خصام .. ليعود النقاش فى اليوم التالى الى أن يتصالحا فى قبلة .. قبلته التى تحبها وتضعف أمامها ..

وفى ليلة قبلت دعوة شلة من الأصدقاء للرقص فى ملهى راقص جديد .. وذهبت وحدها بعد النقاش والخصام اللذين تعودت عليهما .. وليلتها رأت أشرف لأول مرة .. ان أشرف هو عازف

جيتار جديد .. انه شاب ربما لا يزال فى العشرين من عمره ، ولكنه يبدو وكأنه عاش مع الجيتار مائة عام .. انه يحتضن جيتاره الى صدره كأنه قطعة منه . وأصابعه ترقص فوق الأوتار كأنها مجموعة من راقصات الباليه .. ونغماته تسرى فى كل أعصابه .. انها تحب الجيتار أكثر مما يحب والدها العود .. ولكن أشرف يضع فى الجيتار روحا جديدة .. وكل البنات اللاتى يرقصن يتنهدن لأشرف . وهى لا تنظر اليه وهى ترقص ولكنها تنظر الى أصابعه فوق الأوتار .. الى مجموعة راقصات الباليه .. وقد شغلتها أصابعه عن هوايتها للرقص وتعمدها أن تنجح وتتفوق كلما رقصت .. انها فقط ترقص والجيتار يملأ كل عروقها ..

وفجأة ظهر رؤوف ..

انها من المرات القليلة التى يلحقها فيها رؤوف الى مكان .. وفرحت عندما رأته .. انها تحب غيرته وتحبها أكثر عندما تتحول الغيرة الى اندفاع كأنه يريد أن يستعيدها من ايدى لصوص البنات ..

ورؤوف غاضب .. مبوز .. ثم دخل الى حلبة الرقص وهو يدفع عنه الراقصين والراقصات .. وأمسك بيدها وهى ترقص مع علاء :

ــ كفايه كده .. ياللا بينا ..

ــ ليه يا رؤوف .. ما تخلينا شويه .. ارقص معايا .. أنا بقالى كتير ما رقصتش معاك ..

ولكن رؤوف جذبها من يدها وسط الراقصين وخرج بها .. وشلة الأصدقاء تضحك حولهما . وتطلق النكات . ورفع بعضهم الأطباق وأخذوا يدقون عليها وهم يغنون ... اتمخترى يا حلوه يا زينه .. وضحك أشرف عازف الجيتار عندما رأى كل ذلك

وهمس فى أذن رئيس الفرقة فأوقف عزف اللحن الراقص ، وبدأت الفرقة تعزف لحن الزفاف الكنائسى ..

وكل من فى الملهى يضحك ..

وشهيرة سعيدة .. انها تحس بالنجاح .. نجاح حبها .. ان احساسها بالنجاح أقوى دائما من احساسها برأى الناس .. لا يهمها اذا كان الناس يسخرون منها ومن حبيبها أو يحسدونهما .. كل ما يهمها هو النجاح ..

ووصل بها رؤوف الى باب الملهى . والتقى بأحد أصدقائه داخلا :

ــ انت فين يا رؤوف .. عزيز بيه بيدور عليك .. عاملين برتيته الليله انما يظهر كبيره ..

وهز رؤوف رأسه دون أن يجيبه ..

ثم سحب شهيرة الى السيارة التى جاء بها ، وهى سيارة أحد أصدقائه .. وبدأت المناقشة والمشاجرة بينهما .. ولكن رؤوف لم يكن يناقش بحماس .. لقد خفت غضبته ، وهو يبدو كأن عقله سارح فى موضوع بعيد ..

ووصلا الى البيت ..

وأوقف رؤوف السيارة ثم انحنى وقبل شهيرة قبلة سريعة لم تصل الا الى طرف شفتيها ، وقال وهو لا ينظر اليها :

ــ أنا لازم أرجع العربيه لصاحبها .. زمانه بيشتم فى .. تصبحى على خير ..

واتسعت عينا شهيرة وهى تنظر اليه فى تعجب وسخط .. لم تكن تنتظر أن يقيم كل هذه الضجة لمجرد أن يعيدها الى البيت .. كأنه اطمأن الى وضعها فى المخزن .. مخزن البضاعة .. ثم أغلق عليها الباب وانصرف ..

وهى تعلم أين هو ذاهب .. انه لا يتركها ليعيد السيارة لصاحبها .. ولكنه يتركها ليذهب ويلعب البريدج ..

وتركت السيارة ، واغلقت بابها وراءها بعنف كأنها تصفعه بالباب . ودخلت البيت دون أن تتكلم .. والقت بنفسها على فراشها وبكت .. بكت احساسها بالفشل ..

وخف بكاؤها وهى تستعيد كل ذكرياتها مع رؤوف .. ووجدت صورة عازف الجيتار أشرف تقفز بين ذكرياتها .. انه ناجح .. وسينجح أكثر وأكثر .. لأنه اختار للنجاح طريقا واحدا .. أما رؤوف فيتنقل بين طرق النجاح قبل أن يصل الى قمة أى طريق .. ولكن بقى طريق لم يخرج منه رؤوف .. طريق دراسته .. لقد بقى امامه عام واحد وينال بكالوريوس الاقتصاد والعلوم السياسية .. وهو لم يرسب أبدا فى اى امتحان .. فلتنتظره الى أن يتم نجاحه .. وبعد هذا تبدأ معه فى بناء مستقبلهما .. انها تحبه .. وتستطيع أن تنتظره وتتحمله ..

وبقى على الامتحان شهر ..

رؤوف لا يزال متفرغا للعب البريدج ..

وقالت له كأنها تتوسل اليه :

— رؤوف .. مش فاضل الا شهر وكام يوم على الامتحان .. وانت لسه ما ابتدتش تذاكر ..

وقال رؤوف ساخرا :

— عايزه الحق .. ماليش نفس للامتحان .

وصرخت :

— ايه اللى بتقوله ده يا رؤوف .. يعنى ايه مالكش نفس ..

وقال من خلال ابتسامته الساخرة :

— حامتحن وأنجح .. والسنه الجايه أمتحن وانجح ..

وبعدين .. أبقى موظف كبير بسبعتاشر جنيه فى الشهر .. ولو بقيت كبير قوى يبقوا أربعة وعشرين جنيه .. وبعد عشره خمستاشر سنه يبقوا أربعين ولا خمسين جنيه .. تعرفى أنا باكسب كام فى اليوم من البريدج .. على الأقل عشره جنيه .. يعنى على الأقل تلتميت جنيه فى الشهر ..

وشهقت كأنها ترى رؤوف فى صورة جديدة .. وقالت :

— بس البريدج مش مستقبل .. ما تقدرش تحترف البريدج .. اذا كان عمر الشريف بيلعب بريدج مابناش مستقبله على البريدج .. وتشرشل .. وكل اللى بتتكلم عليهم .. و ..

وقاطعها :

— ليه ما يكونش البريدج مستقبل .. اللعب .. لعب الورق .. انتى عارفه اللى بيشتغلوا فى صالة شيرتون بتاعة اللعب بيطلعوا بكام .. يمكن ميه ولا متين ..

واستمرت المناقشة .. وهى تعلم أن نوبة البريدج التى تسيطر على رؤوف هى نوبة لا تلبث ان تختفى كما اختفت نوبات له من قبل ..

ولكن الامتحان ..

انها لا تستطيع أن تنتظر اختفاء النوبة ..

واستطاعت أن تستغل كل ذكائها وكل حبه لها الى أن أقنعته بأن يبدأ المذاكرة .. وأن يذاكر معها فى بيتها .. هى لامتحان الجامعة الامريكية .. وهو يذاكر لامتحان الاقتصاد والعلوم السياسية .. ورحب أبوها وأمها بالفكرة .. انهما يحترمان حبها .. ويحترمان رؤوف لأنه حبيبها .. وهما يثقان فيها ويؤمنان بأن الحرية حماية لها .. وبدأ رؤوف يتردد كل يوم على البيت .. انه يكاد يعيش فيه تقريبا .. وشهيرة تفرح به كلما فتح كتابا

وتفرغ كله له .. بل انها أكثر من ذلك كانت تتصل بالمعيدين الذين يحتاج اليهم فى الدروس الخصوصية ، وتعطيهم رشــوة من ابتسامتها وكلماتها الحلوة والأمل ، حتى يســاعدوا رؤوف على النجاح ..

— تفتكر يا دكتور رؤوف حاينجح .. لازم ينجــح علشــان خاطرى . اوعدنى انه ينجح ، واوعدنى لما ينجح ان احنا نفضل أصدقاء .

كانت تقول الكلام فى التليفون .. وكانت تســعى الى صداقة عائلات الأساتذة المتزوجين .. كانت تحاول ان تساعد رؤوف على النجاح ، كما تساعد نفسها على النجاح فى الامتحانات .

ولكن رؤوف كان أحيانا يختفى .. ويحتج بأى حجة ليختفى ويبتعد عنها ..

وتعرف أن نوبة البريدج قد غلبته ..

وهى أيضا كانت تنتابها نوبة .. نوبة الجيتار .. فلا يكاد رؤوف يختفى ليلة ، حتى تتصل بأصدقائها وتتفق معهم على قضاء المساء فى الملهى الراقص .. وفى كل مرة تزداد اعجابا بفن أشرف .. انه يزداد نجاحا .. الناس كلهم يتحدثون عنه .. والصحف بدأت تكتب عنه .. والبنات يتهافتن عليه ، ويتعلقن به .. وهو يستطيع دائما أن يشدهن اليه .. انه يعزف كأنه يدغدغ صدورهن .. وأحيانا كأنه يلعب معهن استغماية .. انه يتكلم ويغازل ويغضب ويفرح بأوتاره .. ولكنها ظلت حريصة على الابتعاد .. انهــا فقط ترقص وتنظر الى أصــابعه لا اليه .. انها لا تحب أن تكون كبقية البنات المتهافتات عليه . ثم انها تخافه . تخاف احساسها به .. انها تعرف ضعفها نحو الموسيقى ونحو النجاح .. وهو موسيقى ناجح .. وتخشى أن يتحول ضعفها الى شخص الموسيقى الناجح .. ولابد أنه لاحظ تعمدها الابتعاد عنه دون بقية البنات

.. ولابد انه تتبعها بعينيه على الأقل لأنها جميلة .. أجمل البنات .. وفى مرة لمحته يبتسم لها وهو يعزف .. وتجاهلت ابتسامته .

وفى ليلة من هذه الليالى اندمجت فى الرقص .. كان اللحن الراقص ينطلق فى أعصابها الى أن نسيت تعمدها التحفظ أمام أشرف .. ورقصت بما تعودت أن ترقص .. ورقصها يتفوق حتى على اللحن الموسيقى .. وتشد اعجاب كل الناس .. ترقص .. وترقص .. ونزل أشرف من فوق منصــة الفرقة الموسيقية ، واقترب منها وهو يحمل جيتاره .. وأخذ يعزف لها . وتمادى وتفنن فى عزفه كأنه يتحداها أن تصل برقصاتها الى مستوى فنه .. وهى ترقص ، وهو يعزف .. والناس كلهم تركوا لهما حلبة الرقص ووقفوا حولهما يصرخون ويشهقون اعجابا بهما ..

وفجأة ..

رفعت رأسها كأنها لم تكن تدرى بكل هذا .. ورأت أشرف أمامها بالجيتار كأنها لم تكن تعرف أنه معها . وتوقفت عن الرقص .. وأخذت تتلفت حولها فى ذهول .. وأشرف ما يزال يعزف لها كأنه يحرضها على أن تعود للرقص .. ولكنها جرت خارجة خارج حلبة الرقص .. والناس كلهم يصفقون لها .. ينادونها . يهتفون لها .. وهى تجرى الى أن خرجت من الملهى كله ، والقت نفسها وحدها فى سيارة تاكسى ..

وابتسمت سعيدة ..

انها لم تتعمد ما حدث الليلة ..

ولكن ما حدث حلو .. الفن حلو .. والنجاح حلو .. و .. وأشرف حلو .. لا .. ليس أشرف .. انه الجيتار .. الجيتار حلو ..

ولكنها لن تعود ..

يجب ألا تعود ..

انها مسئولة عن شيء أكبر .. مسـئولة عن نجاحها فى الامتحان ونجاح رؤوف ..

وفى الصباح التالى روت كل ما حدث لأبيها وأمها .. ثم روته لرؤوف وهما يبدءان المذاكرة .. انها لا تحب وليس من طبيعتها أن تخفى شيئا .. ولم يهتم رؤوف كثيرا ، ولكنه اخذ يروى لها تفاصيل جلسة البريدج التى سهر فيها ليلة أمس .. تفاصيل لا تهمها .. وهو يطيل فى حديثه ..

وتحاول أن توقفه عن الحديث ..

ذاكر يا رؤوف .. كفايه كلام بأه ..

ودخلت شهيرة الامتحان ..

ونجحت ..

لم يبق الا عام واحد وتتخرج ..

وامتحن رؤوف ..

ورسب ..

سقط رؤوف فى الامتحان ..

ولم يكن سقوطه فى الامتحان هو كل ما هد شهيرة .. ولكن هدها أكثر عدم اهتمامه بالسقوط .. وهدها أكثر وأكثر انه كان قد أخفى عنها أنه لم يتقدم لامتحان معظم المواد .. كان يعرف أنه ساقط قبل أن يسقط ..

* * *

ومضت أيام وشهيرة حائرة لا تستطيع أن ترسم صـورة لمستقبلها . ولا تستطيع أن ترى الطريق الذى تندفع فيه .. اهتز كل شيء فيها حتى حبها لرؤوف .. انها تحبـه .. ولكنها تؤمن

بأن الحب بناء .. أن تبنى هى وحبيبها شيئا .. ولكنها لم تعد تستطيع أن تجد الشيء الذى تبنيه مع رؤوف .. واهتز حبها .. لم تعد ملهوفة على لقائه وأخباره ولم تعد تبذل الجهد الذى تعودت أن تبذله له .. أصبح حبها حبا عاطلا .. حبا بلا عمل ..

وخلال فترة حيرتها كانت تتبع أخبار عازف الجيتار أشرف .. انه يزداد نجاحا وشهرة ، وقد كون فرقة موسيقية خاصة به وأصبحت أشهر الفرق الموسيقية الراقصة .. وأصدقاؤها وصديقاتها يتحدثون عنه دائما .. عن فنه .. وعن مغامراته النسائية .. ان أخباره أصبحت من أخبار النجوم .. نجوم الفن .. وهى تحس بضعف نحوه .. ليس ضعفا عاطفيا .. قطعا انها لا تحبه .. انها تحب رؤوف .. ولكنها تحس بأشرف كقوة تجذبها .. قوة النجاح .. قوة الشهرة .. وتحس بهذه القوة كأنهـا تجذبها من شعرها .. كأن أصابعه التى تتحكم فى أوتار الجيتار تتحكم فى خصلات شعرها ..

وسافرت الى الاسكندرية مع والدها وأمها لقضاء الصيف .

ورؤوف لم يتخلص بعد من نوبة البريدج ولكنه أضاف اليها نوبة سباق الخيل .. وهو يجلس بجانبها على شاطىء عايدة فى المنتزه يدرس ويذاكر جداول سباق الخيل .. ويختفى بعد الظهر ليلعب أو ليتردد على اسطبلات الخيل .. انه مصمم على النجاح فى سباق الخيل كما ينجح فى أى شيء .. وفى المساء يستسلم لنوبة البريدج ..

وأشرف فى الاسكندرية .. انه يقود الفرقة الموسيقية الراقصة فى الملهى الليلى بفندق فلسطين .. وهى لا تزال مترددة فى الذهاب اليه .. منذ أن عزف لها الجيتار وهى ترقص ، لم تذهب اليـه ولم تره .. ولكن لماذا تسـتمر فى التردد .. ماذا يمكن أن يكون

أشرف بالنسبة لها سوى عازف جيتار .. أين جرأتها .. ان حبها لرؤوف هو الذى أفقدها جرأتها .. وثارت على حبها .. الزهق والملل والفراغ غلبت حبها .. وذهبت الى هناك مع الشلة ..

وقامت ترقص مع عصام ، وفى هذه المرة لم تركز نظراتها على أصابع أشرف فوق أوتار الجيتار ، انما ركزت عينيها على وجهه ، كأنها تتعرف عليه من جديد .. ولمحها .. وابتسم لها ابتسامة كبيرة تحمل علامات المفاجأة كأنه لا يصدق عينيه .. وابتسمت له وهى تحاول أن تبدو ابتسامتها هادئة ، رغم أنها لو أطلقتها على حريتها لكانت ابتسامة صارخة .. وانتهى أشرف من عزف المقطوعة التى كان يعزفها ، والتفت الى أعضاء فرقته بسرعة كأنه يختار لهم المقطوعة التالية خلافا للبرنامج الذى وضعه ..

ثم بدأ يعزف لحن اغنية « يا حبيبى أين أنت ؟ .. متى ألقاك صدفة » .. ويبتسم ويهتز وهو يعزف الجيتار كأنه يرقص .. وهى تحس ان كل هذا لها ..

وفى الفترة التى تتوقف فيها الفرقة الموسيقية ليحل محلها التخت الشرقى الذى يقدم الراقصة ناهد صبرى ، جاء أشرف الى مائدتها ، وصافحها فى بساطة كأنه يعرفها دائما ، وقال وعلى وجهه فرحة :

— انت فين يا شهيرة .. بقالى زمان ما شفتكيش ..

وقالت وهى تسحب يدها التى لا يزال محتفظا بها فى يده :

— كان عندى حالة امتحانات ..

قال وهو يشد مقعدا ويجلس بجانبها :

— نجحت ؟

قالت مبتسمة :

— تقريبا ..

قال :

— لازم تكونى نجحتى .. لانك ضحيتى بكل الرقصات الجديدة اللى لعبتها ..

واستمر الحديث بينهما .. وكل من معها ملتفون بعيونهم وآذانهم حوله .. حول أشرف .. لا حولها .. والحديث كله عن الأغانى الجديدة ، والرقصات الجديدة ، ولكنها تحاول أن تكتشفه من خلف حديثه ..

انها تجلس اليه لأول مرة بلا جيتار ..

وقام ليعود الى العزف ، وقال وهو يكاد يهمس :

— أى بلاج ؟ .. عايدة ؟ .. ممكن بكره الساعه تلاته ؟

وهزت رأسها موافقة ..

وقضت ليلتها وهى ترسم صورا جديدة للمستقبل ..

وجاءها فى اليوم التالى وهى جالسة تحت الشمسية على شاطىء عايدة .. وعاد الحديث بينهما ..

انه يقول لها انه لم ينسها أبدا .. وأنه كان ينتظرها كل ليلة .. وهى تقول له انها معجبة به كعازف جيتار ، وكمغنى للأغانى الراقصة .. ثم تمادت وقالت له انها عاشت طويلا بين أصابعه . الأصابع التى ترقص فوق الأوتار .. انها تكاد تقول له أنها تحب أصابعه ..

ووضع أصابعه أمام عينيها قائلا وهو يضحك :

— خلاص بقوا بتوعك .. وبتوع الجيتار .. انتم الاتنين بس ..

وكان يقطع حديثهما المعجبات اللاتى يندفعن اليه :

— ممكن تمضى لى فى الاتوجراف يا أشرف ..

— اقدر آخد صوره معاك يا أشرف ..

— أشرف .. انت هايل فى غنوة غرباء فى الليل ..

وكانت تبتسم وهى تنظر فى استعلاء الى كل هؤلاء المعجبات .. انها لم تذهب اليه كما يفعلن ولكنه هو الذى جاء اليها .. ولكن ما لفت نظرها أكثر هو احساس أشرف بهؤلاء المعجبات .. انه يفرح بهن كأنه جوعان يستقبل طبقا يشبع به غروره .. وعندما تنقطع وفود المعجبات فترة ، ينظر حوله كأنه يبحث عنهن .. ويحلق فى بعض من يمر منهن أمامه كأنه يغريهن بأن يطلبن امضاءه أو صورته .. ثم قام وهو يرجوها أن تسير معه حتى سيارته .. وقامت معه .. انه يسير كأنه يستعرض نفسه .. والناس تنظر اليه أكثر مما تنظر اليها .. ولكن .. هذا طبيعى .. انه فنان مشهور .. وعليها أن تتحمل ..

وقال وهو يضغط على يدها :

— حاشوفك الليله ..

وقالت وهى تتركه يضغط على يدها :

— أحاول ..

وذهبت ليلتها اليه ، وتعمدت أن تصحب معها أباها وأمها بعد أن استطاعت اقناعهما ، وقدمته اليهما .. وكانت كأنها تحمى نفسها بهما منه ..

وجاءها على الشاطىء فى اليوم التالى وقال :

— تعرفى انى لغاية دلوقتى ماكلتش .. جعان .. ياتسيبينى أكلك يا تيجى معايا تغدينى فى أبو قير .. وذهبت معه ..

يده ممسكة دائما بيدها حتى وهو يقود سيارته .. سيارة سندربيرد حمراء تجرى كأنها تصرخ .. وفى مكان هادىء تحت شجرة أوقف السيارة ، والتفت اليها وهو يقترب منها ، وذراعه تستقر فوق كتفيها :

— شهيره .. صدقتينى ولا لسه ..

وقالت وهى حائرة كيف تتصرف :

— مش فاهمه ..

قال وهو يقترب بشفتيه من شفتيها ..

— أفهمك ..

انه سيقبلها .. لم يمض سوى يومين على لقائهما ويحاول أن يقبلها .. ليس كرؤوف الذى مضت عليه شهور قبل أن يحاول .. لا يهم .. ليقبلها .. انها لن تخسر شيئا اذا قبلها .. انها كثيرا ما تركت شفاها تقبلها كنوع من النفاق الاجتماعى .. وربما تعرفه من قبلته أكثر .. وقبلها .. شفتاه تكادان تأكلان شفتيها .. لا .. ليست هذه مجرد قبلة .. انها محاولة استيلاء .. ليست كقبلة رؤوف تحمل كل هذا الحنان .. وكل هذا الهدوء ، وكل هذه الثقة .. ان قبلة رؤوف ليست قبلة جوعان ..

ولم تتأثر بقبلته .. واحتاجت الى كل ارادتها حتى لا تتركه يتمادى فيها .. ورفع شفتيه عن شفتيها وهو ينظر اليها بعينين مسحورتين .. وقال كأنه يلهث :

— فهمتى ..

وقالت وهى تبتعد عنه وترفع ذراعه عن كتفيها :

— اللى عايزنى أفهمه ما يتفهمش ببوسه ، ولا فى يوم واحد ، ولا فى شهر و .. ده علم صعب .. وامتحانه أصعب ..

وقال :

— أنا ما كنتش فاكر انك ممكن تعقدى الحاجات دى بالشكل ده ..

— وفيه حاجه كمان .. مش كفاية انى أفهم ولا أعرف .. لازم أصدق ..

وبقيت معه فى أبى قير حتى انتهى من غذائه . وعرض عليها أن تصحبه الى بيته لتحضر البروفات التى تجريها الفرقة قبل أن تذهب الى الملهى .. ولكنها اعتذرت .. اعتذرت حتى لا تعرض نفسها الى قبلة أخرى ..

ولكنها تزداد ارتباطا به .. انها تذهب كل ليـلة لترقص على موسيقاه .. وتراه كل يوم بعد الظهر لأنه ينام طول الصباح . ويستحمان فى البحر معا أو يذهبان فى سـيارته الى أى مكان .. وتركته يقبلها .. ولكنها لم تكن تعطيه أكثر من القبل .. ودعته كثيرا الى البيت ليختلط بأبيها وأمها .. أصبح من العائلة ..

وانتشرت حكايتها معه .. أشرف وشهيرة .. وهى مزهوة بهذه الحكاية .. وزهوها يغلب حقيقة عواطفها .. انها لا تدرى اذا كانت تحبه ، ولكنها تراه بعقليتها الرقمية .. عقلية الأرقام .. ناجح .. مشهور .. يربح كثيرا .. وتزهو به .. وقد يتزوج .. لماذا لا يتزوج .. من يدرى ..

وكان آخر من علم بحكايتها معه رؤوف .. ووقف أمامهـا محتفظا بكبريائه كأنه يرفض أن يذله أحد ، وقال :

ـ ايه حكايتك مع أشرف ..

وردت ساخرة :

ـ زى حكايتك مع البريدج ..

قال :

ـ أنا سمعت كلام كتير .. واحب أقولك البريدج مش زى أشرف ..

ـ أبدا .. زى بعض .. انت بتلعب كوتشينه وأنا بارقص .

قال :

ـ ارقصى فى حتة تانية ..

قالت :

ـ وانت العب .. لعبة تانية ..

قال :

ـ يعنى مش حتبطلى أشرف ..

قالت :

ـ لما تبطل بريدج .. لما تسيب الكوتشينة .. لما أنا وانت يبقالنا مستقبل ..

قال وكأنه يتحداها :

ـ انت كل اللى يهمك تعرفى واحد من الفنانين المشهورين .. أحب أقولك ان أسهل حاجة انك تعرفى فنان مشهور .. دول سهل .. كلهم سهل .. وأنا حاثبت لك ..

وكانت تعـرف أن من طبيعة رؤوف التحـدى .. ولكنها لم تستطع ان تتصور كيف يفكر فى تحديها ..

ومر يومان ..

وفى اليوم الثالث .. بالليل .. كانت فى الملهى الراقص ترقص مع أصابع أشرف .. ولاحظت تلفت الناس حول الباب وهمسات .. والتفتت .. فرأت النجمة السينمائية المشهورة كوكب رمزى داخلة فى ثيابها التى عرف انها تستوردها من لندن .. وشهقت. فقد كانت تضع ذراعها فى ذراع رؤوف ..

واغتاظت .. الغيظ يأكلها ..

لقد عرف كيف يتحداها ..

والجرسونات يجرون حول الفنانة كوكب .. ومدير الفندق جاء بنفسه ليعد لها المائدة .. والبنات والشبان يجرون اليها .. تسمحى يا مدام كوكب تمضى لى فى الأوتوجراف .. ممكن آخـذ

صورة .. حتى أشرف وفرقته الموسيقية اهتزوا لدخولها ، كأن أوتار الجيتار فوجئت بها ...

وقام رؤوف يرقص مع الفنانة كوكب .. وهى ترقص فى تعال وفنزحة وتنظر الى الراقصين من حولها بابتسامة مصنوعة توزعها عليهم ..

وجنت شهيرة ..

وقبلت التحدى ..

وسحبت عصام من يده وقامت ترقص وقد قررت أن تشد كل الأنظار اليها بعيدا عن الفنانة كوكب .. ورقصت .. ورقصت .. انها تعطى كل ما عندها .. واكتشف أشرف الموقف .. انه يعرف قصة شهيرة مع رؤوف ، وهى الآن تتحداه .. واراد أن يساعدها فى تحديه .. فنزل من منصة الفرقة الموسيقية واقترب منها يعزف لها على الجيتار .. وكوكب من الناحية الأخرى تبذل جهدا .. والناس ابتعدوا عن حلقة الرقص ليشاهدوا صراعا فى فن الرقص ..

ولم تستطع كوكب أن تستمر فى الرقص أمام شهيرة .. تركت الحلقة وابتعدت وهى تخفى غضبها وراء تعاليها وفنزحتها ..

وصفق الناس لشهيرة .. انها لا تزال ترقص .. فى جنون الى ان اسكت أشرف الجيتار .. وهمس :

ــ مبروك .. مسحتيها ..

وانتصرت شهيرة ..

ولكنها ليست سعيدة بهذا النصر ..

وجرت خارج الملهى .. وركنت رأسها على شجرة .. وبكت .. بكت بكل دموعها .. كأنها تغسل رقصاتها بدموعها ..

ولم تر رؤوف بعد ذلك ..

اختفى ..

لا تدرى أين ..

ربما عاد الى القاهرة ..

وازدادت شهيرة ارتباطا بأشرف .. وأصبحت تذهب الى بيته الذى يعيش فيه وحيدا وتراعى الا تذهب الا فى مواعيد البروفات عندما يكون معه بقية أفراد الفرقة ..

وكانت تراه يعيش بكل كيانه فى البروفة .. فى الألحان التى يعزفها ... والأغانى التى يغنيها .. يكاد لا يشعر بوجودها .. ولكن البروفة تنتهى ، وينصرف أفراد الفرقة ... وتجد نفسها وحيدة معه .. ويقبلها .. هذه القبلات الجائعة التى تريد ان تأكلها كلها .. وقد تعودت على قبلاته .. ربما أصبحت تتطلبها . ولكن تصر وتعاند حتى لا يكون بينهما اكثر من القبلات .. وهو عندما ييأس فى كل مرة .. يهز كتفيه بلا مبالاة ، كأنه واثق انها يوما سترضخ ..

ولكنها لم تعد تحتمل المعجبات .. انهن يأخذنه منها .. وهى لا تحبه بينهن .. انه بينهن شخصية أخرى .. شخصية يرسمها لهن .. يفتعل الضحك .. ويفتعل النكتة والكلمة .. ويفتعل الحركة .. وقد أجاد الافتعال حتى لم يعد يحس هو شخصيا بأنه يفتعل .. أصبح الافتعال هو شخصيته الثانية .. وهو يفتح تليفونه وبيته لكل المعجبات .. ويذهب الى دعوات خاصة لارضاء المعجبات .. ويهمه كثيرا لو كانت هذه المعجبة أو تلك من عائلة معروفة أو ابنة كبير من الكبراء .. انه يكاد يسقط تحت قدميها ..

وقد حادثته مرات حول ضعفه أمام المعجبات :

ــ أنا ساعات أحس انى واحدة منهم .. أنا كمان واحدة معجبة ..

ويقول وهو يبذل جهدا ليكون صادقا :
ـ ما تقوليش كده يا شهيرة .. انتى حبيبتى .. يعنى معقول أحب الف واحدة .. انما أنا مضطر .. الفنان ملك الناس ..
وترد فى غيظ :
ـ فنك اللى ملك الناس .. انما انت مش ملك حد .. المعجبة بيك تسمعك وتتفضل تيجى ترقص على الجيتار .. انما مش من حقها تكلمك فى التليفون وتجرى وراك .. وانت مش مسئول انك ترضيها ..
ويقول وهو يحاول ان يهدئها :
ـ ما فيش فرق بين الفن والفنان ..
وتصرخ :
ـ لا .. فيه .. ما حدش يعرفك كشخص .. كلهم يعرفوا فنك بس .. حتى بابا وماما لغاية داوقتى ما يعرفوش الا فنك .. ما حدش عارفك بعيد عن فنك الا انا .. أنا اللى أعرفك من غير الجيتار .. يوم ما تبقى من غير جيتار مش حاتلاقى جنبك الا أنا
وقال ساخرا :
ـ يوم ما أبقى من غير جيتار انتحر .. أموت ..
ثم اقترب منها واستطرد وهو يلفها بذراعيه :
ـ ويمكن علشان عرفتينى قوى يا شهيرة بتبخلى على .. أنا محروم منك يا شهيرة .. انت بتعاقبينى مش بتحبينى ..
وجرت منه ..
ولكن مع الأيام بدأت تقنع نفسها أنها لو أعطته أكثر فربما أراحها من غيرتها من المعجبات .. وابتعد عن كل البنات .. ولا يعود يغيب هذه الغيبات التى تحدث أحيانا من الساعة الثالثة بعد الظهر حتى موعد البروفة الساعة السابعة .. انها تكاد تؤكد انه

يذهب فى هذه الغيبات الى معجبة تعطيه نفسها .. ولكن لماذا لا يتزوج .. يتزوجها ..
وقال وهو ملتف بأعصابه الهادئة :
ـ أنا متجوز .. متجوز واحدة اسمها جيتار .. من يوم ما فتحت عينى وأنا متجوزها .. ولو اتجوزت عليها تسيبنى .. ولو سابتنى أموت .. يا شهيرة اعملى معروف ماتنسيش انى فنان .. والفنان مش بتاع نفسه .. بتاع كل الناس .. والناس بتسمعنى بغنى الحب والعب الحان الحب ، تحس بى أزاى وتصدقنى اذا عرفت انى متجوز .. فيه واحد متجوز بيحب ..
وقالت وهى تكتم غيظها من غروره :
ـ عبد الوهاب متجوز .. وفرانك سيناترا متجوز .. وأم كلثوم متجوزة .. وفردى كان متجوز .. وكلهم بيغنوا للحب..
وقال :
ـ انا حاجة تانية .. انا جمهورى كله شباب ولازم يحسوا بى ويشوفونى عايش زيهم ..
وقال :
ـ الأربعة بتوع البيتلز متجوزين .. وكل جمهورهم شباب.
قال :
ـ من يوم ما اتجوزوا راحت عليهم .. وبعدين فيه حاجة تانية .. أنا عرفت وشفت ستات متجوزة كتير .. وشفت يقدروا يعملوا ايه .. ومش عايز اتجوز واحدة تعمل فى اللى بيعملوه فى أجوازهم ..
قالت :
ـ أنا فاهمة عايز تقول ايه .. انما مش كل المتجوزات ..
قال وهو ينظر اليها كأنه يعدها بالأمل :

ـ لك حق .. مش كلهم .. ومين عارف يمكن تحصل لى حادثة والاقى نفسى متجوز .. وانتى عارفة مين اللى ممكن تحصل لى معاها حادثة ..

وهزت كتفيها بلا مبالاة وهى لا تصدق نظرته ..

وارتبطت به أكثر .. وأصبحت تعيش فى فنه وتحتمل شخصه .. وقد اصبح يدربها على الرقصات الجديدة قبل أن تصل الى الناس .. ثم يجعلها ترقصها كمفاجأة لجمهوره وبعد أن يقدمها فى الميكروفون .. ويصفق لها الناس بعد أن ترقص ..

ولم يكن معنى ذلك أنها احترفت الرقص .. أنها ترقص كما ترقص فى الجامعة .. فى الحفلات الخاصة .. فى النوادى الليلية. كل ما هنالك أنها غيرت الشلة التى ترقص معها .. أصبحت شلة أشرف ..

وفاجأها أشرف بان بدأ يدربها على الغناء .. أنها ستغنى لفرقته الموسيقية .. وهى تغنى طول حياتها ، ولكن عندما بدأ أشرف يدربها أحست كانها تبدأ من جديد .. وهو يصبح انسانا آخر وهو يدربها .. ينسى كل شىء الا فنه .. قاس ، يشخط ، ويصرخ ، وتكاد تحس أنه سيصفعها عندما تردد مقطعا لا يعجبه.

وغنت أمام الجمهور وهى واقفة وسط فرقة أشرف ..

ودوى التصفيق ..

نجحت .. نجاحا أكبر مما كان ينتظره أشرف نفسه ..

وأمام الجمهور جرت الى أشرف وهو واقف محتضن الجيتار ، واحتضنته مع الجيتار ، وقبلته .. انها تريد أن تقول للناس بقبلتها أن هذا الرجل هو الذى صنع لها هذا النجاح ..

وخرجت معه بعد انتهاء السهرة يسهران فى حدائق قصر المنتزه قبل أن يعود كل منهما الى بيته .. وهو متعب .. وهى

متعبة .. تعب الفرحة .. وتحت شجرة ألقى نفسه على حشائش الأرض وهو يتحدث عن فرقته وما ينقصها واخطاء كل فرد من افرادها أثناء العزف الليلة .. ورقدت بجانبه تستمع اليه ..

وأدار اليها وجهه .. ونظر اليها نظرة طويلة .. ثم قبلها .. قبلة سريعة .. هادئة .. كأنه يهنئها بها على نجاحها .. ولكن القبلة تكررت الى أن وصلت الى حد قبلته التى يكاد يأكلها بها ..

وتركته يأكلها ..

لم تعد عذراء ..

وعادت الى بيتها وقد نسيت فرحة نجاحها .. ورقدت فى فراشها ودموع صامتة مستسلمة تزحف على خديها .. ولكن ماذا يهم .. لم تعد هذه مشكلة فى المجتمع الحديث .. لم يعد هناك عذراء ولا عذرية .. ان حبوب منع الحمل حلت هذه المشكلة .. كانت الفتاة تحرص على ان تكون عذراء حتى لا تحبل ، أما اليوم فهى تستطيع الا تحمل حتى لو لم تكن عذراء .. أن المساواة بين الرجل والمرأة وصلت الى هذا الحد .. كان الرجل حرا فى حياته الجنسية لأنه لاشىء يتغير فيه ، وأصبحت المرأة حرة مثله لأنه لم يعد هناك شىء يتغير فيها .. وهى تعرف أن كثيرات من زميلاتها يحتفظن بحبوب منع الحمل حتى يزاولن حريتهن .. وهى ليست غريبة عن هذا المجتمع .. فلماذا تبكى .. لماذا تحمل كل هذا الهم .. ولكن .. هل تناولت حبوب منع الحمل ؟.

وابتسمت لنفسها ابتسامة رثاء .. ترثى نفسها وشبابها .. انها يجب أن تتعود منذ الآن على شراء وتجميع حبوب منع الحمل.

وفى الصباح صرحت لأمها بما حدث ..

والأم المتحررة التى تؤمن بالحرية بالانطلاق فى المجتمع الحديث ، ذهلت ، وامتقع وجهها .. كأنها تسمع خبر وفاة عزيز

عليها .. وقالت وصوتها يرتعش كأنها تكتم ضجيجا فى صدرها :

ـ خدى بالك من نفسك يا شهيرة .. خدى بالك ..

ولاول مرة تخفى شهيرة وأمها سرا على الأب ..

انه لا يعلم ..

لا يعلم أن حـرية البنت لا تحميها دائما ، كما كان يتصـور ويؤمن ..

***

واشتهرت شهيرة كمطربة أغانى أجنبية مع الموسيقى الراقصة.

انها أول مصرية تشتهر بهذا الفن ..

انها تســير مع أشرف فينظر اليها الناس أكثر مما ينظرون اليه ..

والمعجبات والمعجبون يتهافتون عليها لتوقيع الأوتوجـراف والتقاط الصور ..

والصحف بدأت تكتب عنها وتنشر صورتها ..

والعائلات الكبيرة يدعونها كفرحة يقدمونها لبناتهم وأولادهم.

وهى تحب شهرتها ..

انها اقصى ما كانت تتمناه من أمل ..

وأصـبحت تحب أشرف .. انه الحب الذى أعطاها النجاح والشهرة .. انه حب بناء .. وطول عمرها كانت تؤمن بأن الحب هو ان يجتمع اثنان للبناء ..

ولكن أشرف بدأ يتغير ..

انه يقلل من ظهوره معها أمـام الناس .. ثم أصـبح يرفض الدعوات التى تجمعها معه .. بل حتى فى الملهى الذى يعملون فيه كان يتعمد أن يتقرب الى بنات أخريات خصوصا بنات العائلات المشهورة .. وكان كأنه يبحث ويحاول أن يفتعل قصة حب جديدة

تعرف الناس وتجمع اسمه باسم فتاة أخرى .. ووسط كل هذا كان يتسلل اليها ليأخذها وينال جسدها .. فى الخفاء .. ويقسم لها أنه يحبها .. هى وحدها التى يحبها ..

حتى لو كان صادقا فى حبه فهو يريد أن يخفى هـذا الحب ويبقيه سرا .. انها أنانية الفنان وقسـوته التى تدفعه أن يحرص على صورته أمام الناس حتى لو ضحى بأعز الناس اليه .. ان كل فنان تتغلب شخصيته الثانية التى يبدو بها أمام الناس على شخصيته الأولى .. شخصيته الحقيقية ..

وأشرف يريد أن يخفيها ، ويريدها أن تعيش معه فى السر .. كأنها مومس .. حتى يظل محتفظا بصورته أمام البنات المعجبات.

وبدأت تصرخ فى وجهه ..

المشاجرات بينهما لا تنتهى ....

وقد جربت أن تحرمه من نفسها .. جربت الا تعطيه نفسها الا اذا أعلن حبه للناس .. وقد جن من حرمانه منها .. انها تحس أن مركز ضعفه نحوها هو جسـدها .. بل أنه فى ليلة حاول أن يقنعها أن تبقى له بعد انتهاء السهرة وادعت الموافقة ، ثم هربت منه ، وأسرعت عائدة الى بيتها .. وفوجئت قبل أن تنام بدقات خافتة على الباب ، فقامت اليه وسمعت صوته قبل أن تفتح .. انه يرجوها أن تفتح .. ولكنها لن تفتح .. أبدا لن تفتح له الباب يجب أن يجرب عذاب الحرمان لعله يفيق من أنانيته .. وسمعته يبكى من خلف الباب .. انه يبكى .. لم تسمعه من قبل يبكى .. كان غروره دائما أقوى من البكاء .. وهمت أن تفتح الباب .. لا .. لن تفتح .. ورقدت على الأرض بجانب الباب .. ونامت .. نامت فعلا .. واستيقظت فجأة فى السـاعة الخامسة وتنبهت .

واعتقدت أن أشرف لا بد أنه غادر بابها .. وفتحت الباب كى تتأكد .. وفوجئت وهى تراه نائما على بلاط عتبة الباب ..

ـ أشرف .. أشرف .. قوم روح ..

ولم يتغير أشرف .. ظل على أنانيته مصرا على أن يبقى حبه لها فى السر ، حتى يحتفظ بمغامرات المعجبات وصورته كساحر نساء ..

وحاولت أن تثير غيرته عليها ..

كانت تتعمد أن تشجع الشبان عليها داخل الملهى وعلى شاطىء عايدة ، وكانت تقبل دعوات كثيرة بمفردها .. ولكنه لا يغار عليها . بالعكس . يبدو أنه يشجعها ويفرح بعلاقاتها بالرجال الآخرين .. انه يريدها أن تساعده على نفى صورة حبها من أذهان الناس، حتى يظل كل منهما محتفظا بشخصيته الثانية . شخصية الفنان.

انه لا يغار عليها ..

ولكنها بدأت تكتشف انه يغار منها ..

يغار من شهرتها ..

يغار من اسمها الذى أصبح على ألسنة الناس كاسمه ..

يغار من انتظار الناس لها لتغنى ..

ربما كان يخاف أن تصبح أقوى منه .. أن يصبح هو بجانبها عازف جيتار ..

وبدأ يضيق من مجالها الفنى .. كانت كل ليلة تغنى مع الفرقة عشر أغانى ، فجعلها ست أغانى ، ثم جعلها أربع أغانى ، ثم جعلها تغنى أغنيتين فقط ، وهو يتولى وحدة بقية أغانى السهرة ..

وكان فى الأول حريصا على أن يلقنها الأغانى الجديدة ، ولكنه أصبح يحتفظ بالأغانى الجديدة لنفسه ، ويترك لها الأغانى القديمة التى مل الجمهور ترديدها ..

كل ذلك وهو يسعى ليظل محتفظا بمتعة جسدها ..

انه لا يريد أن يترك لها قيمة بالنسبة له الا قيمة جسدها ..

وثارت ..

وتكررت المناقشات الحادة والمشاجرات بينهما ...

ولا أمل ..

انه لا يتغير .. ان أنانيته .. أنانية الفنان لا يمكن أن يغلبها شىء .

ووصلت الى الانفعال بالتحدى .. ستتحداه بنفس سلاحه . ستفرض أنانيتها كما يفرض أنانيته .. حتى لو قضت عليه كفنان كما يحاول أن يقضى عليها كفنانة ..

وكان موسم الاسكندرية قد قارب الانتهاء ..

وقررت أن تبدأ فى القاهرة بداية جديدة ..

قررت أن تكون فرقة موسيقية خاصة بها وتغنى بها ، تقف فى وجه فرقة أشرف ..

***

وفى القاهرة بدأت شهيرة حياة جديدة ..

ان كل ما فى رأسها وكل ما تنبض به أعصابها هو تكوين فرقتها الموسيقية .

واتصلت بأصدقائها وزملائها فى الجامعة الامريكية الذين يجيدون هواية العزف على الآلات الموسيقية ، والذين يجيدون الرقصات .. وتحمسوا كلهم للفكرة وقرروا أن يتعاونوا جميعا فى رأس المال الذى يحتاجون اليه لاستيراد آلات جديدة .. واستيراد الألحان بمجرد ظهورها فى الخارج .. كل واحد يساهم بما يستطيعه ..

وقد عرف والد شهيرة بالمشروع وتحمس له واعطاها أكثر مما طلبته من مال لتساهم به فى التمويل ، وساعدتها أمها أيضا .. ان كليهما فرح بها عندما أصبحت فنانة ، ويزهوان بها أكثر وهى تقدم على مشروعات فنية أكبر ..

واختارت الشلة من بينها مديرا ماليا ، واختارت قائدا للأوركسترا .. وشهيرة ستكون المطربة ، والراقصة الأولى ..

وبدأت الأفكار الجديدة التى تعبر عن أحلام الشلة تأخذ طريقها للتنفيذ ..

قرروا أن يضموا الفرقة ستة من الراقصين والراقصات ليتولوا عرض الرقصات الجديدة وتعليمها للجمهور .. فما دامت الفرقة للموسيقى الراقصة ، فلا يكفى أن تكون كل مهمتها العزف بل يجب أن تتولى أيضا تقديم الرقصات ..

وقرروا أن يقدموا المشروع الذى كانوا يتحدثون عنه كثيرا فى الجامعة ، وهو تطوير الرقص البلدى بحيث يصبح رقصا جماعيا يرقصه الرجال والنساء فى حلبات الرقص بالنوادى الليلية كما يرقصون الروك آند رول .. والبوجولو .. واستطاعوا ان يقنعوا الفنان محمود عاصم المتخصص فى فن الرقص أن ينضم اليهم ويضع خطوات الرقص البلدى الجماعى .. وكان المشروع الذى وضعه عاصم يرسم الرقصة بأن يرقص الرجل وفى يده عصاه كما هى صورة رقصات الرجال البلدى المعروفة ، وان يحرك قدميه نفس الحركات القديمة ، فى حين انه رسم رقصة الفتاة بخليط من حركات الرقص البدوى الذى يعتمد على تحركات القدمين ، والرقص البلدى المعروف الذى يعتمد على هزات الوسط ، كما

طور موسيقى الرقصة بحيث حررها من الايقاع البطىء وجعلها موسيقى سريعة تحمل طابع الشباب والعصر الحديث ..

وكثير من المشروعات الفنية ..

وهم يتدربون على الأغانى والرقصات ويتناقشون طول النهار والليل .. وشهيرة تحس أنها وضعت كل حياتها فى مشروعها .. تموت لو فشلت ..

وانتشر خبر الاعداد للفرقة فى الوسط الفنى .. وتقدم اثنان من فرقة أشرف يريدان الانضمام اليها ، بلا أجر ، ولكن بنصيب من الأرباح .. وقبلتهما الشلة ..

وجن أشرف ..

وجاء يحاول اقناع شهيرة بالعودة الى فرقته .. انه يعتذر عن كل أخطائه .. سيحقق لها كل ما تريده .. سيترك لها كل الأغانى الجديدة .. وسيتركها تغنى وحدها طول السهرة ...

ولكن لا .. لا تقبل .. ان الاحساس بالتحدى يملؤها .. ولكن الحب .. الحب يا شهيرة .. حبك لأشرف .. اين ذهب .. لا تدرى .. لا تدرى اين ذهب حبها لأشرف ، ولا أين ذهب حبها لرؤوف .. لا تدرى .. كل ما تدريه أن الحب بناء .. وقد فشلت فى بناء اى شيء مع رؤوف .. وتوقف البناء مع أشرف وكاد ينقلب الى هدم .. انها تحب البناء .. وهى الآن تحب كل الشلة التى كونت منها الفرقة .. ربما .. ربما تحب نفسها ..

وهز أشرف كتفيه فى غرور .. ان هذه الفرقة الجديدة لن تنجح .. لن تستطيع أن تقف أمامه .. وذهب وهو يفكر من جديد كيف يحطم شهيرة ..

***

واستطاعت الفرقة أن تتفق على تقديم نفسها على ملهى ليلى كبير . وقبل صاحب الملهى الاتفاق لأنهم شباب ، ولان شهيرة أصبحت معروفة ، ولأنهم تساهلوا له فى الأسعار ..

وبدأت الفرقة وفوق المنصة مجموعة كبيرة من العصى البلدى موضوعة على جانب ، والناس تتساءل عن سرها ..

وانطلقت الموسيقى فيها كل جمال وروعة وحماس الشباب ..

وانطلقت شهيرة تغنى الاغانى الجديدة وهى تكاد تذوب مع صوتها ..

وفى منتصف الليل تماما ـ كما كان الاتفاق ـ همست شهيرة فى الميكرفون :

وردد أفراد الفرقة وراءها :

ـ بلدى ..

ـ بلدى .. بلدى .. بلدى .. والأصوات ترتفع أكثر .. بلدى .. بلدى .. بلدى ..

ثم بدأت الفرقة تعزف لحن « بلدى الجديد » ..

وقفز راقصو الفرقة وشد الرجال فيهم كل منهم عصاه من العصى المجموعة ..

وبدأت رقصة « بلدى » ..

والجمهور يهلل ..

ثم أخذ راقصو الفرقة يشدون النساء والرجال بين جمهور الحاضرين ويدربونهم على رقصة بلدى ..

الكل يرقصها .. كل واحد يشد عصاه من فوق المنصة ويرقص بها أمام فتاة ..

نجاح ..

تصفيق لا يكف كلما انتهت الرقصة ، ليستعيدوها .. وصيحات بلدى .. بلدى ..

وانتهت الليلة وأفراد الفرقة يقبلون بعضهم بعضا ..

كل هذا النجاح ..

النجاح حلو .. النجاح نعمة ..

***

واستمر النجاح .. وكل الفرق الموسيقية أصبحت تعزف الرقصة التى أصبحت معروفة باسم « بلدى » .. وكل الناس يرقصونها .. لم يعد الرقص البلدى عيبا ، ولا مقصورا على المحترفات .. أصبح الجيل الجديد يرقص بلدى .. والصحف العالمية تحدثت عن الرقصة الجديدة .. النيوزويك .. وبارى ماتش .. و .. ومحطات التليفزيون الأجنبية نقلت الرقصة ، وأصبح العالم يرقصها ويطلق عليها نفس الاسم B[illegible]ad .. انضمت الى رقصة الجيرك والروك أندرول وبقية الرقصات ..

وشهيرة تزداد نجاحا وشهرة ..

نجمة فرقة موسيقية ..

ونجمة تليفزيونية ..

ثم أصبحت نجمة سينمائية أيضا ..

وتغيرت شهيرة .. أصيبت بعقدة ازدواج الشخصية .. الشخصية التى تواجه بها الناس كفنانة ، والشخصية التى تخلو بها الى نفسها .. وأصبح فيها كل ما كانت تشكو منه فى شخصية أشرف .. انها تسير وهى تدعو بعينيها المعجبين والمعجبات .. وهى تتعمد أن توقع كل الناس فى غرامها .. وتنافق كل من تحتاج اليه فى فنها .. تنافق أصحاب الملاهى الراقصة التى تلعب فيها فرقتها وتنافق رجال التليفزيون ورجال السينما ، وتنافق

اكثر رجال الصحافة .. انها مضطرة أن تقبل دعوة الأستاذ ـ رشاد المحرر الفنى للغداء فى نادى الجزيرة حتى يزهو ويتعايق بها أمام الناس .. ومضطرة أن تقبل دعوة الأستاذ ـ أيوب رئيس التحرير الى العشاء .. ومضطرة ان تقبل كل حديث تليفونى من صحفى .. وتنافق بابتسامة .. وكلمة .. ونفاق .. نفاق .. بل انها تضطر أحيانا أن تصل فى نفاقها الى حد الغزل وترك أيدى خشنة تقززها تلمس جسدها .

وعندما تخلو الى نفسها قبل أن تنام تحس كأنها وحيدة مجهولة .. لا أحد يعرفها .. لا أحد يعرف شهيرة الحقيقية .. شهيرة من داخلها .. ليس لها أحد يحبها هى .. ليس لها أحد يراها كما لا يراها الناس .. تعود الى أيامها الأولى عندما كانت تحب رؤوف .. وعندما كانت كل امنياتها أن ينجح رؤوف ويتزوجا وتعيش له ولبيتها ولأولادها ولنفسها .. أين رؤوف الآن .. ربما لو عاد اليها لعادت الى حبه .. وتركت كل هذا النجاح لتبحث معه عن نجاح هادىء حلو .

ورأت رؤوف .. جاء الى الملهى مع شلة من الاصدقاء والصديقات واهتز قلبها عندما رأته ، وبدأت تغنى كأنها تستعيد أحلى ذكرياتها ، وتختار الأغانى الهادئة التى تصعد بها الى سماء ناعمة .. سماء ذكرياتها .. سماء الحب .. وأسرعت اليه بعد أن انتهت من الغناء .. لم يكن يهمها من معه ، هل معه فتاة يحبها . لم يكن يهمها الا أن تعود اليه .. واستقبلها رؤوف فى فرحة ، واحست وهو يقدم لها اصدقاءه وصديقاته بنفس الاحساس الذى تحس به نحو واحد من الجمهور .. جمهور الفنان .. انه يزهو ويتفاخر لأنها جاءت اليه .. ويحدثها بمديح عن أغنياتها وفنها . ثم شد الورقة التى تحمل قائمة المشروبات والأطعمة ورجاها أن

توقع له عليها حتى يحتفظ بها .. انه لا يراها كشهيرة .. ولكنه يراها كما يراها كل الناس .. شهيرة الفنانة .. يا حبيبى لا ترانى بعيون الناس ..

وقامت من جانبه يائسة .. فقدت حلاوة كل ذكرياتها ..

وهى تريد الحب ..

ولكن يبدو أن الفنان ليس من حقه أن يحب ، وليس من حقه أن يجد انسانا يحبه لذاته .. كل المخلوقات تحب فنه .. حتى كلبتها الصغيرة التى تربيها منذ سنوات ربما لا تحبها الا لأنها أحيانا تغنى لها ..

ان النجاح والشهرة ثمنهما أن يضحى الانسان بذاته .. أن يصبح شيئا عاما .. كالأوتوبيس ..

ودخلت مرحلة جديدة من حياتها حاولت فيها أن تتغلب على الحرمان الذى تعانيه ..

لم تعد تبحث عن الحب ..

أصبح يكفيها « الاستلطاف » ..

كانت « تستلطف » شابا من المعجبين المتهافتين عليها .. ربما يشدها اليه شكله ، أو خفة دمه ، أو حيويته .. وتشجعه .. وتذهب معه .. تعطيه وتأخذ منه .. وهو معها يراها كما يراها الناس .. شهيرة المشهورة .. يتكلم معها كلاما لا يقال الا الى مشهورة .. ويتصرف لأنه فى حضرة مشهورة .. لا أحد يحاول أن يراها كما لا يراها الناس . لا أحد يحاول أن يكتشف شخصيتها الخاصة .. وفى اليوم التالى تهمله .. كأنه لم يحدث بينهما شىء .. ولم يجتمعا فوق فراش .. ولكنها تراعى فى اهمالها له الا تفقده الأمل ، حتى لا تقلبه الى عدو ، وحتى لا تعانى من الحاجة

وان كانت تحرص دائما على الا تختار للياليها ، الا شبابا من مستوى اجتماعى يؤمن بحرية « الاستلطاف » ..

ودفعتها هذه المرحلة الى أن يكون لها شقة خاصة أعطتها لصديقتها زيزى لتقيم فيها ، وأصبح من حقها أن تتردد عليها فى حالات الاستلطاف ..

وبدأت الكلمات تدور حولها .. وبدأت تبذل جهدا لصد الكلمات والاشاعات .. انها تحرص على أن تغفل الصحف والاعلانات عند ذكر اسمها لقب « آنسة » .. ونضحك .. ها .. ها .. آنسة .. ان لقب آنسة أصبح كلقب ملاك .. أو شيخة .. أو قديسة .. وأصبحت تحرص على أن تشترك فى نشاط الجمعيات الخيرية ، والجمعيات النسائية ، وتزور المستشفيات .. وهى فى كل مكان تستقبل كفنانة محترمة .. انها محتاجة أن تستتر وراء هذا الاحترام .. محتاجة أن تضيف الى صورتها أمام الناس خطوطا تبرزها كفتاة من عائلة كبيرة هوت الغناء والرقص فأصبحت فنانة ..

ولكنها بدأت تتعب ..

كل هذه الحياة لا تريدها ولم تكن تريدها ..

انها لم تكن أبدا تريد هذه الشهرة .. لم تكن تريد أن تكون لكل الناس .. كانت تريد أن تكون حياتها لها وحدها .. وأن تكون لرجل واحد .. وان تجد رجلا لها وحدها .. رجلا يراها بعينيه وباحساسه لا كما يراها كل الناس .. انها لم تبحث عن الشهرة ولكنها بحثت عن النجاح .. والنجاح الذى وجدته أدى بها الى الشهرة .. والشهرة رخيصة ، سهلة ، متعبة .. انها شهوة عندما تتحكم فى انسان يمكن أن تفرض عليه كل المساوىء ، وتصبح شهوة الشهرة هى أساس كل تصرفاته فوق الفن ، وفوق العمل المجدى ، وفوق النتائج التى يصل اليها .. أن الخط اشتهر

بعد أول جريمة قتل ، ولأنه احب شهرته ارتكب عشرات جرائم القتل حتى يظل محتفظا بشهرته .. وربما كان على حق فى جريمته الأولى ، ولكنه ليس على حق فى كل جرائمه التالية لأنه لم يكن محتاجا اليها ، ولكنه كان محتاجا الى الشهرة ..

واحساسها بالشهرة الذى تمكن منها أصبح يدفعها الى مزيد من الجرائم .. جرائم فى الفن .. وجرائم فى نفسها ..

وبدأت تنتابها حالات عصبية ..

اصبحت تكره الوقوف امام الناس لتغنى ..

واصبحت تكره الذين يلتفون حولها ويطلبون توقيعها وصورتها ..

وأصبحت تكره صورتها فى الصحف ..

وبدأت تنقطع عن فرقتها الموسيقية فترات متكررة ، حتى اضطرت الفرقة أن تبحث عن مغنية أخرى .. وتنقطع عن مواعيد العمل فى التليفزيون واستديوهات السينما .. وترفع سماعة التليفون حتى لا تتحدث الى أحد .. لم تعد تطيق الا أن تجلس مع نفسها .. مع شهيرة التى لا يعرفها أحد ..

وحاول أبوها وامها أن يعرضاها على طبيب نفسانى .. ولكنها ترفض .. انها تعرف تماما ما تعانيه .. وطلبت منهما أن يسافروا الى الخارج .. بعيدا عن هنا .. بعيدا عن شهرتها .. ربما وجدت هناك انسانا لا يراها بعيون الناس ..

***

وفى استكهولم التقت شهيرة بالدكتور عاطف محيى الدين ..

لقد مضى على عاطف خمسة عشر عاما وهو فى استكهولم .. تلقى دراسته هناك .. ولتفوقه عمل هناك .. انه طبيب فى المستشفى الرئيسى ، وله عيادة خاصة .. وهو لم يسمع عن شهيرة

ولم يرها من قبل .. وقد مضت أسابيع بعد أن عرفته وهو يراها بعينيه لا بعيون الناس .. وعندما قصت عليه قصتها وقالت له انها فنانة مشهورة لم يتأثر بهذه الشهرة لأنه لم يعش فيها .. لم يعرفها وهى مشهورة .. ولم يرها كما يراها الآخرون .. انه لا يراها الا بعينيه واحساسه .. ويراها من داخلها .. يرى شخصيتها لا صورتها ...

وعاشت معه ..

تزوجته ..

وتلقت دروسا فى التمريض لتكون ممرضة فى عيادة زوجها الدكتور ـ عاطف محيى الدين ..

وهى سعيدة ..

لقد وجدت نفسها .. استردت نفسها من الناس ..

وهى لا تزال تعيش فى فنها .. انها ترقص وتغنى .. كل الناس يرقصون ويغنون .. كل البيوت السعيدة مليئة بالرقص والغناء .. وبيتها مزدحم بآخر الاسطوانات ، ومرآتها تشاهد منها آخر الرقصات .. وزوجها يصحبها فى ليلة الاجازة الأسبوعية ليرقصا فى ملهى .. ان الفن فى ذاتها .. وكل ما كان يتعبها ، ليس الفن . ولكن تجارة الفن .. لم تعد تتاجر بفنها .. ولم يعد الناس يرونها بعيون ترى فنها ولا ترى حقيقتها .. ان الناس الآن يرون شهيرة .. وحبيبها .. زوجها .. لا يراها بعيون الناس ولكن بعينيه ..

كلمة

كنت قد اعددت قصة « أبى فوق الشجرة » لنشرها كقصة مسلسلة فى « روز اليوسف » ولكنى لظروف خاصة ـ وكما ذكرت فى مقدمة هذه المجموعة ـ توقفت عن العمل فى روز اليوسف وبالتالى توقفت عن النشر ، ثم توقفت عن اتمام القصة كعمل أدبى مجرد ، واعدت كتابتها كقصة سينمائية ..

ورغم انى قمت بنفسى باعداد السيناريو والحوار ، الا أنى أكتفى بنشر القصة كما كتبتها قبل السيناريو ، حتى أعرض الفرق الكبير بين مراحل العمل السينمائى ..

فكتابة القصة السينمائية أو المعالجة السينمائية التى يسميها السينمائيون « تريتمنت » هى المرحلة الأولى ، وبعد ذلك تتعرض هذه المرحلة لتغييرات وتطورات كثيرة الى ان تصبح « سيناريو » أو الصورة السينمائية التى يشاهدها الجمهور ..

والذين شاهدوا فيلم « أبى فوق الشجرة » سيكتشفون هذا الفرق الكبير بين المرحلة الأولى ، والمرحلة الثانية .. وربما اكتشفوا ايضا الوقت الطويل ، والجهد ، والمتاعب التى تبذل فى اعداد العمل السينمائى ..

احسان ..

أبي فـــوق الشـــجرة

عائلة متوسطة تقيم فى حى الروضة ..

الأب .. السيد كمال عبد الحميد .. فى الثانية والخمسين من عمره .. محتفظ بكل رجولته ، ويعتنى اعتناء خاصا بمظهره .. شاربه الصغير مهندم .. ولا يزال سواد شعره يغلب على بياضه .. ويثق ثقة كبيرة فى ذكائه الى حد الغرور .. ويتكلم كثيرا عن مغامراته أيام شبابه ويعتبر الجيل الجديد جيلا ضعيفا ليس فيه رجولة الجيل الماضى .. وهو خريج مدرسة التجارة المتوسطة، ولكنه استطاع بذكائه أن يصل الى منصب وكيل الحسابات فى الشركة .. مرتبه خمسة وستون جنيها .. ولكنه يستطيع دائما ان يزيد من دخله .. ويسيطر على البيت سيطرة تامة ، ويعامل زوجته كأنه ربها الأعلى ، ويعامل أولاده بحزم .. ولكن دون تزمت .. فهو متبسط مرح طيب القلب ، وان كان لا يخلو من الانانية . يضاف الى هذا انه يهوى العزف على العود . ويجتمع بأصدقائه أحيانا فى البيت فى جلسات لا تشترك فيها الزوجات .. ويعزف لأصدقائه .. ولكنه لا يؤمن بهوايته كفن ولا يتركها تسيطر عليه ويعتبرها نوعا من التسلية .

الزوجة .. صفية .. سيدة طيبة ، فيها كل حنان الأم ، وكل طاعة الزوجة .. تعبد أولادها وتعبد زوجها ، وتنظر اليه دائما

مبهورة برجولتـه ، وجماله ، وذكائه ، وقوته ، رغـم مضى اثنين وعشرين عاما على زواجها منه .. عالمها هو بيتها الصغير . وتعتقد أن لزوجها عالما آخر لا تعرفه وليس من حقها أن تتدخل فيه ..

الابن .. عادل عبد الحميد .. فى العشرين من عمره .. طالب فى السنة الثانية بكلية الهندسة .. صورة رائعة لشباب الجيل الجديد .. وسيم .. ذكى .. مرح .. عاطفى .. ناجح دائما .. يحب الناس كلهم ، والناس يحبونه .. وهو امل كبير لكل البنات ، ولكن علاقاته بالبنات كلها علاقات نقية صافية .. لا يحاول أن يتباهى باعجابهن به .. ولا يحاول أن يفتعل علاقة خاصة باحداهن .. وهو يحب آمال ، شقيقة زميل له تعود أن يستذكر دروسه معه .. وهى من عائلة فى مستوى أعلى قليلا من مستوى عائلته .. وحبه بلا مشاكل .. ينمو فى جو عائلى نظيف .. وهو يذهب مع آمال الى السينما برفقة شقيقها أو عائلتها .. ويخرج معها فى رحلات جماعية .. ويرقص معها فى الحفلات العائلية .. وكلاهما ينتظر يوم يتخرج ليتزوجا ، وان كانا لم يتحدثا أبدا عن الزواج .. وكل عيب عادل ، انه كبير الثقة بنفسه .. ويسيطر عليه حب الاستطلاع ، يريد ان يعرف كل شىء .. وثقته فى نفسه تزوده بالجراة على الاندفاع ، فى كل مجال يصادفه .. وهو يحترم أباه ، ويعبد أمه وشقيقته .. ويهوى الغناء ، ولكنه كأبيه لا يعترف بهوايته كفن ..

الابنة .. أحلام .. فى السادسة عشرة من عمرها .. طالبة فى التوجيهية .. ذكية .. مرحة .. خفيفة الدم .. تحب اخاها ، وتعرف قصة حبه لآمال .. وقد تعود أن يطلعها على أسراره ..

وقد تعود الأب أن يسمح لابنه بالسفر الى الاسكندرية كل عام كمكافأة له على نجاحه ، اذا لم تصيف العائلة كلها ..

ولعادل زميل فى الجامعة من أهـل الاسكندرية يمتلك كابين خشبى ملقى بعيدا فى صحراء سيدى بشر ، ويبعد عن الشاطىء حوالى نصف ساعة سيرا على الأقدام .. وقد تعود الصديق أن يترك الكابين لعادل ، يقيم فيه ، كلما جاء الى الاسكندرية ، وبذلك يوفر عليه أجر السكن .. وتعود عادل أن يخدم نفسه طول مدة اقامته .. يطبخ لنفسه .. ويكنس .. ويغسل .. حتى يوفر من مصروفاته ..

والعائلة كلها تستعد فى الصباح الباكر لسفر عادل بعد نجاحه هذا العام ..

الأخت أحلام تجد فى حجرة أخيها عادل مجموعة خطابات .. خطابات معنونة باسم أبيها « الوالد العزيز الأستاذ كمال عبد الحميد » .. وخطابات معنونة باسمها « الأخت العزيزة الآنسة أحلام عبد الحميد » .. وتمسك الخطابات فى يدها بدهشة وتسأله :

— أيه دول ؟

ويقول عادل :

— دول جوابات حا ابعتهم لكم من الاسكندرية .

وتقول أحلام :

— وكتبتهم قبل ما تسافر ؟

ويقول عادل :

— يا عبيطة .. ما هو بدل ما أضيع وقتى فى الاسكندرية فى كتابة جوابات .. أكتبهم من هنا وأنا فاضى وأبعتهم من هناك .. جواب ورا جواب ..

وتقول أحلام :

— يعنى بتكتب كلام ما انتش حاسس بيه .. كلام والسلام.

مش تستنى لغاية ما نوحشك وتبقى تكتب .

ويقول عادل ضاحكا :

— انتم واحشنى من دلوقتى .. والمسألة مسألة تنظيم .. تنظيم عمل ..

وتقول أحلام :

— طبعا ما تقدرش تضيع عشر دقائق من لعبك وتنطيطك على البلاج ، علشان تكتب لنا جواب .. و ..

والأم تروح وتغدو وترتب حقيبة عادل ، وتحاول أن تخفى لوعتها لفراقه تحت ابتسامتها ، ثم تقول له :

— تحب أحط لك علبة القراقيش فى الشنطة ولا تاخدها فى ايدك ؟

ويقول عادل فى حنان :

— يا ماما ما بلاش القراقيش دى .. انتى عارفة انى ما باحبهمش .. والسنة اللى فاتت القراقيش اللى اديتيهم لى اكلهم النمل .. وخايف اروح السنة دى مالقيش نمل .. يبقى اعمل ايه ..

وترد اخته فى غيظ :

— ابعت للنمل جواب قوله القراقيش وصلت ..

ثم تستطرد فى غيظ :

— أنا مش عارفة اشمعنى حضرتك تروح تصيف ، وأنا اتزرع هنا .. ما أنا نجحت أنا كمان ..

ويرد عادل :

— علشان أنا كبير .. وانتى لسه عيلة صغيرة ..

وتقول أحلام :

ــ كلام فاضى .. لازم تعرف ان البنت بتسبق الراجل فى نموها بعشر سنين .. يعنى أنا دلوقتى اذا كان عندى ستاشر سنة ، اساوى راجل عنده ستة وعشرين .. يعنى أبقى أكبر منك بست سنين ..

ويقول عادل فى مرح :

ــ ياه .. يعنى انتى دلوقتى اتخرجتى ، وأخذتى البكالوريوس واشتغلتى ، واتجوزتى ، وخلفتى .. مش كده يا أبله ؟

وترد أحلام :

ــ مش مهم التخرج .. ولا الجواز .. المهم العقل .. العقل يا سى عادل ..

ويرد عادل :

ــ سلامة عقلك .. يا حبيبتى ..

وتضع أحلام مجموعة من قمصان عادل فى حقيبته ، فى عنف وهى تتمتم :

ــ انانية .. انانية الرجال .. غدا سنتحرر .. ستتحرر كل النساء .. وأذهب الى الاسكندرية .. الى ميامى ..

ويضحك عادل ..

ويطل الأب براسه ينادى عادل الى غرفته ، ويعطيه عشرة جنيهات .. وهو يقول له :

ــ أنا كنت أحب أديك أكثر من كده .. وانت تستاهل أكثر من كده .. انما انت عارف انى السنة دى عملت تأمين لكم .. وعلشان كده ما قدرناش نصيف السنة دى ولا السنة اللى فاتت.

ويقول عادل :

ــ متشكر يا بابا .. ده كتير ..

ويقول الأب :

ــ فيه حاجة واحدة أوصيك بيها .. اوعى تستلف .. أول ما تخلص الفلوس ترجع على طول .. يوم ما أعرف انك استلفت، يوم ما حافقد ثقتى بيك .. وأنا عمرى ما فقدت ثقتى بيك .. وتقطع تذكرة القطر رايح جاى .. علشان تضمن رجوعك ساعة ما تفلس ..

ويقول عادل ضاحكا :

ــ اطمن يا بابا .. أنا ناوى أرجع محوش ..

ويرد الأب فى غرور الآباء :

ــ انت بتقول فيها .. أنا فضلت لغاية ما اتوظفت وعمرى ما شفت الورقة أم عشرة جنيه .. أكبر مبلغ دخل جيبى كان عشرة صاغ .. وكنت باحوش برضه .. انما ايه .. عمرى ما حرمت نفسى من حاجة .. أصل يا أبنى اللى يتمتع ، ما بيتمتعش بفلوسه، انما بيتمتع بذكائه .. بالعقل ..

ويقول عادل :

ــ ده صحيح يا بابا .. انما ..

ويقاطعه الأب قائلا :

ــ تعرف أنا كنت بادخل السينما ازاى .. كنت لما احب اشوف فيلم اروح أشتغل فى بوفيه السينما ، وأول الفيلم ما يخلص اسيب الشغل ..

ويضحك الأب معجبا بذكائه .

ويقول عادل :

ــ دى حاجة ..

ويقاطعه الأب :

ــ انتم أصلكم جيل مدلع .. طلعتم لقيتم كل حاجة سهلة .

انما احنا على أيامنا كانت كل حاجة بالدراع .. بالمخ .. الشغل بالمخ .. واللعب بالمخ ..

وعادل متعجل ، يتحمل كلمات أبيه بلا تبرم ..

ثم يحين موعد خروجه من البيت .. ويقبل أفراد العائلة واحدا واحدا .. وتدس أمه فى يده اثنين جنيه .. ويقول عادل :

— بابا اداني كفاية ..

وتقول الأم :

— معلش يا حبيبى .. اذا ما صرفتهمش أبقى هات لى بيهم حاجة ..

وتهمس أخته فى أذنه :

— سلم على ميمى ..

ويهمس فى أذنها :

— الله يسلمك ..

وتعود تهمس فى أذنه :

— ما تغيبش كتير علشان ما اتفظش كتير ..

ويهمس فى أذنها وهو يقبلها :

— اتفاظى يا أختى يا حبيبتى ..

ويخرج عادل مرتديا القميص والبنطلون وهو يحمل حقيبته ، ولفافة وضعت له أمه فيها الشاى والسكر والقراقيش ..

ويركب الأوتوبيس الى المحطة ..

ويركب القطار درجة ثالثة ..

والقطار مزدحم .. ويجلس عادل على الحقيبة فى ممر عربة القطار ، ويخرج ورقة وقلما .. ويبدأ فى وضع ميزانية وهو يتمتم ، ١٥٢ قرش تذكرة قطر رايح جاى .. يبقى فاضل من العشرة جنيه ٨٧٥ قرش .. واثنين جنيه احتياطى من أمى ..

واحسب كمان يا سيدى ، ٨٧٥ على خمستاشر يوم يبقى اليوم بـ ٥٨ قرش ونص .. أكل وشرب بخمسة وعشرين .. والباقى شبرقة .. كويس .. نعمة ..

ويصل القطار الى محطة سيدى جابر ...

ويكون فى انتظار عادل صديقه ياقوت صاحب الكابين الذى سيقيم فيه ..

ويتعانق الصديقان ..

ويحاول ياقوت أن يحمل الحقيبة ، ولكن عادل يصر على حملها ، قائلا :

— خلينى أتعود على الشقا من دلوقتى ..

ويعطيه اللفافة ليحملها ..

ثم يعرض ياقوت على عادل ان يركبا تاكسى ، ولكن عادل يقول ضاحكا :

— اعمل معروف ، ما تعودنيش على التاكسيات ..

ويقول ياقوت :

— ده أنا عازمك ..

ويرد عادل :

— ولو ..

ثم يركبان ترام الرمل وهما يضحكان فى مرح ، ويقول عادل ضاحكا :

— تعرف اننا نقدر نركب ببلاش ..

ويرد ياقوت :

— ازى بأه .. نتشعبط على الشمال بعنى ..

ويقول عادل :

— لأ .. نشتغل كمسارية ، واول ما نوصل سيدى بشر نستقيل ..

ويضحك ياقوت ..

ويستطرد عادل ضاحكا :

— دى نصيحة من نصايح بابا ..

ويصلان الى سيدى بشر .. ثم يركبان الاوتوبيس الذى يخترق شارع سيدى بشر .. ثم ينزلان عند شارع الجيش .. ويحمل عادل الحقيبة وياقوت اللفافة ، ويسيران فى الرمال .. مسافة طويلة .. طويلة .. ويبتعدان عن العمران .. وهما لا يزالان يسيران .. ويتبادلان حمل الحقيبة .. ويستريحان بين الحين والحين .. ويهجم عليهما كلب ينبح .. ويقول عادل :

— انا عارف الكلب ده من السنة اللى فاتت ..

ويقترب الكلب منهما ويكف عن النباح ، ويهز ذيله ، ويقول له عادل وهو منهمك :

— ازيك يا كلب ..

ثم يقول بصوت يقطر تعبا :

— يا بنى مافيش حد فى الحتة دى الا احنا والكلاب ..

ويسير الكلب بجانبهما ..

وأخيرا يلوح لهما الكابين ، وبعيدا عنه قليلا « خيش » مما يقيم فيه عرب الصحراء ..

— والنبى انا مظلوم .. الناس فاكرة انى با اصيف فى اسكندرية .. مع انى با أصيف فى الواحات ..

ويقول ياقوت :

— أصل أبويا نظره بعيد اكثر من اللازم .. بعيد قوى ..

رى حتة الأرض دى بجنيه المتر علشان بعد خمستاشر سنة ـا باتنين جنيه ..

ويقول عادل وهو يلتقط انفاسه :

— يا سلام .. مشروع هايل ..

ثم يقع ممددا على الرمل بجانب الكابين .. ويرقد ياقوت ـنبه .. ويقبع الكلب بجانبهما ..

الكابين صغير .. من خشب قديم متآكل .. ونوافذه يطيرها ـواء .. وهو مكون من صالة صغيرة ، وحجرة للنوم لا تكاد ـسع للسرير ، ومطبخ ، ودورة مياه .. وفوق سطحها خزان ـغير للمياه ..

ويقفز عادل من رقدته وهو يصيح :

— ياللا على الشغل ..

ثم يدس يده فى اللفافة التى يحملها ، ويخرج قطعة من قراقيش يلقى بها للكلب ، وهو يقول :

— ماما بتسلم عليك ، وبتقولك كل سنة وأنت طيب ..

ويهز الكلب ذيله ..

ثم يفتح باب الكابين .. ويفاجأ باكوام من الأتربة ، وقطع الأثاث البسيطة ملقاة فى فوضى .. ويفتح فمه فى دهشة صائحا :

— انت عملت ايه فى الكابين يا ياقوت .. ده انا سايبه لك السنة اللى فاتت زى الفل ..

ويرد ياقوت ضاحكا :

— أصل من يومها مالقتش حد نظيف زيك ..

ويقول عادل :

— بآه ده اسمه كلام ..

ثم يخلع قميصه ، ويمسك بالمقشة ويبدأ فى تنظيف الكابين .

وياقوت يحاول ان يساعده ، ولكنه لا يفعل شيئا ، ثم يقول .

ــ نفسى بنات الكلية بيجوا يشوفوك وانت بتكنس وتمسح .. علشان يعرفوا ان مستقبلك مضمون ..

ويقول عادل ضاحكا :

ــ بنات الكلية مش حايشوفونى الا وانا قالع ولابس المايوه والناس لما بتقلع بتبقى كلها زى بعض .. اللى بيكنس ويمسح زى اللى رئيس مجلس الادارة .. واللى ساكن فى جحر زى اللى ساكن فى قصر ..

ويضحك ياقوت صائحا :

ــ يا واد يا فيلسوف ..

ويستطرد عادل قائلا :

ــ واسمع .. يا تشتغل وانت ساكت ، يا تورينى عرض اكتافك ..

ويقول ياقوت :

ــ لا .. انا لا اقدر اشتغل ولا اقدر اسكت .. وزمان الجماعة اتلموا على البلاج ...

ويخرج ياقوت .. ثم يطل على عادل من شباك الكابين قائلا :

ــ اقول لآمال واخوها انك وصلت ..

ويقذفه عادل بالوسادة فى وجهه :

ــ لا .. قول للست والدتك تبعتلى شوية ملايات واكياس مخدات نظيفة ..

ويبتعد ياقوت ..

ويقبل عادل على تنظيف الكابين ، وترتيبها .. يكنس .. وينفض .. ويمسح .. وينظف الحلل .. ويلمع وابور الجاز ..

.. و .. وهو سعيد .. يصفر .. ويغنى .. ويضحك بينه وبين نفسه .. ويداعب الكلب ..

ويقبل رجل أعرابى ، من « الخيشة » المنصوبة قريبا من الكابين .. ويهلل عادل لمرآه ، صائحا :

ــ ازيك يا شيخ العرب ..

ويقول شيخ العرب وهو يعانقه :

ــ ازيك يا عادل .. كل سنة وانت طيب .. بعودة الأيام ..

ويبدو الحب والألفة بين شيخ العرب .. وعادل .. ثم يقول عادل :

ــ عايزين صفيحتين ميه يا شيخ العرب .. ومالقيش عندك شوية مسامير وشاكوش ، ولا حتة زلطة تقيلة .

ويحضر شيخ العرب المسامير وقطعة من الزلط ، ويبدأ عادل فى اصلاح شبابيك الكابين ، والباب . ثم يقفز فوق سطح الكابين، ويغسل خزان المياه ، ويملأه بالمياه التى أتت بها بنتان أعرابيتان من بنات الشيخ عمران .. وتبدو الألفة بين عادل والبنتين ، ويصيح مهللا لمرآهما :

ــ السنة دى حانغنى كتير ..

وترد احدى البنتين فى حياء :

ــ ونحجل ..

ويقول عادل :

ــ ونحجل قوى .. حانعمل حفلة كبيرة ..

وينتهى عادل من عمله .. ويفتح حقيبته ، ويعلق بدلته الوحيدة على مسمار فوق السرير ، ويضع قمصانه وثيابه الداخلية فى أدراج نملية المطبخ ، لأنها الدولاب الوحيد .. وتبدو الكابين نظيفة رائعة .. كأنها صنعت من جديد ..

ويبدأ عادل حياته اليومية .. مرحا .. منطلقا .. ينبض بالشباب الحلو ، والقلب البرىء .. ويستيقظ من النوم مبكرا ، ويذهب الى السوق ، يشترى الخضار ، والقوطة ، واللحم ، والسمن .. ثم يعود ويطبخ طبخا ساذجا .. ويضع كل شىء فوق بعضه ويتركه على النار الى أن يستوى وأحيانا يحترق .. ثم يذهب الى الشاطىء فى الحادية عشرة ، ويلعب مع الأولاد والبنات .. حياته كلها نشاط .. ومرح .. وحب .. كل البنات والاولاد يحبونه .. ويعود فى الثالثة الى الكابين ليأكل الطعام الذى طبخه بشهية ، حتى لو كان محروقا .. ثم يشرب الشاى مع شيخ العرب عمران ..

ويعود الى أصدقائه ليقضى المساء يتمشى معهم على الكورنيش، أو يذهب معهم الى سينما صيفى ، أو يجتمعون فى كابين أحدهم . ثم يجمع من أصدقائه نقودا ويقيمون حفلة عرب فى الهواء الطلق حول خيشة الشيخ عمران .. أولاد وبنات . يغنون . ويرقصون رقصا عربيا .. وكل منهم يلقى ما عنده .. ضحك .. حب .. شباب ..

ويذهب يوما الى السوق فى الصباح الباكر وهو يحمل وابور الجاز ليصلحه ، ويشترى طعامه ، ويفاجأ بلقاء فتاة من بنات البلاج ، مغرورة ، « طالعه فيها » فيخفى وابور الجاز خلف ظهره، ويقف يحادثها وهو يحمل قرطاس القوطه والخضار فى يده الاخرى .. وتلمح الفتاة وابور الجاز ، فتقول له :

ـ ايه ده ..

ويرد مرتبكا :

ـ ده .. ده .. أصلى باعمل تجارب علمية عن الاشعاع الالكترونى ..

وتقول ساخرة :

ـ بتعمل تجربة على وابور جاز ..

ويرد مدعيا هيئة العلماء :

ـ طبعا .. دلوقتى الذرة بتستخدم من أجل السلام .. ووابور الجاز من أجهزة السلام .. وأنا باحاول أكتشف طريقة لتشغيل وابور الجاز بالذرة ..

وتصدقه الفتاة ..

وتدعوه آمال لتناول طعام الغداء عندهم ..

ويرد عادل ضاحكا :

ـ ماقدرش .. أصلى امبارح طبخت حلة بطاطس ، أكلت نصها ، والنهارده ، حاكل النص التانى .. وبكره اتغدى عندكم.

وتضحك آمال ..

وينظر عادل فى عينيها قائلا :

ـ انا زهقت من الطبخ يا ميمى .. نفسى حد يطبخ لى ..

وتقول آمال فى دلال :

ـ قصدك مامتك ..

ويقول عادل :

ـ ماما بتطبخ لبابا وأولادها .. ما بتطبخليش .. انتى مش تعرفى تطبخى ..

وتهز آمال رأسها فى صمت ..

ويقول عادل فى حب :

ـ خلاص .. كلها سنتين وآخد البكالوريوس ، وتطبخيلى .

ورغم حب عادل لآمال ، فهو يأخذ هــذا الحب ببساطة .. ويدفعه غروره بنفسه وبذكائه الى اهمال آمال ، ويفضل أن يكون مع أصدقائه الشبان ، على أن يبقى بجانبها طول اليوم ..

فحبه لا يأخذ الا جانبا صغيرا من وقته .. وباقى يومه يشارك فيه أصدقاءه الشبان لهوهم ، ورياضتهم .. وهو ما يسبب خناقات كثيرة بينه وبينها .. خناقات لا تقطع الحب ولكنها تشعله .. والثقة فى النفس التى تصل الى حد الغرور ، تدفع عادل الى كثير من المجازفات ، تطبع كل تصرفاته .. وقد أوشك أحد المستحمين على الغرق فصمم على انقاذه ، رغم أنه ليس بطلا فى السباحة ، ونزل البحر فكاد يغرق هو الآخر ..

وحوادث كثيرة تدل على ثقته فى نفسه التى تصل الى حد الغرور ، وتدل على حبه الكبير للاستطلاع الذى يدفعه الى كثير من المجازفات ..

ولكن غروره ليس تعاليا ، ولكنه زهو الشباب بنفسه أكثر منه غرورا .. وحبه للاستطلاع ليس صفاقة ولكنه تطلع الى التجربة والى المعرفة ..

وفى يوم يلتقى عادل على الشاطىء بثلاثة من زملائه فى الكلية ، أكبر منه سنا ، ورغم ذلك فهم معه فى نفس السنة الدراسية .. أحدهم سمين جدا .. والثانى رفيع وطويل .. والثالث قصير جدا .. والثلاثة يرتدون بذلات كاملة ليسوا كباقى شبان الشاطىء .. وهم لا يترددون على هذا الشاطىء كثيرا ، انما جاءوا عابرين .. وجلسوا فى البوفيه يشربون البيرة ..

ويحييهم عادل مهللا .. ثم يجلس معهم .. ويأخذ فى الكلام بحماس وانطلاق .. ويسأله الصديق السمين ، وهو يبدو أغنى الثلاثة مالا :

ــ تشرب ايه يا عادل ..

ويرد عادل بسرعة :

ــ بيبسى ..

ويقول السمين :

ــ يا أخى أكبر بقى .. بيبسى ايه ؟

ويقول الرفيع :

ــ أصله لسه بيرضع .. العيال اليومين دول بيرضعوا بيبسى .

ويقول السمين :

ــ ما تشرب بيره زينا ..

ثم يصفق بيديه طالبا زجاجة بيره ..

ويتردد عادل قليلا ، ثم يغلبه غروره ، ويقول :

ــ وماله .. نشرب بيره ..

ويشرب البيره وهو يخفى تقززه من طعمها .. وينطلق مع أصدقائه يضحك ويحاول أن يشترك فى حديث زملائه ، حديثا من نوع آخر يعبر عن فئة أخرى من الشبان غير الفئة التى يصادقها عادل من شبان الشاطىء ..

ثم يسأله السمين :

ــ حاتسهر فين يا عادل الليلة ..

ويقول فى مرح :

ــ حاأقعد على سور الكورنيش وأدلدل رجلى ..

ويقول السمين :

ــ لأ .. الليلة بلاش دلدلة .. تسهر معانا ..

ويقول عادل :

ــ وماله .. نسهر معاكم ..

ويتفقون أن يمروا عليه بالسيارة الساعة التاسعة فى مكان

معين على الكورنيش .. ويعود عادل الى الكابين فتلطشه البيرة التى شربها وينام ولا يذهب الى الشاطىء بعد الغداء كعادته ..

ويقوم عادل من النوم فى المساء متعجبا كيف نام طول هـذا الوقت ..

يرتدى عادل حلته الكاملة .. ويكتشف أن وزنه زاد واكتنزت عنقـه بحيث ضاقت عليها ياقة القميص .. ورغم ذلك يتحمـل الضغط ويربط الكرافتة حول عنقه وهو متضايق ..

ويقابل على الكورنيش صديقه ياقوت ، ويسأله أين هو ذاهب، وعندما يعلم انه سيسهر مع شلة السمين يقول له :

— دول عيال سفلة ، سيبك منهم ..

ويقول عادل :

— دول دمهم خفيف .. ما بيبطلوش نكت ..

ويقول ياقوت :

— ايه اللى حشرك فيهم دول ..

ويقول عادل :

— ما هو الواحد لازم يجرب كل حاجة .. يجرب السافل ، يجرب الخيبانين الى زينا ..

ثم يترك صديقه ، ويقف فى انتظار الشلة .. وينتظر طويلا حتى يكاد ييأس .. هذا الانتظار يضعف مقاومته ..

ثم تأتى الشلة فى سيارة يقودها الرفيع الطويل ، بسرعة جنونية ، وينطلق بها نحو عادل حتى كاد يدهسه ..

وتضحك الشلة لارتباك عادل ..

ثم يركب معهم ، ويقود السيارة بسرعة ، وهو يعاكس باقى السيارات ، ويعاكس البنات ، وزملاؤه يشتمون الناس المارين فى الطريق ، كما يفعل الشباب المستهتر ..

وعادل يضحك ضحكات عصبية ، ويحاول أن يندمج معهم ، بل انه يشاركهم فى شتيمة الناس المارين ، ولكن يبدو عليه دائما الافتعال ..

وأخيرا يذهبون الى بار .. ويحتسون الويسكى .. ويلحون على عـادل حتى يشرب .. ولكنه لا يشرب الا كأسـا واحدة .. بتقزز .. الكأس الأولى فى حياته .. ويلح عليه الشاب القصير ان يشرب الكأس الثانية .. ولكن السمين يقول له :

— سيبه على راحته .. شوية شوية .. الواحد ما بيكبرش مرة واحدة .. هو يدوبك دلوقتى فى ثانية روضة ..

ويرد الرفيع ..

— ثانية ويسكى ..

ها .. ها .. ها ..

وبعد أن ينتهوا من البار .. يركبون السيارة ، ويقودونها أكثر جنونا .. وبعد أن يطوفوا بالكورنيش من أولـه الى آخـره .. يذهبون الى كباريه مونت كارلو ..

وهى المرة الأولى التى يدخل فيها عادل كباريه ..

وتصيبه رهبة ، ودهشة ، وتمتلىء عيناه بالتطلـع المثير ..

ولكنه يحاول أن يخفى رهبته ودهشته .. يحاول أن يبدو شابا كبيرا .. ويسير وراء زملائه يحاول أن يقلدهم .. فى مشيتهم .. وفى مداعباتهم .. وفى ضحكاتهم ..

ويرحب الجارسونات والراقصات بالشاب السمين ترحيبا كبيرا .. ثم يجلسون حول مائدة ، وتلتف حولهم الراقصات .. وتفتح زجاجات الويسكى والشمبانيا .. وصخب .. وضـحك مخمور ..

ويحاول عادل أن يندمج فى هذا الجو الجديد .. ولكنه يتعب

من محاولته .. ويكتفي بالتفرج .. ثم يبدأ الضيق يملأ صدره .. وياقة قميصه تزداد ضغطا على عنقه .. فى انتظار أن تنتهى الليلة .. وقد انصرف عنه زملاؤه الى لهوهم مع الراقصات .. نسوه ..

وكانت هناك راقصة ترقبه منذ رأته .. ترقبه عندما كان يحاول أن يندمج مع أصدقائه .. وترقبه عندما بدأ يكتفى بالتفرج عليهم .. وترقبه عندما بدأ الضيق يزحف عليه ..

انها فردوس ...

راقصة فى الخامسة والثلاثين من عمرها .. أكبر من عادل كثيرا .. وأطول منه فى جسدها .. ويبدو عليها النهم .. عيناها نهمتان .. شفتاها نهمتان .. وتبدو قوية فى شخصيتها بين زميلاتها .. ذكية ذكاء خطرا ..

وفجأة تقوم فردوس من مكانها ، وتقترب من عادل ، وتقول له ببساطة وفى لهجة حازمة كأنها تعرف كيف تعامل الشبان السذج :

ـ تعال ..

ويرفع اليها عادل عينيه متسائلا .. فتعود تردد :

ـ تعال معايا ..

ويقول عادل فى سذاجة بعد أن تعب من ادعاء أنه يعرف هذا الجو :

ـ فين ؟

وتقول فردوس وهى تسير كأنها واثقة أنه سيسير وراءها :

ـ تعال بس .. مالكش دعوة ..

ويقوم عادل وراءها وهو يهز كتفيه ..

ويلمحه صديقه الرفيع الطويل فيصيح وراءه :

ـ حلال عليك يا عم ..

ثم تتركه الشلة كلها مندفعة فى لهوها ..

وتقود فردوس عادل الى مائدة منعزلة ، ويجلس عادل قبالها .. ويندفع اليها الجارسون بسرعة ، فترفع اليه فردوس رأسها وتقول ببساطة :

ـ كوب ..

ثم تسأل عادل فى حنان مفتعل :

ـ انت فيه حاجة مضايقاك ؟

ويقول عادل :

ـ ايوه .. الكرافتة .. الياقة حتخنقنى ..

وتقول فردوس :

ـ ومستنى ايه .. ماتقلعها .. فك الياقة ..

ويقول عادل :

ـ صحيح ، أنا مستنى ايه ..

وتقول فردوس :

ـ هات أنا أفك لك الياقة ..

ثم تميل عليه ، وتترك شعرها ينسدل على عينيه ، وأنفاسها تلفح وجهه .. وتفك ياقة قميصه .. وتنبهر أنفاس عادل ، ويحتقن وجهه .. ويقول وفردوس تعود الى جلستها :

ـ يظهر انى لازم اقلع الجاكتة كمان ..

وتقول فردوس ضاحكة :

ـ وماله .. اقلع ..

ويهم عادل بأن يخلع الجاكتة ، ولكنه يعود ويعدل عن خلعها.

وتكتشف فردوس بذكائها أنها هذه أول مرة يدخل فيها الى كباريه .. تكتشف سذاجته .. ثم تختار له الحديث الذى يستطيع أن يندفع فيه .. حديث الكلية .. والرياضة . ونوادره

مع أصدقائه .. وتعرض عليه أن يشرب ويسكى ، ولكنه يرفض، فلا تلح عليه .. ويندفع عادل فى الحديث بكل حماسة ، دون أن يلاحظ أن فردوس تطلب من الجرسون كل بضع دقائق « كوب » ولا يلاحظ أن بائع الفستق وضع أمامه عدة أطباق .. وبائع السجائر وضع أمام فردوس علبة .. وبائع الشيكولاتة .. واللب .. و .. و ..

وينتهى الليل ..

تشطيب ..

ويتقدم الجارسون بالحساب الى عادل .. ثمانية جنيهات .

وينظر عادل فى الفاتورة بغباء .. ويسأل الجرسون :

ـ ايه ده ؟..

ويقول الجرسون :

ـ الحساب ..

ويقول عادل فى هلع :

ـ بس أنا ماطلبتش حاجة ..

ويقول الجرسون :

ـ الست طلبت ..

ويقول عادل وهو يكاد يبكى :

ـ وأنا مالى .. أنا ما اعرفش ..

ويستعد الجرسون للمعركة ، ولكن فردوس توقفه ، وتهمس لعادل :

ـ انت ما معكش فلوس ؟..

ويقول عادل :

ـ معايا ريال ..

وتقول فردوس :

ـ ما تقدرش تطلب من اصحابك ؟

ويقول عادل :

ـ ما أقدرش .. دى أول مرة أسهر معاهم .. مش أصحابى قوى ..

وتقول فردوس وهى تقوم من على مقعدها :

ـ طيب استنانى هنا ..

وتقوم ، وتجمع من على المائدة علبة السجاير ، والشيكولاته ، واللعبة .. ثم تأخذ الجرسون بعيدا وتهمس فى اذنه :

ـ قيد الحساب على ..

ثم تلتفت الى عادل وتقول :

ـ اوعى تقوم .. خليك قاعد ما تتحركش ..

ويهز عادل رأسه مستسلما ..

وتبتعد فردوس ، وفى طريقها تعيد علبة السجاير الى بائع السجاير ، وعلبة الشيكولاته الى بائعها ، واللعبة الى بائعها .. وتهمس لبائع الفستق أن يطالبها بحسابه ..

ثم تلتقى ببقية الشلة وهم خارجون من الكباريه ومعهم مجموعة من الراقصات ..

ويسألها السمين :

ـ فين عادل ..

وتقول فردوس :

ـ روحوا انتم ..

ويقهقه الرفيع :

ـ حلال عليكى .. والله الواد علق ..

ويقول السمين :

ـ خدى بالك منه ده لسه بخيره ..

وتدخل فردوس الى غرفة اللبس ، وتغير ملابسها .. ثم تعود .. والصالة قد افرغت زبائنها .. والجرسونات يجمعون الكراسى .. وعادل جالس وحيدا على مائدته كأنه سمر فى مكانه .. ضائع .. حائر .. حزين ..

وتقترب منه فردوس وتقول له فى حزم ، أقرب الى الأمر ، تخفيه تحت ابتسامتها ..

— تعال ..

وتسير فى خطوات قوية .. ويسير وراءها فى خطوات مرتبكة.

ويخرجان من الكباريه ..

وتهم فردوس بركوب سيارتها الصغيرة ، ويقف عادل مترددا ثم يقول :

— عن اذنك .. مع السلامة .. تصبحى على خير ..

وتنظر اليه فردوس فى دهشة كأنها لم تكن تتصور أنه ساذج الى هذا الحد ، ثم تقول له وهى تنظر فى عينيه :

— اركب ..

ويقول عادل متلعثما :

— بس أنا لازم أروح ..

وتقول فردوس بتهكم :

— خايف من ماما ؟

ويرفع عادل راسه كأنه يدافع عن رجولته ، ويقول :

— أنا قاعد لوحدى ..

وتقول فردوس :

— طيب اركب .. اركب .. احنا لسا ماتحاسبناش ..

ويركب عادل بجانبها فى السيارة ، ويقول :

— احنا رايحين فين ؟

وتقول فردوس وهى تلتصق به وتضع يدها على ساقه :

— على البيت ..

ويصلان الى بيت فردوس . شقة فى احدى عمارات الشاطبى .. وتفتح فردوس الشقة بمفتاحها .. وتجلس مع عادل فى الصالون ، قائلة :

— اتشرب ويسكى ؟

ويقول عادل فى ارتباك ، وهو ينظر حوله نظرات خجولة مبهورة :

— لا .. متشكر ..

وتقول فردوس :

— احسن ..

وتدخل سيدة عجوز تفرك عينيها لتزيح عنهما النوم ، وتقول لفردوس :

— ستى .. وكيل صاحب العمارة جه النهارده وعايز الأجرة .. وبيقول ..

وتقاطعها فردوس قائلة :

— مش وقته .. روحى انتى نامى ..

وتعود أم نبوية تقول :

— ده احنا متأخرين على الأجرة شهرين يا ستى .. والراجل له حق .. ولو ندفع له أجرة شهر . تمنتاشر جنيه بس ..

وتشخط فيها فردوس :

— بقولك مش وقته ..

وتخرج أم نبوية ..

ثم لا تلبث أن تعود وتقف عند باب الصالون قائلة :

— ستى .. والنبى قبل ما تنامى تسيبيلى خمسة جنيه علشان

أقوم الصبح بدرى أدفع حساب الجزار ، وبتاع اللبن ، والمكوجى .. و ..

وتقاطعها فردوس صارخة :

ــ بأقولك مش وقته ..

فتخرج أم نبوية .. وتلتفت فردوس الى عادل قائلة :

ــ الولية دى مجننانى .. انما أعمل ايه هى الحاجة الوحيدة اللى ورثتها من بابا ..

وعادل لا يزال جالسا مرتبكا ..

وتبدأ فردوس تقص عليه قصتها .. قصة مختلقة .. وكيف أنها كانت طالبة فى المدرسة الثانوية ، وماتت أمها وهى صغيرة .. واحبت رجلا اكبر منها بكثير .. وخدعها .. ولم يتزوجها .. ثم هربت من بيتها ، ومات أبوها حسرة عليها .. واضطرت أن تحترف الرقص .. وأنها وحيدة ، ليس لها أحد فى الدنيا ..

ويصدقها عادل .. ويخفق قلبه حسرة عليها .. ثم تقترب منه .. ودموع كاذبة فى عينيها .. ويربت عليها .. ثم تقبله .. ويرتبك عادل فى قبلتها .. ثم ينطلق ..

وكانت فردوس هى أول امرأة فى حياة عادل ..

ويقوم عادل فى الصباح سعيدا بالعالم الجديد الذى اكتشفه .. منطلقا فيه بكل شبابه البكر .. وفردوس سعيدة باقباله عليها، تشبع به نهمها ..

ثم يتذكر عادل انه يجب أن يعود الى الكابين ، وتقول فردوس وهى لا تزال معه فى الفراش :

ــ حاتسبنى .. أنا عارفة انك حاتسبنى زى بقية الرجالة .

ويقول لها عادل :

ــ أبدا مش ممكن اسيبك .. بس لازم اروح الكابين علشان [illegible]ير هدومى .. و ..

وتقاطعه فردوس :

ــ أروح معاك .. ونجيب هدومك هنا ..

ويقول عادل :

ــ واقعد هنا على طول ؟

وترد فردوس وهى تدعى الأسى :

ــ احنا مش اتفقنا على كده .. انا قاعدة لوحدى .. ولا تستعر انك تقعد مع واحدة رقاصة ؟

ويقول عادل :

ــ ابدا .. أبدا ..

ويخرج عادل من حجرة النوم فى الساعة الواحدة بعد الظهر ، ويفاجأ برجل طويل رفيع ممصوص الوجه أصفر اللون ، يرتدى جلباب من السكروتة ، جالسا فى الصالة ..

وينظر اليه عادل فى هلع ، وتسرع فردوس قائلة :

ــ ده اخويا خميس .. قاعد يومين عندى يصيف ..

ثم تستطرد فى قسوة :

ــ أصله عيان .. عنده القلب ..

ويهز عادل رأسه ويحيى خميس فى صمت ..

ويقول خميس دون أن يتحرك من مكانه :

ــ صباح الخير يافردوس .. صباح الخير ياسيدنا الافندى.

ويظل عادل واقفا مرتبكا ينقل عينيه بين فردوس وخميس .

وتقول فردوس :

ــ ولا يهمك منه ..

ثم تشير له على الحمام ..

ويخرج عادل من الحمام ويرتدى ثيابه ويجلس يتناول طعام الافطار ، هو وفردوس وحدهما ، وخميس جالس فى مكانه يطل عليهما ..

وتصر فردوس أن يأكل عادل كثيرا ، وأن يشرب اللبن ..

— اشرب .. ده كويس علشانك ..

ثم يقومان ويخرجان سويا .. ويذهبان الى الكراج .. وتقول فردوس لعادل :

— سوق انت ..

ويقول عادل فرحا بالسيارة :

— أنا عمرى ما كان عندى عربية .. انما اتعلمت على عربيات أصحابى ..

وتقول فردوس وهى تنظر اليـه كأنها عرفت كيف تشده أكثر اليها :

— طيب ورينى بتسوق ازاى علشان أطمن ..

ويجلس فى مقعد القيادة ، وتجلس بجانبه ، ويقود السيارة الصغيرة على طريق الكورنيش وهو يكاد يطير من الفرح .. ويقول لفردوس :

— ده لو ياقوت ولا سامى شـافونى دلوقتى ، حايطقوا من الغيظ ..

وعندما يصـلان الى سيدى بشر ، يلمحه ياقوت فعلا ، ولكن عادل لا يلمحه .. ويقف ياقوت مندهشا ..

وتذهب فردوس وعادل الى الكابين .. وتصر فردوس على أن يجمع كل ثيابه وتضعـها بنفسـها فى حقيبته ، ثـم يحملها الى

.. ويلحق بهما شيخ العرب عمران .. ويسأله وهو ينظر الى فردوس فى استنكار :

— على فين يا عادل .. مسافر ولا أيه ؟

ويقول عادل :

— لأ .. دى رحلة صغيرة .. وراجع ..

ثم ينطلق بالسيارة ..

وتخرج من « الخيشـة » بنتا الحاج عمران ، وتجريان وراء السيارة ، وهما تصيحان :

— عادل .. عادل ..

ولكن عادل لا يقف ..

ويعود مع فردوس الى بيتها ..

وفى المساء تقول فردوس لعادل :

— أنا نازلة الشغل .. وانت ابقى انزل على مهلك ، وحصلنى على الصالة ..

ثم تفتح حقيبتها وتعطيه خمسة جنيهات .. ويحمر وجه عادل .. ويقول فى تردد :

— ايه دول ..

وترد فردوس :

— يمكن تعوز حاجة .. وبعدين نتحاسب ..

ويقول عادل :

— لأ .. أنا معايا فلوس ..

وتقول فردوس :

— ما تبقاش عبيط .. ما انت حاتيجى الصالة ، وتفتحلى . وتدفع من الخمسـة جنيه .. وآخر الليل باخدهم من صـاحب الصالة تانى ..

ويقول عادل :

ــ ولازم أفتح لك ؟..

وتقول فردوس :

ــ الأصول ..

وتخـرج فردوس .. ويبقى عادل فى البيت مع خميس .. ويقترح عليه خميس أن يلعبا كوتشينة ، ويوافق عادل .. ويلعبان الكومى .. ويخسر عـادل .. ويلاحظ عادل أن خميس يغش فى اللعب .. ولكنه لا يتكلم خوفا .. ويظـل عادل يخسر حتى تبلغ خسـارته جنيهين يدفعهما من الخمسة الجنيهات التى أخـذها من فردوس ...

وأثناء اللعب يقدم خميس لعادل سيجارة يلاحظ أنها غريبة ، ويقول عادل :

ــ ايه ده ..

ويقول خميس :

ــ اشرب .. انت خلاص دخلت فى الجو ..

ويشرب عادل محرجا أمام خميس ..

وعندما يذهب عادل الى الصالة يجد فردوس جالسة مع بعض الزبائن .. فيجلس الى البار .. ويشرب كأسـا من الويسكى .. ثم تترك فردوس زبائنها وتأتى اليـه .. وتطلب كوب .. ويقول عادل :

ــ ما تطلبيش كتير ، احسن خسرت لأخوكى فى الكوتشينة اتنين جنيه من الخمسة ..

وتضحك فردوس قائلة :

ــ ولا يهمك ..

وتجلس معه قليلا ثم تعود الى زبائنها .. ثم تذهب اليه ..

وهكذا الى ان تنتهى الليلة .. ويعود معها الى البيت ، وهو يقود السيارة ..

ويندفع عادل فى حياته مع فردوس .. مغرورا بشبـابه .. مزهوا بالعالم الجديد الذى اكتشفه .. معتقدا أنه قد كبر وأصبح رجلا .. ومعتقدا أنه يأخذ من فردوس أكثر مما تأخذه منه .. فرحا بالسيارة التى يقودها .. وفى كل مسـاء تعطيه خمسة جنيهات ، يخسر منها اثنين لخميس .. ويدخن معه سيجارة .. ويذهب الى الصالة ليعود بفردوس ..

وبعد اربعـة أيام يفاجأ عادل بدخول ياقوت الى الصالة .. ويقول له وهو متجهم الوجه :

ــ انت فين .. كل يوم أفوت عليك فى الكابين مالقكش ..

ويقول له عادل فى فرح :

ــ اسكت يا بنى .. أما وقعت حتة وقعة ..

ويبدأ عادل يروى لياقوت علاقته بفردوس ، مزهوا ، فرحا ، وياقوت متجهم الوجه .. ينظر اليه فى احتقار ، ثم يقول :

ــ الناس كلها عارفة حكايتك يا عادل .. وبيتكلموا عليك ..

ويقول عادل :

ــ بيقولوا ايه ؟

ويقول ياقوت :

ــ بيقولوا ان واحدة رقاصة ضحكت عليك ..

ويقول عادل :

ــ ضحكت عليه ليه .. واحدة زى دى تعرفنى ليه .. علشان فلوسى ؟.. ولا علشان أبويا باشا ؟.. ولا علشان رقاصة ؟.. دى اشرف من أى واحدة .. أنا مكنتش مصدق أن فيه واحدة تحب للدرجة دى ..

ويقول ياقوت فى هدوء :

ــ وآمال بتسأل عليك ..

ويسكت عادل فجأة .. ثم يقول كأنه يقنع نفسه :

ــ آمال لسه صغيرة .. ما تنفعش الا للجواز .. وانا ما اقدرش أستنى لغاية ما أتجوز .. وهى ما تقدرش تستنى لغاية ما أقدر أتجوزها ..

وينظر اليه ياقوت فى شفقة ويقول :

ــ انت مش بتاع الجو ده يا عادل .. تسمح تقول لى مين عايش فى الصالات ؟

ويقاطعه عادل فى عصبية :

ــ أنا مش عايش فى الصالة .. مابجيش أصرف فلوسى وأسكر .. انما فيه واحدة حبتنى .. ولو كانت حبتك انت كان زمانك بتعمل زيى .. انما للأسف انها ما بتحبكش انت .. ولا بتحبش واحد تانى من الشلة .. بتحبنى أنا .. وكلكم حاسدنى .. كلكم غيرانين منى ..

ويسكت ياقوت ، ويخرج من جيبه خطابا يعطيه لعادل :

ــ ده جواب جالك من ثلاث أيام .. وكنت بادور عليك علشان أديه لك ..

ويأخذ عادل الخطاب ويضعه على مائدة البار ..

وكل ذلك ، وعينا فردوس ترقبان عادل وياقوت ، وهى جالسة مع بعض الزبائن ، ثم تقوم فجأة كأنها أحست بالخطر أن يضيع منها عادل ، ثم تقترب منهما .. ويقدمها عادل لياقوت ..

ويهز ياقوت رأسه لها دون أن يصافحها .. ثم يقوم واقفا :

ــ عن اذنك .. أنا ماشى بقى ..

ويقول عادل :

ــ استنى لما تشرب كاس ..

ويقول ياقوت وهو ينظر اليه فى احتقار :

ــ انت عارف انى ماباشربش .. واللى أعرفه ان ما معكش حق الكاس ..

وينصرف ..

ويقول عادل لفردوس :

ــ ده واحد صاحبى دمه تقيل .. عامل نفسه جد ..

ولكن عادل يصبح فى حالة عصبية .. ويشرب .. ويشرب .. لأول مرة يشرب الى حد السكر .. حتى تضطر فردوس أن تسنده وهما خارجان ..

ويكون الخطاب قد وقع من فوق البار على الأرض ، تدوسه الأقدام ..

عائلة عادل فى القاهرة ..

أفراد العائلة فى حالة قلق لانقطاع أخبار عادل ..

الأم تقول :

ــ ده بقاله خمس أيام مابعتش جواب .. ولا رد علينا .. دى مش عادته .. أنا مش مطمنة .. يكون عيان ولا جرى له حاجة.

والأخت تقول :

ــ تسمحى تقولى لى يبعت لنا ليه .. واحد بيتفسح ، ونازل تنطيط على البلاج .. ايه اللى يخليه يفكر فى الغلابة اللى قاعدين فى جهنم اللى اسمها مصر ..

ويقول الأب وهو يفتعل ضحكة :

ــ أنا مطمن .. ما دام ما بعتش يبقى فلوسه ما خلصتش ..

وتقول الأم :

ــ أنا مش مطمنة .. مش قادرة أطمن ..

ويرد الأب :

ـ يا شيخه .. تلاقيه يمكن طلع رحلة لمرسى مطروح ولا حاجة .. ده أنا لما كنت فى سنه ، ما كنتش أقعد فى الأجازة فى حتة واحدة أبدا .. وهو مهما عمل ، حايجى ايه فى اللى عملته أنا .. ده أنا كنت أبقى عايش مع أبويا فى بيت واحد .. وماشفوش الا فى الجمعة مرة .. من شقاوتى ..

وعادل منطلق الى آخره فى حياته مع فردوس ..

وقد بدأ يشعر بالانهاك .. والانهاك يضطره الى أن يقبل على الخمر .. وبدأ يطلب من خميس السجائر الغريبة قبل أن يقدمها اليه .. وبدأت تنتابه لحظات حزن وزهق ..

وفى يوم قالت له فردوس انها دعت أحد أصدقائها الى الغداء عندها .. وأكدت له أنه رجل كبير فى السن .. يقدم لها خدمات كثيرة .. وينظر اليها عادل فى ذهول ، ويقول :

ـ يعنى أطلع أنا من البيت ولا ايه ؟..

وتقول له :

ـ بالعكس .. لازم تفضل قاعد علشان تصدق ان ما فيش بينى وبينه حاجة .. واذا كنت مش عايز بلاش نعزمه خالص .. انت الراجل وانت حر فى البيت .. بس والنبى ده راجل خدمنى كثير ، ويحبنى زى بنته .. أصله يعرفنا من أيام بابا ..

ويرضى عادل ..

ويأتى الرجل .. رجل كبير فى السن .. متصابى .. من رواد الصالات .. وتستقبله فردوس فى الصالون ، ثم يدخل اليها عادل .. مرتبكا .. حائرا .. عيناه مليئتان بالشكوك ..

وتقدمه فردوس للرجل :

ـ صلاح .. أخويا الصغير ..

ويذهل عادل ولكنه يسكت ..

ويقول الرجل :

ـ مفهوم .. ده شبهك تمام .. سبحان الخالق الناطق ..

وتدخل أم نبوية لتقول :

ـ ستى .. وكيل صاحب العمارة عايز الأجرة .. بيقول ان.

ويقول الرجل المتصابى كأنه تعود على هذه الحركات :

ـ أما راجل قليل الذوق صحيح .. حد يطلب أجرة من فردوس .. والأجرة دى تبقى كام ..

وترد أم نبوية :

ـ تمنتاشر جنيه .. وله شهرين متأخرين ..

وتقول فردوس :

ـ يا ولية بلاش فضائح ..

ويضع الرجل المتصابى يده فى جيبه ويخرج عشرين جنيها ، ويعطيها لأم نبوية قائلا :

ـ خدى دول سكتيه بيهم ..

وتأخذ أم نبوية الفلوس ، وفردوس تقول :

ـ والنبى أنا مكسوفة منك قوى يا حامد بيه ..

ثم تدخل أم نبوية وتقول :

ـ ستى .. البقال عايز الحساب .. خمسة جنيه بس ..

ويخرج الرجل العجوز اتنين جنيه ، صامتا .. يعطيهم لنبوية وهو ساكت ..

وعادل يرقب كل هذا ..

ويسكت ..

وبدأ يفهم حياة فردوس .. بدأ يستقبل معها زبائن الصالة ساعة الغداء .. وكل منهم يدفع ايجار الشقة وحساب البقال

بنفس الطريقة .. ولكن فردوس كانت حريصة فعلا على الا يكون بينها وبين أحد منهم علاقة أكثر من تناول الغداء ، والخمر ، ولعب الورق ..

وعادل ساكت ..

وعرف أيضا أن أم نبوية هى أم فردوس .. وأن فردوس هى نبوية ذاتها ..

ولكن الانهاك بدأ يتغلب عليه .. وفردوس تغذيه بالمقويات .. تفاح مغموس فى كوب اللبن فى الصباح .. وفراخ مهموكة فى الظهر .. و .. و .. ويسكر .. ويدخن الحشيش .. وتزداد فترات حزنه .. وفترات يثور فيها على نفسه .. وفترات يثور فيها على فردوس .. وضربها مرة .. واستسلمت فردوس لضرباته .. رغم أنها أقوى منه .. وأمها تفرح لأنه يضربها ، وتقول له :

ــ تسلم ايدك ..

وبدأ عادل يقاوم ضعفه ليهرب من هذا البيت .. وتشاجر مرة مع شقيق فردوس بعد أن ذهبت الى الصالة .. وخرج من البيت صارخا بأنه لن يعود .. ويدور فى شوارع الاسكندرية .. ثم يدخل حانة ويخرج منها ليدخل حانة أخرى .. وفى آخر الليل يكون ضعفه قد غلبه ، فيذهب الى الصالة ليعود مع فردوس .. ويعود الى البيت الذى أحس فيه برجولة زائفة .. البيت الملوث الذى أقنعته فردوس انه سيده ..

وهو كلما أزداد ضعفا ، وازداد احساسا بفداحة الثمن الذى يدفعه لفردوس من شبابه ومن مستقبله ، ازداد حنينا الى حياته قبل أن يعرف فردوس .. الى أصدقائه .. الى آمال حبيبته .. الى انطلاقه ..

وفى يوم يخرج من البيت فى الظهر مع فردوس ، ويوصلها

بالسيارة الى الصالة لتشترك فى البروفة ، ثم يقود السيارة الى شاطىء ميامى .. ويلمح ثلاثة من أصدقائه واقفين على الكورنيش، يلمحه أصدقاؤه ولكنهم يتظاهرون بأنهم لم يروه ..

ويوقف عادل السيارة قريبا منهم ، وينزل منها ، ثم يتقدم اليهم مادا يده وبين شفتيه ابتسامة كبيرة .. ويكف الأصدقاء عن حديثهم مرة واحدة ، ويصافحونه فى برود ، ثم يقفون دون أن يوجه اليه أحدهم كلمة واحدة .. ثم يقول واحد منهم :

ــ عن أذنكم .. أنا ماشى بقى ..

ويقول الثانى :

ــ خدنى معاك ..

ويقول الثالث :

ــ عن اذنك يا عادل .. استنوا يا جماعة ..

ويفهم عادل أن أصدقاءه يهربون منه ..

ويهز كتفيه كأنه لا يبالى ، ثم ينزل الى الشاطىء وكلما مر بأحد أصدقائه تشاغل الصديق عنه ، ثم يقف امام اثنين من أصدقائه يلعبان « الراكت » ويقول لأحدهم وهو يفتعل ضحكة :

ــ انت لسه بتلعب وحش زى ما كنت .. هات أوريك اللعب يبقى ازاى .

ويلقى له الصديق المضرب على الأرض ..

ويلتقطه عادل ، ويهم بأن يلاعب الزميل الآخر .. ويقذف الزميل بالكرة ، فيعجز عادل عن التقاطها ويقع من ضعفه وهزا على الأرض .. فيلقى الزميل مضربه ، وينظر الى عادل فى احتقار ثم يقول :

ــ آسف مش حاأقدر ألعب .. تعبت ..

ويترك عادل واقعا على الأرض ..

ويقوم عادل وهو ينظر الى صديقه فى حقد وغيظ .. ثم يسير على الشاطىء باحثا عن آمال .. ويجدها ويقف أمامها ينظر اليها وبين شفتيه ابتسامة مرتعشة .. وتنظر اليه طويلا كأنها تحاول أن تتعرف عليه من جديد .. ثم تدير ظهرها له وتبتعد ..

ويلحقها .. وهو يناديها فى استجداء ..

وبعد أن تسير طويلا ، تلتفت اليه فجأة ، قائلة وهى ترتعش:

ـ اظن ما بقاش فيه كلام بينى وبينك ..

ويقول عادل وعيناه تستغيثان بها :

ـ ليه يا آمال ..

وترد عليه بعصبية :

ـ مش عارف ليه .. البلاج كله عارف حكايتك ..

ويقول عادل :

ـ انا ماليش حكاية .. ما عملتش اكثر من اللى بيعمله أى شاب ..

وتقول آمال وهى لا تزال ترتعش وكأنها تصفعه :

ـ مش كل شاب يرضى انه يعيش مع واحدة رقاصة ..

ويقول عادل :

ـ اللى بتديه لى الرقاصة ما تقدريش انت تديه لى ..

وتصرخ آمال :

ـ اللى ماقدرش أديه لك ، مايصحش تأخذه من واحدة ثانية حتى لو كانت رقاصة ..

ثم تنهمر دموعها ، وتجرى من أمامه ..

ويقف عادل واجما .. عيناه حزينتان .. شفتاه حزينتان ترتعشان بدموع محبوسة صامتة ..

ثم يسير منهارا الى أن يلتقى بياقوت ، فيقف قباله قائلا :

ـ انت كمان مقاطعنى ؟

ويقول ياقوت :

ـ انا مش مقاطعك بس كل واحد فينا ماشى فى ناحية ..

ويقول عادل :

ـ يعنى ايه ؟

ويقول ياقوت :

ـ يعنى أنا ناوى اطلع مهندس .. وانت ناوى تشتغل فى كباريه ..

ويصرخ عادل :

ـ انا مش ناوى اشتغل فى كباريه .. انتم كلكم غايرانين منى .. و ..

ويرد عليه ياقوت فى هدوء :

ـ اللى تصرف عليه واحدة رقاصة يبقى بيشتغل فى كباريه.

ويصرخ عادل :

ـ بتصرف عليه يعنى ايه .. يعنى كنت عايزنى أبقى مغفل أنا اللى أصرف عليها ..

ـ انت مسكين يا عادل .. ماكنتش فاكر انك تتغير للدرجة دى ..

ثم يتركه ويبتعد ..

ويجرى عادل فى عصبية ويركب سيارة فردوس ، وينطلق الى أقرب بار ويشرب .. الى أن يسكر .. ويكون موعد انتهاء البروفة قد فات ، فلا يعود لصاحبة فردوس بل يذهب الى البيت مباشرة، تستقبله فردوس وهو يترنح امامها ، وتقول فى حزم :

ـ كنت فين ؟

ويقول عادل ولسانه يترنح بين شفتيه :

ـ كنت مع أصحابى بتوع زمان ..

وتقول فردوس :

ـ وأصحابك هم اللى سكروك وبهدلوك بالشكل ده ..

ويقول عادل وهو يضحك ضحكة مخمورة :

ـ أصحابى بيقولوا انك بتصرفى على ..

وتقول فردوس فى جزع :

ـ أنا مابصرفش عليك يا عادل .. اللى معايا معاك .. وبكره تتخرج وتبقى مهندس وتجيب دهب ، وكل اللى تجيبه يبقى بتاعنا احنا الاثنين ..

ويضحك عادل ضحكة هستيرية مجنونة .. فتجذبه فردوس من يده فى رفق وترقده بجانبها على السرير وتقول له وهى تربت عليه فى حنو :

ـ انت عارف يا عادل انى باحبك .. ومن يوم ما عرفتك مافيش حد حط ايده على .. باحبك يا عادل ..

.. و .. و ..

وتكون الخمرة قد تغلبت على عادل فنام دون أن يعى كلام فردوس .. وتنحنى عليه وتقبله فى حنان .. وتغطيه ، وتتركه نائما ..

ويستيقظ عادل من النوم فى المساء .. صامتا .. تائها .. وفردوس تهم بمغادرة البيت الى الصالة ، وتقول له :

ـ حاتيجى الصالة ؟

ويهز عادل رأسه بالايجاب ..

وتقول :

ـ أسيب لك العربية ..

ويقول :

ـ لا .. خديها انتى ..

وتخرج فردوس .. ويقوم عادل ويدخل الحمام ويقف تحت الدوش وهو واجم .. ثم يخرج ويرتدى ثيابه .. ويضع يده فى جيب الجاكتة فيجد أن فردوس قد تركت له خمسة جنيهات .. فيهز كتفه فى قرف .. ثم يجلس مع أخيها يلاعبه الكوتشينة ويخسر له اثنين جنيه ، ويشرب معه سيجارة حشيش .. ثم يلقى له بالاثنين جنيه قبل أن يتم اللعب ..

ـ خد .. بدل ما تتعبنى ..

ثم يخرج من البيت ، ويذهب الى حانة فى محطة الرمل تعود أن يتردد عليها .. ويسكر .. ومعه بعض الشبان ممن تعودوا التردد على صالة فردوس .. وعادل يسكر فى حزنه .. ويقول فى سكره كلاما يعبر عن ثورته على نفسه ، وعلى الوضع الذى يعيش فيه .. وفى آخر الليل يخرج من الحانة ويركب سيارة أحد هؤلاء الشبان ، ويسأله الشاب ..

ـ مش رايح لفردوس ..؟!

ويقول عادل وهو يترنح :

ـ لا .. رايح بيتنا ..

ويقول الشاب :

ـ بيتكم فين ؟

ويقول عادل :

ـ فى مصر .. انا مسافر مصر .. دالوقتى حالا .. ودينى على المحطة ..

ويقول الصديق :

ـ بس القطارات خلصت .. ما فيش قطر الا بكره الصبح .

ويقول عادل :

ودينى المحطة أستنى لبكره الصبح ..

ويعجز الشاب عن أن يثنى عادل عن عزمه فيحمله الى محطة السكة الحديد ، ويتركه هناك ، ثم يذهب الى الصالة ..

وقبل التشطيب تكون فردوس فى قلق وهى منتظرة عادل .. ثم تسأل عنه الشاب صاحب السيارة ، فيقول لها انه أوصله الى المحطة وانه سمعه يقول انه سينتظر هناك الى أن يركب أول قطار الى مصر ..

وتجرى فردوس خارج الصالة ، وتركب سيارتها ، وتذهب الى المحطة ، وتبحث عن عادل وهى كالمجنونة الى أن تجده نائما على دكة خشبية من دكك المحطة .. فتهدأ .. وتسترد قوة شخصيتها .. ثم تهزه بيدها فى رفق لتوقظه من النوم ..

ــ عادل .. عادل ..

ويفتح عادل عينيه ، وينظر اليها :

ــ انتى ..؟

ثم يحاول أن يغمض عينيه مرة أخرى .. ولكنها تعود وتوقظه، وهى تقول فى حزم :

ــ قوم روح على البيت ..

ويفتح عادل عينيه مرة ثانية .. وتذوب شخصيته أمام قوة شخصيتها ، والتعب والارهاق يبدوان فى عينيه ، ويقول وهو نصف سكران :

ــ انا بيتى فى مصر ..

وتقول فردوس :

ــ انت مالكش الا بيت واحـــد .. بيتنا احنـا الاتنين ..

ويستسلم لها .. وفى الطريق يقول كأنه يحادث نفسه :

ــ أنا اتأخرت قوى على بابا .. ده كان لازم أرجع من عشرين ..

وتقول فردوس وهى تنظر أمامها :

ــ ابعت له جواب قول له انك حتتأخر كمان ..

ويقول عادل كأنه يحادث نفسه :

ــ مهما تأخرت لازم أرجع له ..

وتقول فردوس فى ثقة :

ــ لأ .. مش لازم .. انت بقيت راجل ..

ويقول عادل كأنه يرد على شبح يحادثه :

ــ والكلية ؟

وتقول فردوس :

ــ وماله .. تروح الكلية وانت برضه معايا .. كل اللى انت محتاج له يتعمل ..

وفى البيت .. يجلس عادل ليكتب خطابا ..

وتقول فردوس وهى راقدة فى الفراش :

ــ بتعمل ايه ..؟

ويقول عادل :

ــ باكتب جواب لبابا ..

ويكتب « والدى العزيز » .. ثم يلقى بالقلم قائلا :

ــ ولا بلاش .. مالوش لازمة ..

ثم يلقى بنفسه بين أحضان فردوس ، وهو يقول :

ــ أنا خلاص اتسممت .. اتسممت بيكى ..

وتأخذه فردوس بين ذراعيها فى نهم ..

***

بيت عائلة عادل فى القاهرة ..

زوجة الأب تبكي وتقول ان محمود ابن جارتهم زينب هانم ، عاد من الاسكندرية وقال ان عادل اختفى عن الأنظار وأنه يعيش فى بيت احدى الراقصات ..

احلام .. الأخت .. ملتاعة .. خائفة على أخيها ..

الأب .. السيد كمال عبد الحميد .. يتكلم كثيرا كعادته ويتباهى بأيام شبابه ، ويحاول أن يهدىء من لوعة زوجته وابنته ويقول :

رقاصة أيه .. وهي الرقاصة تاخد من واد مفعوص زى ده ايه .. الرقاصات بيدوروا على رجالة مش على عيال .. تلاقيه سافر مرسى مطروح .. ولا رشيد .. ويمكن بعت جواب وضاع فى البوسطة .. ولكن لوعة الزوجة والابنة لا تهدا .. وتستمران فى الولولة ..

وأخيرا يقول السيد كمال :

ـ أنا بعت جواب لصاحبه ياقوت ولا ردش عليه ..

ثم يستطرد قائلا :

ـ خلاص .. أنا حاروح أدور عليه واجيبه ..

وتنظر اليه الأم فى دهشة :

ـ حاتدور عليه فين ؟

ويقول الأب كأنه يتهمها بالغباء :

ـ فى اسكندرية طبعا .. أنا أعرف اسكندرية حتة حتة .. ياما كان لى أيام هناك .. وبالمرة أشم شوية هوا ..

وتقول زوجته :

ـ مافيش طريقة تانية ..؟

ويقول الأب :

ـ ما فيش .. الا اننا نقعد ساكتين ونبطل الندب ..

وتنظر اليه زوجه وفى عينيها ارتياح ، وتقول :

ـ أنا مش مطمنه .. مش مطمنه أبدا ..

ويقول الأب :

ـ انى طول عمرك كده .. عمرك ما اطمنتى ..

الأب فى الاسكندرية .. يسير على شاطىء ميامى يبحث عن عادل .. ويتتبع فى الوقت نفسه أجساد النساء اللاتى يملأن الشاطىء .. ويسير متباهيا برجولته .. الى أن يلتقى بياقوت ، ويحاول ياقوت أن يتجاهله ، ولكن السيد كمال يناديه .. ويقف ياقوت أمامه مرتبكا .. وبعد أن يسأله كمال عن العائلة ، يسأله عن عادل .. ويرد ياقوت فى تلعثم :

ـ والله بقى لى كتير ما شفتوش .. اظن انه طلع رحله مع جماعه أصحابه ..

ويسأله الأب :

ـ رحله فين ؟

ويقول ياقوت :

ـ مش عارف .. ما قاليش ..

ويقول الأب :

ـ ما قالكش ازاى .. انتم مش أصحاب يا أخى ..

ويقول ياقوت :

ـ أصله سافر فجأة .. اظن انه راح مرسى مطروح .. كنت باسمعهم بيتكلموا عن مرسى مطروح ..

ويقول الأب فى حيرة :

ـ بس ده كان لازم يرجع مصر من عشر أيام .. وما بعتش ولا جواب ..

ويقول ياقوت :

ــ مش ممكن يا عمى . لازم جواباته ما بتوصلش . أصل مرسى مطروح بعيده .. وضرورى عادل حايرجع .. أنا عارف عادل كويس .. ومتأكد انه حايرجع .. مهما اتأخر ، لازم حايرجع .. عن اذنك يا عمى ..

ويجرى ياقوت من أمام الأب .. ثم تضيع حيرته عندما تصطدم عيناه بساقى فتاة تسير على الشاطىء ، ويتنهد السيد كمال فى حيرة ويتجه ويجلس فى بوفيه الشاطىء ..

ويأتى أسامة شقيق آمال وزميل عادل الذى يستذكر معه دروسه ، ليحادث أباه الذى يجلس على مائدة قريبة من المائدة التى جلس عليها السيد كمال ..

ويلمحه كمال فيناديه فى لهفة :

ــ أسامه .. عادل فين ..

ويرتبك أسامة كما ارتبك ياقوت ، ويقول :

ــ والله ما اعرفش .. بقالى كتير ما شفتوش .. انهيالى انه نزل مصر .. عن اذنك يا عمى ..

ويجرى أسامة من أمامه ، والسيد كمال يتتبعه فى دهشة ، ثم يتجه الى المائدة التى يجلس عليها والد أسامة ..

ــ حضرتك والد أسامة ؟

ــ أيوه ..

ــ أنا والد عادل ..

ويقف والد أسامة محييا وهو يقول :

ــ أهلا وسهلا .. أنا باحب عادل زى ابنى .. بس ..

ويقطع كلامه ويدعو السيد كمال الى الجلوس .. ويبدأ السيد

كمال يروى قصة عادل وانشغاله عليه .. وكيف أنه لاحظ أن أصدقاء ابنه يخفون عنه الحقيقة .. ويقول والد أسامة :

ــ ماحدش فيهم حايقولك الحقيقه .. أصلهم فاكرين انهم قدروا يحلوا مشاكلهم بنفسهم .. وأنا ما اعرفش الحقيقه كلها .. انما أقولك على اللى سمعته .. سمعت ان عادل بيعرف واحده رقاصه وعايش معاها فى بيتها ..

ويتجهم وجه الأب ويهز رأسه :

ــ والله عال يا سى عادل .. دهيه بأه اللى بتصرف عليه ولا ايه ؟

ويقول والد أسامة وهو يحنى رأسه حتى لا يواجهه :

ــ والله ما اعرفش .

ويقول السيد كمال :

ــ ما تعرفش اسمها ايه الرقاصه دى ولا بتشتغل فين ؟

ويقول والد أسامة :

ــ لأ .. ويمكن اللى سمعته مش صحيح .. انما اللى بيتقال .

ويقول السيد كمال :

ــ على كل حال دول تلات اربع صالات فى اسكندرية كلها ، الواحد يدور عليه فيهم .. والله عال يا سى عادل .. الغرابه الجيل ده طالع جيل مدب .. جيل خرع .. وليه رقاصه زى دى تضحك على الواد وتنسيه عيلته وأصحابه ومستقبله .. ده أنا لما كنت فى سنه ألوع ميت رقاصه ..

ويأخذ الاثنان فى المقارنة بين جيلهم والجيل الجديد ، وكيف أن جيلهم كان أقوى وأمتن .. جيل مبادىء .. وأخلاق .. ورجولة .. والجيل الجديد جيل مستهتر .. لا هم له الا الرقص والغناء .. و .. و ..

وفى المساء يبدأ السيد كمال فى الطواف بصالات الرقص باحثا

عن ابنه .. وهو يدخل كل صالة كأنه خبير بهذا العالم يعرف حيله ، ولا يمكن أن نجوز عليه .. ويشرب فى كل صالة كأسا ويقترب منه بائع الفستق ليضع أمامه طبقا ، فيقول له :

ــ شيل يا اخويا .. بلاش أمور نصب ..

وتقترب منه راقصة فيسألها هل تعرف شابا اسمه عادل عبد الحميد ، فتجيب بالنفى ، وعندما تحاول أن تلتصق به لتشرب كأسا على حسابه ، يهز رأسه ساخرا :

ــ لأ يا ستى .. أنا مش من دول ..

وفى كل صالة يشرب كأسا .. ويسأل عن ابنه .. ويظهر خبرته القديمة بهذا العالم ، وان كانت الراقصات يملأن عينيه بانطلاقات رجولته ..

وأخيرا يصل الى الصالة التى تعمل فيها فردوس .. ويكون قد انتشى بالخمر .. وتصطدم به فردوس شخصيا ، فيسألها وهو ينظر الى كتفيها العاريتين :

ــ قولى لى من فضلك .. ما تعرفيش شاب اسمه عادل .. عادل عبد الحميد .. شاب صغير .. رفيع .. ما بيجيش هنا ..؟

وتقول فردوس وهى تنظر أليه فى تمعن :

ــ حضرتك صاحبه .. ؟

ويقول كمال :

ــ لأ .. أنا والده ..

وترتبك فردوس ، قائلة :

ــ أنا سمعت الاسم ده قبل كده .. استنى يمكن صاحبتى تعرفه ..

وتتركه فردوس ، وتجرى الى زميلتها محاسن وتهمس فى

أذنها بضع كلمات وهى تشير لها على السيد كمال الذى يكون قد اتجه الى البار ..

ثم تسرع فردوس الى البواب الذى يقف على باب الصالة وتقول له :

ــ اذا جه عادل قول له ما يخشش .. يسبقنى على البيت وأنا حاحصله .. اوعى تخليه يخش . وقول له انى حا أحكيله على كل حاجه فى البيت .. خد بالك كويس .. اوعى تخليه يعتب جوه الصاله .. وحلاوتك عندى ..

وفى هذه الأثناء تتجه محاسن الى البار وتقف بجانب الأب ، وتقول له وهى تدعى البراءة :

ــ حضرتك بتسأل عن عادل ..

ــ أيوه ..

ــ زمانه جاى ..

وتهم بالابتعاد ولكنه يمسك بها من ذراعيها وقد زادت نشوته من الخمر :

ــ هو بييجى هنا كل ليله .. ؟

ــ تقريبا ..

ــ بيقولوا انه عايش مع واحده بتشتغل هنا .. يا ترى تعرفيها .. ؟

ــ ابدا .. لا عايش مع واحده ولا حاجه .. ده لسه عيل صغير .. مين ترضى تعيش معاه .. أهو بس بيلعب .. انما الواحده منا لو حبت ورضيت تعيش مع واحد ، ما تحبش الا راجل .. وما تعيش الا مع راجل ..

ويعجب السيد كمال بحديث محاسن .. ويستطرد فيه ..

ويبدأ فى التباهى برجولته ومغامراته السابقة .. ويطل عليه وجه البارمان .. وتقول له محاسن وهى تدعى التعفف :

ـ لا .. مش عايزه حاجه ..

ويقول السيد كمال فى عنجهية :

ـ ودى تيجى .. لازم تاخدى حاجه .. ده أنا عطلتك عن شغلك .. هات واحد ويسكى .

وتقول محاسن وكأنها تأتمنه على سر :

ـ خساره . .دول بيجيبو لنا شاى ، مش ويسكى ..

ويقول السيد كمال ضاحكا :

ـ ما انا عارف .. أنما خللى الناس تسترزق ..

وهكذا يندب السيد كمال .. ويطلب لمحاسن كأسا اخرى .. وأخرى .. ويطلق كل حرمانه الطويل .. وينسى كل مسؤولياته .. وينتقل هو ومحاسن ويجلسان على المائدة ، ويشترى لها طبق الفسنق .. وعلبة السجائر .. وعلبة الشيكولاتة .. واللعبة .. وهى فى كل هذا تتمنع وتدعى أنها تنصحه حتى لا يخسر نقوده ..

وفى هذه الأثناء يكون عادل قد وصل الى الصـــالة ، وأخبره البواب أن فردوس ترجوه ألا يدخل لسبب هام جدا .. وأن ينتظرها فى البيت .. ويحاول عادل أن يعرف السبب من البواب .. ولكن البواب لا يعرف شيئا غير أن فردوس أكدت عليه الا يدخل .. ويتردد عادل قليلا ، ثم ينصرف ..

وينتهى موعد العمل فى الصـــالة والسيد كمال جالس مع محاسن يقدم لها كؤوس الويسكى ، ثم يقول لها وهو مخمور :

ـ يعنى عادل ما جاش ؟

وتقول محاسن :

ـ أقول لك تعال معايا البيت .. نقعد هناك واضرب تليفونات لكل صاحباتى لغاية ما اعرف لك هو فين ..

ويقول السيد كمال وهو ينظر الى محاسن نظرة اعجـــاب مخمور :

ـ حاضر ..

وتقول محاسن :

ـ دقيقه واحده .. لما أغير هدومى ..

ويأتى الجرسون .. ويطل السيد كمال فى ورقة الحساب .. عشرين جنيها .. ويحاول أن يراجع الحســـاب ويحـــاول مع الجرسون .. ولكنه اخيرا يدفع وهو يضحك ..

ـ بسيطة ..

ويذهب مع محاسن الى بيتها وهى تحمل الهدايا التى اشتراها لها .. ولا يكاد يجلس معها حتى تدخل خادمتها قائلة :

ـ ستى .. صاحب البيت باعت عايز اجرة الشقة .. وعمل لنا النهارده غاره ..

ـ مش وقته ..

ـ ولو يا ستى تسيبلنا عشره جنيه أدفعهم له بكره الصبح ..

وتنظر محاسن الى السيد كمال .. ولكنه يتغابى .. فتقول لخادمتها :

ـ طيب روحى خدى من الشنطه ..

وتعود الخادمة بعد قليل :

ـ ما لقيتش فى الشنطه الا خمسه جنيه يا ستى ..

وتنظر محاسن الى السيد كمال قائلة :

ـ معكش خمسه جنيه لغاية بكره الصبح يا كمال بيه .. أصلى لسه ما حاسبتش فى الصاله ..

ويضع كمال يده فى جيبه ويخرج خمسة جنيهات ، وهو يتنهد مترنحا :

ـــ وادى خمسه جنيه ..

وتتكرر نفس المناظر التى رآها عادل فى بيت فردوس .. ومحاسن تشكو شقاءها وكدها .. وتؤلف قصة عن احترافها الرقص .. وكمال يدفع ..

ثم تقوم محاسن وتدعى أنها تتكلم فى التليفون .. تدير خمسة أرقام ثم تضع اصبعها على موضع السماعة لتقفل السكة .. وتدعى أنها تسأل المتحدثة عن عادل ..

ثم تترك التليفون ، وتجلس بجانب كمال وهى تقول :

ـــ ماحدش عارف راح فين الليله .

ويقول كمال :

ـــ مش مهم .. بزياده ليله ..

ثم يلف ذراعه حول كتف محاسن ، وهو يقول :

ـــ لولا خاطر عادل ما كنتش جيت هنا أبدا ..

وتقول محاسن :

ـــ وخاطرى أنا ..

ويقول كمال وهو يلتصق بها :

ـــ خاطرك انت بالدنيا كلها ..

ويقبلها ..

ويقضى ليلة معها ..

وتكون فردوس قد عادت الى بيتها واستقبلها عادل متسائلا عن سبب منعه من دخول الصالة ، فتقول له :

ـــ أصل صاحب الصالة هددنى بالطرد ان شافك فى الصالة تانى .. فاهم انك بتشغلنى عن شغلى وبيقول ان كل الزبائن

عارفين انى باحبك ومش ممكن أطلع مع حد تانى ، وعلشان كده ما بيفتحوش لى ..

ـــ وقلتى له ايه ؟

ـــ ولا حاجه .. أقول له ايه .. راجل قلبه حجر زى ده جايبهم ايه .. اضطريت أسكت .. وكده برضه أحسن ..

ـــ ليه .. ؟

ـــ لأن عينك ابتدت تزوغ .. أظن فاكرنى عبيطه .. مش شايفاك وانت كل ليله نازل مسايره وضحك مع محاسن ..

ويصدقها عادل ..

وينقضى أسبوع ..

والسيد كمال يذهب كل ليلة الى الصالة ويجلس مع محاسن وينفق عليها ، ثم يعود معها الى البيت ، وهو يقنع نفسه أنه يبحث عن عادل .. ثم بدأ يستريح الى حياته الجديدة ، وأصبح عادل لا يشغل سوى حيز من تفكيره .. ولكنه يردد كلما سكر كأنه يغرى نفسه ..

ـــ مش حاتجيبيلى عادل يا محاسن .. ؟

واضطر أن يقترض من احد اصدقائه فى الاسكندرية .. واقترض من صديق آخر .. حتى يغطى مطالب محاسن ..

وفى ليلة ذهب عادل الى الصالة ووقف على الباب وطلب من البواب أن ينادى فردوس .. ودخل البواب ليناديها .. واطل عادل برأسه من وراء الباب ليتزود بنظرة الى الصالة .. فيصدم رؤية أبيه جالسا على مائدة محاسن وأمامهما زجاجة خمر ..

ويرتد رأسه كأنه صعق .. ويحتقن وجهه .. وتزوغ عيناه .. ويعود البواب ، فيسأله وهو يشير الى أبيه من وراء الباب :

ـــ الراجل ده قاعد هنا من امتى ؟

ويرد البواب وهو يضحك ساخرا :

— من أسبوع .. ده مدب كبير .. ممتع البت محاسن .. ويصرف عليها دم قلبه ..

ويتمتم عادل :

— من أسبوع ..

ثم يلتفت الى البواب يسأله فى حدة :

— انت متأكد انه بييجى هنا من أسبوع ..

— كل ليلة واللى خلقك .. وكل ليله يناولنى خمسين قرش .. باقولك مدب كبير ..

ويتمتم عادل بينه وبين نفسه :

— من أسبوع .. يعنى من يوم ما منعتنى فردوس من دخول الصاله ..

ويقول البواب :

— بالضبط ..

ويصرخ عادل فى وجهه :

— فين فردوس ..

ويقول البواب :

— مالك يا سى عادل .. حيلك .. ست فردوس على المسرح .

ويقول عادل :

— طيب حاستناها هنا لغاية ما تخلص رقصتها .. خش سيب لها خبر انى مستنيها .. مسأله مهمه .. مهمه قوى ..

ويدخل البواب ..

ويعود عادل يتمتم بينه وبين نفسه :

— مدب .. أبويا مدب ..

ثم يقفز الى خياله صور زبائن فردوس الذين تضحك عليهم وتأخذ منهم ايجار الشقة وحساب البقال .. و .. و .. ويتصور أباه مكان كل واحد منهم ..

وتخرج فردوس من الصالة للقاء عادل .. وتنظر فى وجهه .. قائلة :

— مالك يا عادل .. جرى ايه .. ايه اللى حصل .. ؟

— تعالى معايا ..

— بس ايه اللى حصل .. أخويا جرى له حاجه .. ؟

— يا ريت يا شيخه .. تعالى معايا .. تعالى وانت تعرفى .. تعرفى حاجات كتير ..

— طيب استنى لما ..

— ما استناش ..

ويجذبها من يدها .. فتستسلم له .. ويركبان سيارتها ويعودان الى البيت .. وهو متجهم صامت ، محتقن الوجه ، زائغ العينين ..

وبمجرد أن يدخلا البيت ، يلتفت اليها ويصرخ فى حدة :

— ما قلتليش ليه أن أبويا بييجى الصالة .. ؟

وتفزع فردوس ، ثم تتمالك نفسها وتقول :

— أبوك مين .. وأنا ايش عرفنى بأبوك ..

ويمسك عادل بآنية زهر ويحطمها على الأرض ، ثم يقول :

— لو ما تكلمتيش حاكسر البيت كله .. ومش حتقدرى تعملى حاجه .. اتكلمى .. انت عارفه كويس انه أبويا ..

وتقول فردوس فى تردد :

— بس أنا حا اعرف أبوك منين ..

ويمسك عادل بمجموعة من زجاجات البارفان الثمينة ويرفعها بين يديه ويهم بأن يحطمها على الأرض .. فتصرخ فردوس :

— أيوه أبوك ..

ويقول عادل وهو يضع زجاجات البارفان :

— وكان جاى يدور على فى الصاله ..

— أيوه ..

— ويومها قلتلي ما ادخلش علشان أبويا .. ما يشفنيش .. مش كده .. ؟

— أمال كنت عايزنى أسيبه ياخدك منى .. أسلمك له بأديه .. انت ناسى انى بحبك .. باحبك .. ما اقدرش أعيش من غيرك .

وتقترب منه تحاول أن تغريه بنفسها لتنسيه ثورته ، ولكنه يبعدها عنه بعنف ، ويعود يصرخ :

— ومحاسن .. ايه حكايته مع محاسن .. ؟

— ما اعرفش ..

— انتى اللى سلطيها عليه ..

— أسلطها عليه ليه .. هو صغير .. ده راجل كبير ويعرف هو بيعمل ايه ..

— أنا اللى عارف انتى تقدرى تعملى ايه .. انت ناسيه انى عايش معاكى .. ناسيه انك علمتينى كل بلاويكى .. وأنا تلميذ كويس .. طول عمرى بانجح .. واقدر أعرفك انك انتى اللى سلطى محاسن على أبويا علشان تخمه ،وينسى ابنه .. وينسى يدور على وينقذنى منك ..

ثم يندفع الى الداخل .. ويلتقط حقيبته التى أتى بها ، ويجمع فيها ثيابه .. وفردوس تصرخ :

— بتعمل ايه يا عادل ..

ويقول عادل :

— مش كفايه كنتى عايزه تضيعى مستقبلى ، عايزة كمان تخربى بيتى .. تخربى بيت أبويا ..

وتقترب منه تحاول أن تمنعه من جمع ثيابه ، ولكنه يزيحها عنه .. ثم يغلق حقيبته ويندفع خارجا ، وهى تصرخ :

— عادل .. رايح فين .. عادل ..

ويقول عادل وهو يخرج :

— رايح الحق أبويا ..

ثم يجرى فى الشارع الى أن يجد سيارة أجرة فيركبها عائدا الى الصالة .. ويضع حقيبته عند البواب ثم يقف برهة يلتقط فيها أنفاسه ، ويسوى شعره وثيابه ، ويحاول أن يتمالك أعصابه .. ثم يدخل الى الصالة .. ويقترب من المائدة التى يجلس اليها والده هو ومحاسن .. يقترب فى خطا زاحفة مترددة .. ثم يقف قبالته ويقول فى صوت محشرج وبين شفتيه ابتسامة مترددة :

— أنا جيت يا بابا ..

ويرفع السيد كمال رأسه ويرتبك عندما تقع عيناه على عادل ، ويهمس :

— عادل ...

وينحنى عادل ويقبل وجنتى ابيه .. ويحاول الأب أن يسترد شخصيته ويقول فى صوت أجش :

— انت كنت فين ؟

وينظر عادل الى محاسن نظرة غاضبة ..

ويعود الأب يردد :

— كنت فين حضرتك .

ويقول عادل لمحاسن :

— تسمحى تسيبينا شويه ..

وتنظر محاسن الى السيد كمال ، فيهز رأسه صاغرا .. وتقوم محاسن .. ويجلس عادل مكانها .. ويزيح من أمامه كأس الويسكى الذى تركته ..

ويتنحنح السيد كمال ليسترد شخصيته كأب ، ثم يقول فى لهجة غاضبة :

— اتكلم .. كنت فين ..

ويقول عادل فى رقة وهو يبتسم لأبيه :

— انا كنت غلطان .. سامحنى ..

ويقول الأب :

— وعرفت امتى انك كنت غلطان ؟

ويقول عادل :

— الليله بس .. بعد ما عرفت أن حضرتك بتدور على ..

ويقول الأب فى حزم :

— ما دام عرفت انك غلطان .. يبقى بكره تاخد اول قطر وتنزل على مصر ، تطمن والدتك وأختك ..

ويقول عادل وهو يحاول أن يكون رقيقا :

— وحضرتك ؟

ويقول الأب :

— أنا .. أنا حا اقعد شويه ..

ويقول عادل مبتسما :

— مش حضرتك جيت الاسكندريه علشان تدور على" .. أدى انت لاقيتنى .. نرجع سوا بأه ..

ويقول الأب صارخا :

— انت فاهم ان ما ليش شغله غيرك .. ما ليش حق اتفسح زى حضرتك ما اتفسحت .. ما ليش حق أستريح من همك ..

ويقول عادل :

— بس يا بابا الحتت اللى زى دى مش من مقامك ..

ويقول الأب :

— ومين اللى جابنى الحتت دى الا حضرتك وهمك .. ومش انت اللى تنصحنى .. ما تنساش انى أبوك .. ولازم تعرف انى احق منك بأنى أعيش على مزاجى .. أنا قعدت عشرين سنه أشتغل واحرق دمى علشان اربيك واربى أختك .. ودلوقتى من حقى انى استريح من همكم شويه ..

ويقول عادل وهو مأخوذ بثورة أبيه :

— بس يا بابا ..

ويقاطعه الأب :

— تسمح تقولى عايز تقول ايه .. ناقصك حاجه .. قصرت فى حقك ولا فى حق بيتى .. ورايا امتحان زى حضرتك وخايف لأسقط فيه .. لسه ما عملتش مستقبلى وخايف لأضيعه .. اسمع يا ولد ، ما تتكلمش ولا كلمه اتفضل ..

ويقول عادل وهو يكاد يبكى :

— بس يا بابا دول كل اللى هنا نصابين ، بيضحكوا على الناس وياخدوا فلوسهم .. و ..

ويصرخ الأب :

— انت فاكرنى يا ولد عيل زيك .. فاكرنى مراهق .. انا عارف كويس انا باعمل ايه .. اتفضل غور من وشى .. وبكره الصبح تاخد اول قطر على مصر .. فاهم ..

ويرفع عادل رأسه فيجد كل راقصات الصالة وكل

الجرسونات ينظرون اليه والى أبيه بعيون محدقة .. فيقف على قدميه ، وهو يقول :

— أنا مش راجع مصر الا معاك ..

ثم يترك أباه دون أن يصافحه ، ويسير بين الموائد صارخا ..

وتعود محاسن الى مكانها . ويقـــول لها الأب وهو يزفر أنفاسه :

— لعب عيال ..

ثم يضع رأسه فوق كفه كأنه يهم بالبكاء ..

وتقول محاسن فى خبث :

— والنبى عادل شاب كويس .. ومتربى .. أمال لو شفت العيال التانيين تقول ايه اشرب .. وتقدم له الكأس ..

ويتردد قليلا ، ثم يتنهد ويشرب ، وهو يقول :

— أنا عشت لولادى كتير .. دلوقتى من حقى أعيش لنفسى .

ويكون عادل قد خرج من الصالة وحمل حقيبته التى تركها عند البواب ، ولا يكاد يخرج الى الشارع حتى تقابله فردوس عائدة من بيتها ، وتناديه :

— عادل ..

ويصرخ فيها :

— ابعدى عنى .. مش عايز أشوف وشك بعد كده ..

ثم يقفز فى سيارة تاكسى ويغلق الباب فى وجهها ، وتنـــدفع السيارة ، وفردوس تصرخ :

— عادل .. عادل ..

ويتخيل عادل وهو جالس فى سيارة التاكسى ، صورة أبيه وهو يسكر ، ومحاسن تستنزف نقوده ، وتسخر منه ، ثم يتصور أباه

وهو يقترض من أصدقائه .. ثم وهو يأخذ مصاغ زوجته ويبيعه .. ثم وهو يختلس من الشركة .. ثم وهو ســـجين .. ويتخيل محاسن وهى تضحك .. ضحكة مخيفة مسمومة .. وتنهمر دموع عادل على وجنتيه .. وينزل من التاكسى فى سيدى بشر .. ويسير فى رمال الصحراء حاملا حقيبته متعبا .. يكاد يقع فى كل خطوة . ولا يكاد يصل الى الكابين حتى يقع أمام بابها ، وينام على الرمل . ويغمض عينيه على دموعه ..

وفى الصباح يوقظه الشيخ عمران وابنتاه .. ويفتحون الكابين .. ويساهمون فى تنظيفها ، والبنتان فرحتان بعودة عادل ، ويقول شيخ العرب .

— انت كنت مسافر ولا ايه يا عادل ..

ويقول عادل :

— أيوه .. سافرت .. سافرت بعيد قوى ..

وتسأله البنتان :

— مش حانعمل ليله ، ونحجل .. ؟

ويبتسم عادل ابتسامة مسكينة ، ويقول :

— باذن الله ..

وبعد أن يغسل وجهه يترك الكابين ويذهب الى منزل صديقه ياقوت الذى يقيم مع عائلته فى فيللا بسيدى بشر .. ويستقبله ياقوت فى جفاء ، ولكن عادل يقول له :

— خلاص يا ياقوت أنا رجعت ..

ويقول ياقوت :

— رجعت لعقلك .. ؟

ويرد عادل :

— رجعت لحياتى ..

ويقول ياقوت :

ــ سبت الرقاصه .. ؟

ويرد عادل :

ــ سبتها ..

ويروى عادل قصته مع فردوس لياقوت ، ويقول انه كان دائما يحس بخطئه وضعفه ، وكان يحاول أن يقاوم ولكن فردوس كانت دائما أقوى منه .. ربما لأنها أول امرأة فى حياته ، واستطاعت أن تسيطر عليه عندما ملكت شبابه البكر ..

ويقول ياقوت :

ــ انت لازم ترجع مصر . ده والدك كان هنا الأسبوع اللى فات وكان بيدور عليك والشله كلها اتفقت انها ماتقولوش على الحقيقه .

ويقول عادل :

ــ ما اقدرش ارجع مصر ..

ويقول ياقوت :

ــ ليه ؟

ويقول عادل :

ــ أبويا .. ولازم أنقذه ..

ثم يروى لياقوت قصة أبيه .. وانه يخشى عليه ان استمر فى علاقته بمحاسن أن يختلس ويدخل السجن ..

ويقول ياقوت :

ــ تعرف الحكايه دى بتشبه لى زى ما يكون طلع وراك فوق الشجره علشان ينزلك .. ونزلت انت وهو ما عرفش ينزل ..

ويقول عادل :

ــ لازم ينزل ..

ــ ازاى ؟

ــ نفكر ..

ويقول ياقوت :

ــ بس لغاية ما نفكر .. تسيب الكابين وتيجى تقعد معايا هنا .. أحسن ست فردوس بتاعتك ترجع تطلعك فوق الشجره والمره دى ما تعرفش تنزل ..

ويقول عادل فى استسلام :

ــ حاضر ..

وينتقل عادل ليقيم مع ياقوت وسط عائلته ..

ويذيع ياقوت خبر عودة عادل وسط شلة الأصدقاء ، ويلتفون حوله ضاحكين له ، ويداعبونه بقصته مع فردوس ولكنه يقول لهم انها قصة مريرة ..

ثم يستطيع عادل أن يصالح حبيبته آمال ويتعهد لها بأن لا يلقى بنفسه فى تجربة أخرى ، وأنها تجربة معرض لها أى شاب فى سنه ، وتقول آمال :

ــ وأضمنك ازاى ؟

ويقول عادل :

ــ جربينى .. جربينى الخمسين سنه اللى جايين ..

وتجتمع الشلة فى كابين احدهم على الشاطىء .. أولاد وبنات .. ليضعوا خطة لانقاذ والد عادل من الراقصة محاسن ..

ويقول مدحت ، وهو شاب مفتول العضل :

ــ أحسن طريقه نروح نكسر الصاله ..

ويقول وسيم :

ــ اقولك .. اروح أشتغل على البت محاسن دى .. والفها .. أقلب مخها .. واشترط عليها أنها تسيب عمى كمال .. ايه رأيكم ..

وتقول مرفت :

— أنا عندى فكره .. أعمل نفسى مرات أبو عادل .. وآخد معايا أختى الصغيره ، واعمل انها بنتى .. والبس فقرى ، وأروح للرقاصه وأقولها ان جوزى سابنى بسببها .. وانى أنا وبنتى حانموت من الجوع .. أصعب عليها ، وتسيب أبو عادل .. زى ما حصل فى رواية غادة الكاميليا ..

وتتوالى الاقتراحات ، وهم يناقشون كل اقتراح بجدية .. وصخب .. وكثير من التعليقات .. ثم يقول ياقوت :

— أنا عندى اقتراح ..

وقبل أن يقول اقتراحه ، يدخل والد صاحب الكابين ، فيكفون جميعا عن الكلام .. ثم يبدأ ياقوت بعد أن يبتعد الأب ، يهمس باقتراحه ..

وفى هذه الأثناء تمر فردوس على الشاطىء وهى تلتفت حولها بحثا عن عادل ، ويلمحها ياقوت ، فيقول لعادل :

— مش دى فردوس بتاعتك ؟

ويرتبك عادل ، وتنظر اليها آمال فى غيظ ، ثم تنظر الى عادل فى حيرة ، ثم تقول :

— ياى .. شنيعه .. دى أد تيتا ..

ويقول حسام :

— بس .. وقعت بنفسها .. بينا يا رجاله ..

ويقوم أفراد الشلة من الأولاد ما عدا ياقوت وعادل .. ويسيرون متجمعين وراء فردوس .. وتلحظهم فردوس ، وتبدى ضيقها .. وتسرع فى خطاها فيسرعون وراءها .. وتقف ويقفون .. وعيونهم كلها مركزة عليها ، ووجوههم صامتة .. ثم تلتفت اليهم فردوس وهى تدعى الرقة ، وتسأل أحدهم :

— من فضلك ما تعرفش عادل .. عادل عبد الحميد ..

وتلتف حولها الشلة فى دائرة ، ويقترب منها وسيم وهو يسير المانكان قائلا وهو يصطنع :

— وأنا ما انفعش .. ؟

ثم يقترب حسام قائلا :

— أنا عادل ..

ويقترب الثانى قائلا :

— أنا عادل ..

كل منهم يدخل الحلقة قائلا :

— أنا عادل ..

وتضيق فردوس أنها وقعت فى فخ لتهزيئها ، فتثور ، وتشتم ، وهم يضحكون لثورتها ، وتحاول أن تخرج من الحلقة التى تلتف حولها فيمنعونها ، فتضرب واحدا منهم بالشنطة .. وتجرى .. ويجرون وراءها والشاطىء كله يتفرج عليها ..

وفى هذه الأثناء يقول عادل لياقوت وهما جالسان فى الكابين :

— أنا من رأيى اننا نحاول نستخدم فردوس فى انقاذ أبويا ..

— ازاى ..

— هى عايزانى أرجع لها .. نشترط عليها انى ما رجعش الا اذا محاسن سابت أبويا ورجع بيته .. وبعدين مارجعش لهـا ..

وتصرخ آمال :

— يا سلام يا سى عادل .. يظهر انك ابتديت تحن تانى ..

ويقول عادل :

— أحلفلك .. وحياتك .. انى ما بفكرش الا فى أبويا ..

ويقول ياقوت :

— ونضمن منين انك مش حاترجع لها .

ويقول عادل :

ـــ خليــك معايا .. رجــلك على رجلى .. ما تسبنيش ولا لحظة .

ـــ واذا رجعت ..

ويقول عادل :

ـــ ما تعرفنيش تانى .. قاطعونى كلكم .. أنا خلاص عفت يا ياقوت ..

وتعترض آمال وتثور .. ولكن ياقوت يطمئنها ويتعهد لها .. وتضطر آمال أن توافق مرغمة . .وتترك الكابين وتخرج وفى عينيها دموع ..

ويخرج عادل وياقوت من الكابين ويقفان على الشاطىء .. وهما ينظران الى فردوس وهى تجرى وافراد الشلة يجــرون خلفها .

وترى فردوس عادل فتهرع اليه وترتمى فى صدره وهى تقول :

ـــ الحقنى يا عادل .. دول وحوش ..

ويهدئها عادل ، ثم يأخذها هو وياقوت داخل الكابين ، ويشير ياقوت الى بقية أفراد الشلة ليبتعدوا .. وفردوس تشكو ما فعله أفراد الشلة بها ، وياقوت يقول لها :

ـــ ماتزعليش .. أصلهم عيال ..

وتسترد فردوس هدوءها ، ثم تقول لعادل وهى تحاول أن تفرض عليه كل شخصيتها :

ـــ حاترجع امتى ؟

ويقول عادل فى هدوء :

ـــ دلوقتى ..

وتنظر اليه فردوس بدهشة ، ثم تجذب حقيبتها وتهم بالقيام وتقول :

ـــ طيب .. ياللابينا ..

ويقول عادل :

ـــ بس بشرط ..

وتقول فردوس :

ـــ شرط ايه كمان .. مش كفايه مرمطنى وراك ..

ويقول ياقوت :

ـــ بشرط ان عمى كمال يسيب محاسن ..

وتلقى فردوس حقيبتها وتعود تجلس وهى تقول :

ـــ وأنا مالى ومال محاسن ..

ويقول عادل :

ـــ انتى اللى سلطيها على أبويا .. مافيش لازمه انك تخبى دلوقتى .. خلينا نتكلم بصراحة ..

وتبتسم فردوس ابتسامة ساخرة ، وتقول :

ـــ انتم لسه عيال .. مش فاهمين الدنيا .. تفتكر انى مهما سلطتها عليه ، كان ممكن تاخد منه حاجه الا اذا كان عايز هو يديها .. أنا كل اللى طلبته منها انها تشغله عشر دقائق لغاية ما اقدر أتصل بيك وأقولك ما تدخلش الصاله .. العشر دقائق بقوا أيام .. والكأس بقى ميه .. ومش محاسن هى المسؤوله . هو المسؤول . .ميت راجل بيخش الصاله كل ليله ، وبنشتغل عليهم كلهم .. انما ما حدش بيقع الا اللى عايز يقع ..

ويتبادل عادل وياقوت نظرات مذهولة كأنما اكتشفا حقيقة من حقائق الحياة ..

ويقول ياقوت لفردوس :

ـــ والعمل .. ؟

وتقول فردوس كأنها تلقى عليهم درسا :

كأنها بيت محافظ .. البنات فى مكان والأولاد فى مكان .. وممنوع الاختلاط .. ممنوع أن تصـــادق البنت شابا وتدعوه الى بيتها كمجرد صديق وزميل .. وممنوع أن ترقص .. وممنوع أن تخرج بعد مواعيد الجامعة .. ورغم هذا فكل بنات هذا المجتمع يفعلن ما يردن ، وينطلقن خارج تقاليد وأوامر الأب والأم .. ينطلقن فى السر ، انها تذكر ما صنعته صديقتها ليلى .. كانت مدعوة معها فى حفلة راقصة خاصة .. وجاءت مع صديقها محمود فى الساعة السابعة .. وبعد ساعة اضطرت أن تخرج من الحفلة وهى تكاد تبكى .. وسألتها شهيرة :

— رايحه فين ؟

وأجابت ليلى والزهق والثورة والدموع فى عينيها :

— لازم أرجع البيت .. أنا قلت لهم انى رايحـــه لدكتور الأسنان ..

ثم التفتت ليلى الى محمود قائلة فى ثورة :

— اسمع يا محمود .. استنانى هنا .. بابا وماما بيناموا الساعة عشرة .. وأخويا مسافر . الساعه حداشر حاكون عندك .

وقد عادت شهيرة ليلتها الى البيت فى الساعة العاشرة .. أوصلها صديقها علاء .. وسمعت فى اليوم التالى أن ليلى قد عادت وأنها بقيت مع محمود حتى الرابعة صباحا .. وقالت لها شهيرة :

— بس انتى مجنونة .. قعدتى تعملى ايه للساعة أربعه ..

وأجابت ليلى ضاحكة :

— أصل بابا ما بيصحاش من النوم قبل خامسه .. وانتى عارفه أنا ما باشبعش من محمود ..

وشهيرة لا تحب هذه الحياة .. انها لا تحب أن يكون فى حياتها

أسرار .. حتى لو كانت عن أبيها وأمها .. ان الأسرار تدفع الى الاختباء ، والاختباء يحرض على الخطأ .. على الخطيئة .. وينتهى بالندم .. وهى تذكر أن أباها قال لها يوما :

— ما فيش حاجه تحمى الواحد الا حريته .. الحرية تخللى الواحد مسئول عن نفسه .. ويحمى نفســـه .. علشان كده أنا سايبك حره .. علشان تشيلى معايا مسؤولية نفسك ..

انها مؤمنة سعيدة بحياتها وحريتها وقادرة على أن تحمــل مسؤولية نفسها ، ولكنها لم تلتفت الى كلام الناس .. الى نظرة الناس اليها .. الى تفسير الناس لهذه الحرية التى تعيشها .. انها لا تدرى أن هناك ناسا قد يفسرون حريتها على انها انحلال ، ويرونها كأنها متهتكة ، ويتصورون أن كل من يرقص معها ينالها .. ينال جسدها .. ان الناس يرون ليلى المختبئة التى تعيش حياتها الخاصة فى السر .. يرونها فى صورة أرقى وأنظف من الصوره التى يرونها فيها ..

ولكن لا تدرى كل هذا ، ولا يخطر على بالها أن تهتم بكلام الناس ..

الى أن عرفت رؤوف ..

وارتبطت به ..

أصبح صديقها الوحيد ..

انها تحب ..

وقد ظلت شهورا طويلة تراه من بعيد .. وعندما عرفته اتخذته مجرد صديق كبقية الأصدقاء .. ولكنها منذ أن رأته لأول مرة وهو يشدها اليه .. وربما كان أكثر ما يشدها اليه هو أنه يستطيع أن ينجح فى كل شىء يقوم به .. ينجح فى الرقص .. وينجح فى اللعب .. وينجح فى الرياضة التى يمارسها .

وهى تعلم أين هو ذاهب .. انه لا يتركها ليعيد السيارة لصاحبها .. ولكنه يتركها ليذهب ويلعب البريدج ..

وتركت السيارة .. وأغلقت بابها وراءها بعنف كأنها تصفعه بالباب .. ودخلت البيت دون أن تتكلم .. وألقت بنفسها على فراشها وبكت .. بكت احساسها بالفشل ..

وخف بكاؤها وهى تستعيد كل ذكرياتها مع رؤوف .. ووجدت صورة عازف الجيتار أشرف تقفز بين ذكرياتها .. انه ناجح .. وسينجح أكثر وأكثر .. لأنه اختار للنجاح طريقا واحدا .. أما رؤوف فيتنقل بين طرق النجاح قبل أن يصل الى قمة أى طريق .. ولكن بقى طريق لم يخرج منه رؤوف .. طريق دراسته .. لقد بقى أمامه عام واحد وينال بكالوريوس الاقتصاد والعلوم السياسية .. وهو لم يرسب أبدا فى أى امتحان .. فلتنتظره الى أن يتم نجاحه .. وبعد هذا تبدأ معه فى بناء مستقبلهما .. انها تحبه .. وتستطيع أن تنتظره وتتحمله ..

وبقى على الامتحان شهر ..

رؤوف لا يزال متفرغا للعب البريدج ..

وقالت له كأنها تتوسل اليه :

— رؤوف .. مش فاضل الا شهر وكام يوم على الامتحان .. وانت لسه ما ابتدتش تذاكر ..

وقال رؤوف ساخرا :

— عايزه الحق .. ماليش نفس للامتحان .

وصرخت :

— ايه اللى بتقوله ده يا رؤوف .. يعنى ايه مالكش نفس ..

وقال من خلال ابتسامته الساخرة :

— حامتحن وانجح .. والسنه الجايه امتحن وانجح ..

وبعدين .. أبقى موظف كبير بسبعتاشر جنيه فى الشهر .. ولو بقيت كبير قوى يبقوا أربعة وعشرين جنيه .. وبعد عشره خمستاشر سنه يبقوا أربعين ولا خمسين جنيه .. تعرفى أنا باكسب كام فى اليوم من البريدج .. على الأقل عشره جنيه .. يعنى على الأقل تلتميت جنيه فى الشهر ..

وشهقت كأنها ترى رؤوف فى صورة جديدة .. وقالت :

— بس البريدج مش مستقبل .. ما تقدرش تحترف البريدج .. اذا كان عمر الشريف بيلعب بريدج مابناش مستقبله على البريدج .. وتشرشل .. وكل اللى بتتكلم عليهم .. و ..

وقاطعها :

— ليه ما يكونش البريدج مستقبل .. اللعب .. لعب الورق .. انتى عارفه اللى بيشتغلوا فى صالة شيرتون بتاعة اللعب بيطلعوا بكام .. يمكن ميه ولا متين ..

واستمرت المناقشة .. وهى تعلم أن نوبة البريدج التى تسيطر على رؤوف هى نوبة لا تلبث أن تختفى كما اختفت نوبات له من قبل ..

ولكن الامتحان ..

انها لا تستطيع أن تنتظر اختفاء النوبة ..

واستطاعت أن تستغل كل ذكائها وكل حبه لها الى أن أقنعته بأن يبدأ المذاكرة .. وأن يذاكر معها فى بيتها .. هى لامتحان الجامعة الامريكية .. وهو يذاكر لامتحان الاقتصاد والعلوم السياسية .. ورحب أبوها وأمها بالفكرة .. انهما يحترمان حبها .. ويحترمان رؤوف لأنه حبيبها .. وهما يثقان فيها ويؤمنان بأن الحرية حماية لها .. وبدأ رؤوف يتردد كل يوم على البيت .. انه يكاد يعيش فيه تقريبا .. وشهيرة تفرح به كلما فتح كتابا

وتفرغ كله له .. بل انها أكثر من ذلك كانت تتصل بالمعيدين الذين يحتاج اليهم فى الدروس الخصوصية ، وتعطيهم رشـــوة من ابتسامتها وكلماتها الحلوة والأمل ، حتى يســـاعدوا رؤوف على النجاح ..

ـ تفتكر يا دكتور رؤوف حاينجح .. لازم ينجـــح علشـــان خاطرى . اوعدنى انه ينجح ، واوعدنى لما ينجح ان احنا نفضل أصدقاء .

كانت تقول الكلام فى التليفون .. وكانت تســـعى الى صداقة عائلات الأساتذة المتزوجين .. كانت تحاول أن تساعد رؤوف على النجاح ، كما تساعد نفسها على النجاح فى الامتحانات .

ولكن رؤوف كان أحيانا يختفى .. ويحتج بأى حجة ليختفى ويبتعد عنها ..

وتعرف أن نوبة البريدج قد غلبته ..

وهى أيضا كانت تنتابها نوبة .. نوبة الجيتار .. فلا يكاد رؤوف يختفى ليلة ، حتى تتصل بأصدقائها وتتفق معهم على عشاء المساء فى الملهى الراقص .. وفى كل مرة تزداد اعجابا بفن أشرف .. انه يزداد نجاحا .. الناس كلهم يتحدثون عنه .. والصحف بدأت تكتب عنه .. والبنات يتهافتن عليه ، ويتعلقن به .. وهو يستطيع دائما أن يشدهن اليه .. انه يعزف كأنه يدغدغ صدورهن .. وأحيانا كأنه يلعب معهن استغماية .. انه يتكلم ويغازل ويغضب ويفرح بأوتاره .. ولكنها ظلت حريصة على الابتعاد .. انهـــا فقط ترقص وتنظر الى أصـــابعه لا اليه .. انها لا تحب أن تكون كبقية البنات المتهافتات عليه . ثم انها تخافه . تخاف احساسها به .. انها تعرف ضعفها نحو الموسيقى ونحو النجاح .. وهو موسيقى ناجح .. وتخشى أن يتحول ضعفها الى شخص الموسيقى الناجح .. ولابد أنه لاحظ تعمدها الابتعاد عنه دون بقية البنات

.. ولابد انه تتبعها بعينيه على الأقل لأنها جميلة .. أجمل البنات .. وفى مرة لمحته يبتسم لها وهو يعزف .. وتجاهلت ابتسامته .

وفى ليلة من هذه الليالى اندمجت فى الرقص .. كان اللحن الراقص ينطلق فى أعصابها الى أن نسيت تعمدها التحفظ أمام أشرف .. ورقصت بما تعودت أن ترقص .. ورقصها يتفوق حتى على اللحن الموسيقى .. وتشد اعجاب كل الناس .. ترقص .. وترقص .. ونزل أشرف من فوق منصـــة الفرقة الموسيقية ، واقترب منها وهو يحمل جيتاره .. وأخذ يعزف لها . وتمادى وتفنن فى عزفه كأنه يتحداها أن تصل برقصاتها الى مستوى فنه .. وهى ترقص ، وهو يعزف .. والناس كلهم تركوا لهما حلبة الرقص ووقفوا حولهما يصرخون ويشهقون اعجابا بهما ..

وفجأة ..

رفعت رأسها كأنها لم تكن تدرى بكل هذا .. ورأت أشرف أمامها بالجيتار كأنها لم تكن تعرف أنه معها . وتوقفت عن الرقص .. وأخذت تتلفت حولها فى ذهول .. وأشرف ما يزال يعزف لها كأنه يحرضها على أن تعود للرقص .. ولكنها جرت خارجة خارج حلبة الرقص .. والناس كلهم يصفقون لها .. ينادونها . يهتفون لها .. وهى تجرى الى أن خرجت من الملهى كله ، والقت نفسها وحدها فى سيارة تاكسى ..

وابتسمت سعيدة ..

انها لم تتعمد ما حدث الليلة ..

ولكن ما حدث حلو .. الفن حلو .. والنجاح حلو .. و .. وأشرف حلو .. لا .. ليس أشرف .. انه الجيتار .. الجيتار حلو ..

ولكنها لن تعود ..

يجب ألا تعود ..

انها مسئولة عن شىء أكبر .. مسئولة عن نجاحها فى الامتحان ونجاح رؤوف ..

وفى الصباح التالى روت كل ما حدث لابيها وامها .. ثم روته لرؤوف وهما يبدءان المذاكرة .. انها لا تحب وليس من طبيعتها أن تخفى شيئا .. ولم يهتم رؤوف كثيرا ، ولكنه أخذ يروى لها تفاصيل جلسة البريدج التى سهر فيها ليلة أمس .. تفاصيل لا تهمها .. وهو يطيل فى حديثه ..

وتحاول أن توقفه عن الحديث ..

ذاكر يا رؤوف .. كفايه كلام بأه ..

ودخلت شهيرة الامتحان ..

ونجحت ..

لم يبق الا عام واحد وتتخرج ..

وامتحن رؤوف ..

ورسب ..

سقط رؤوف فى الامتحان ..

ولم يكن سقوطه فى الامتحان هو كل ما هد شهيرة .. ولكن هدها أكثر عدم اهتمامه بالسقوط .. وهدها أكثر وأكثر انه كان قد أخفى عنها أنه لم يتقدم لامتحان معظم المواد .. كان يعرف انه ساقط قبل أن يسقط ..

* * *

ومضت أيام وشهيرة حائرة لا تستطيع أن ترسم صورة لمستقبلها . ولا تستطيع أن ترى الطريق الذى تندفع فيه .. اهتز كل شىء فيها حتى حبها لرؤوف .. انها تحبه .. ولكنها تؤمن

بأن الحب بناء .. أن تبنى هى وحبيبها شيئا .. ولكنها لم تعد تستطيع أن تجد الشىء الذى تبنيه مع رؤوف .. واهتز حبها .. لم تعد ملهوفة على لقائه وأخباره ولم تعد تبذل الجهد الذى تعودت أن تبذله له .. أصبح حبها حبا عاطلا .. حبا بلا عمل ..

وخلال فترة حيرتها كانت تتبع أخبار عازف الجيتار أشرف .. انه يزداد نجاحا وشهرة ، وقد كون فرقة موسيقية خاصة به وأصبحت أشهر الفرق الموسيقية الراقصة .. وأصدقاؤها وصديقاتها يتحدثون عنه دائما .. عن فنه .. وعن مغامراته النسائية .. ان أخباره أصبحت من أخبار النجوم .. نجوم الفن .. وهى تحس بضعف نحوه .. ليس ضعفا عاطفيا .. قطعا انها لا تحبه .. انها تحب رؤوف .. ولكنها تحس بأشرف كقوة تجذبها .. قوة النجاح .. قوة الشهرة .. وتحس بهذه القوة كأنها تجذبها من شعرها .. كأن أصابعه التى تتحكم فى أوتار الجيتار تتحكم فى خصلات شعرها ..

وسافرت الى الاسكندرية مع والدها وامها لقضاء الصيف .

ورؤوف لم يتخلص بعد من نوبة البريدج ولكنه أضاف اليها نوبة سباق الخيل .. وهو يجلس بجانبها على شاطىء عايدة فى المنتزه بدرس ويذاكر جداول سباق الخيل .. ويختفى بعد الظهر ليلعب أو ليتردد على اسطبلات الخيل .. انه مصمم على النجاح فى سباق الخيل كما ينجح فى أى شىء .. وفى المساء يستسلم لنوبة البريدج ..

وأشرف فى الاسكندرية .. انه يقود الفرقة الموسيقية الراقصة فى الملهى الليلى بفندق فلسطين .. وهى لا تزال مترددة فى الذهاب اليه .. منذ أن عزف لها الجيتار وهى ترقص ، لم تذهب اليه ولم تره .. ولكن لماذا تستمر فى التردد .. ماذا يمكن أن يكون

وقامت سنية تترنح فى مشيتها .. وأشعلت وابور الجاز ووضعت فوقه صفيحة الماء ..

وصرخت فيها سيدتها :

— روحى كملى كنس الصاله لغاية الميه ما تسخن ..

وبدأت سنية تكنس من جديد ..

الى أن عادت سيدتها تصرخ :

— بت يا سنيه ..

وألقت سنية المكنسة فى غيظ ، وذهبت الى سيدتها ..

وقالت السيدة :

— سيدك الصغير دخل الحمام ؟

وقالت سنية فى تهالك :

— أيوه يا ستى ..

وقالت سكينة وهى تبتسم فى خبث :

— طيب روحى شوفى يمكن يكون عايز حاجه .. ولا عايز حد يدلك ضهره .. أصلى انا مشى قادره ..

واتسعت عينا سنية دهشة ، واحمر وجهها ، ووقفت صامتة .. وصرخت فيها سيدتها :

— جرى ايه يا بت .. اظن مكسوفه .. ده سيدك لسه ماكملش سبعتاشر سنه ..

وظلت سنية واقفة مذهولة لا تجيب ..

واستطردت الست سكينة قائلة :

— والنبى انت كهينه .. وماحدش عارف نيتك ايه .. طب خدى .. ناولى سيدك الهدوم ..

وأخذت سنية الهدوم الداخلية التى ناولتها لها سيدتها ، وذهبت الى الحمام ووقفت تنقر على بابه ..

— وصاح محمد من الداخل :

— خش ..

ولم تفتح سنية الباب ، وعادت تنقر عليه ..

وعاد محمد يصيح :

— خشى يابت ..

وقالت سنية من وراء الباب وهى مرتبكة ، خجلة ، مغتاظة :

— الهدوم يا سيدى ..

وفتح محمد الباب نصف فتحة ، وأطل برأسه ، وقال :

— ما تدخلى يا بت .. تعالى شوفى الوابور باين عليه حينطفى .

ومدت سنية يدها اليه بملابسه الداخلية ، وهى تكرر فى خفر :

— الهدوم يا سيدى ..

ويأخذ محمد الهدوم وهو يحاول أن يمسك يدها ليشدها إلى داخل الحمام ، ولكنها جذبت يدها منه بسرعة ، وجرت إلى المطبخ .

ولمحتها سيدتها وهى تجرى إلى المطبخ ، فعادت تصيح :

— بت يا سنية .. انتى يا بت ..

وعادت إليها سنية .. وقفت على باب غرفة النوم وهى تتنهد .. وقالت سكينة وهى ترفع حاجبيها :

— بتتنهدى ليه يا شاطره .. انشا الله تتهدى .. روحى يالله حضرى العشا لغاية سيدك الكبير ما ييجى .. وتعالى تانى .

وذهبت سنية إلى المطبخ تعد طعام العشاء للحاج شاكر — تاجر منيفاتورة فى الموسكى .. تعود الا يعود إلى البيت الا بعد منتصف الليل ..

وانتهت سنية من اعداد العشاء ، وسمعت نداء سيدتها ، فذهبت إليها ..

وقالت سكينة وهى تناولها ابنها الصغير الذى يبلغ عمـره الثانية ولا يكف عن الصراخ :

ـ خدى نيمى سيدك الصغير ..

وقالت سنية :

ـ ده نايم من الصبح ، هو مش حا ينام تانى أبدا ..

وصرخت السيدة :

ـ يا بت بلاش لماضه .. ده يا حبة عينى ما نمش ساعه على بعضها .. خدى نيميه أحسن انا هلكت .. واول ما ينام نامى انتى كمان بس خلى نومك خفيف ، علشان سيدك الكبير لما ييجى تقفى على اديه وهو بيتعشى .. فاهمه .. مش تنامى زى القتيله ..

وحملت سنية الطفل الصغير ووجهها مكرمش كأنها تلعنه .. وذهبت به إلى المطبخ ، وفرشت اللحاف القديم الذى تنام عليه ، وجلست عليه والطفل فوق ركبتها تهزه لينام .. والطفل مفتح العينين .. وسنية متعبة .. تريد ان تنام .. وغفت عيناها .. وما كادت تغفو حتى بدأ الطفل يصرخ .. وفتحت سنية عينيها . وبدأت تهز الطفل وهى تنظر اليه كأنها تهم أن تخنقه بعينيهـا وهمست :

ـ اتخمد بأه .. انشا الله ما تصحى ..

وهى تريد أن تنام .. والطفل يصرخ .. لا يكف عن الصراخ .. وتريد أن تنام .. لم تعد تستطيع ان تقاوم .. وسكت الطفل برهة .. وغفت عيناها .. ورأت فى غفوتها سيدتها تصرخ وفمها مفتوح إلى آخره .. وتصرخ . والطفل يصرخ . ولم تعد تستطيع ان تميز بين صراخ سيدتها التى تسمعه فى حلمها .. وبين صراخ الطفل الذى تحمله على ركبتها ..

ومالت برأسها فى جلستها . واحلام مزعجة تلاحقها . وصراخ

.. صراخ كثير .. صراخ سيدتها .. وصراخ الطفل .. وصراخ البيه الصغير .. وصورة البيه الكبير المعلقة على الجدار تصرخ ..

وفجأة أفاقت سنية على سيدتها واقفة أمامها ترفسها برجلها وتصرخ فيها :

ـ يا بت انتى انطرشتى .. مش سامعه سيدك بيعيط .. ونايمه زى الميته ..

ونظرت سنية إلى سيدتها وقد اشتعلت عيناها بالنار .. نار الغيظ .. والثورة .. والاحساس بالظلم .. ثم قامت واقفة ، ودفعت الطفل فى صدر سيدتها .. صائحة :

ـ خدى .. نيميه انتى .. انا خارجه ..

واندفعت سنية نحو باب المطبخ المؤدى إلى سلم الخدم ، وسيدتها تصيح وراءها :

ـ رايحة فين يا بت ..

ثم لان صوتها ، وقالت فى صوت أقرب إلى التوسل :

ـ يا بت اعقلى .. ربنا يهديكى ..

وخرجت سيدة من الباب ..

وخرجت سيدتها وراءها :

ـ طيب استنى لما أنده عم عبده البواب يأخدك ..

ولم ترد سنية .. صعدت السلالم كالمجنونة ..

وتمتمت سيدتها :

ـ طيب والله ما انتى واخده ولا مليم من ماهيتك ..

* ★ *

صعدت سنية إلى سطح العمارة .. واندفعت إلى حجرة فوق السطوح ، وخبطت على بابها وهى تصيح :

— منعم .. منعم .. افتح يا منعم ..

وفتح منعم .. شاب فى الرابعة والعشرين من عمره ، يرتدى بيجاما ويمسك فى يده كتابا .. وقال دهشا بمجرد أن رآها :

— ايه اللى جابك دلوقتى يا سنيه ؟

وقالت سنية وهى تدخل الغرفة لاهثة ، وتلقى نفسها على الأريكة الاستامبوللى :

— أنا سبت الشغل .. ما بقتش قادره أستحمل .. دول ناس ما عندهمش قلب .. حايموتونى يا منعم .. كفرونى وكفروا عيشتى ..

وقال منعم وهى يلقى الكتاب من يده ، ويجلس بجانبها :

— بس انتى استحملتى كتير يا سنية .. ومش فاضل غير القليل ..

وقالت سنية وهى تبكى :

— خلاص .. مش قادره استحمل ولا كتير ولا قليل .. مش قادره يا منعم ..

وقال منعم :

— بس ده مش فاضل على الامتحان غير خمس أشهر ..

وقالت سنية :

— مش قادره أستحمل ولا يوم واحد .. والشغل كتير .. عم عبده البواب قاللى ان الجماعة اللى فى الدور التالت عايزين واحده ..

وقال منعم فى غيظ :

— طيب كنتى استنيتى عند الجماعه دول لغاية أول الشهر . ده فاضل يومين اتنين .. دلوقتى مش حايدولك ماهيتك ..

وقالت سنية :

— تفور الماهية ..

ثم القت نفسها على صدره وقالت :

— انت مش عايز راحتى يا منعم ..

وقال منعم وهو يزفر انفاسه :

— أيوه يا حبيبتى .. اللى يريحك اعمليه ..

وقالت سنية :

— ربنا يخليك لى يا منعم ..

واعطته شفتيها ..

وقبلها .. واحتضنها الى صدره .. واستسلمت له فى اعياء .. وبينما هو يقبلها ، نامت ..

ويقظها منعم وهو يبتسم :

— سنية .. سنية .. انتى نمتى ..

واستيقظت سنية ، وضحكت قائلة :

— مش قلت لك انى تعبانه ..

وقال منعم :

— ما كنتش فاكر انك تعبانة للدرجة دى ..

وقالت :

— أقوم أنزل أنام عند عم عبده ، أحسن يقول لى كنت نايمه فين ..

وقبلته ، ونزلت وعلى شفتيها ابتسامة .. كأنها نسيت كل تعبها لمجرد هذه الغفوة السريعة على كتف منعم .. وهى تحب منعم .. تحبه .. ولا تذكر متى بدات تحبه .. ولكنه سكن فى غرفة السطوح منذ عام .. وكانت تقابله على باب العمارة .. شىء كبير جذبها اليه .. ربما وجهه الريفى .. ونظرته القوية التى تهابها وتحترمها .. وقد حياها مرة .. ثم وجدت نفسها تصعد

الى السطوح لتبحث عنه وتحييه .. ثم حادثها وهى تنشر الغسيل .. حديثا طويلا متجددا .. وجذبها اليه أكثر أنه ابن فلاح فقير. وأن أباه يرسل له ستة جنيهات فى الشهر .. وفى يوم رأته حزينا بائسا .. كان يبحث عن ثمن كتاب .. وأعطته ثمن الكتاب .. ذهبت الى سيدتها وسحبت من مرتبها ثمن الكتاب .. ويومها قبلته لأول مرة .. ثم أصبحت حياتها كلها قبلا .. وأعطته ثمن كتاب آخر .. ثم بدأ يحدثها عن الزواج .. انه يحدثها عن الزواج بنفس الصدق والاخلاص الذى يحدثها بهما عن أمه وهى جالسة أمام الفرن تخبز فى بيت القرية .. وواعدته على الزواج .. بعد أن ينتهى من امتحان الليسانس فى نهاية العام .. وتذكر يومها أنها دخلت معه الى غرفته وأغلق بابها وراءها .. وكانت المرة الاولى التى يغلق فيها الباب وراءهما .. وقال لها وهو يضمها الى صدره :

ـ يا حبيبتى يا مراتى ..

ومن يومها وهو يغلق الباب وراءهما كلما دخلا الغرفة ..

وقد تعودت أن تعطيه ثمن الكتب .. ثم أصبحت تشترى له الأكل أحيانا .. وفى مرة استطاعت أن تحصل على قميص أفرنجى أعطته له .. هل سرقته من بيت مخدومها .. انها لم تقل له انها سرقته .. وقد فرح به .. فرح بالقميص .. فرحته بالدنيا ..

وكان أحيانا يداخلها الشك .. أولا تصدق نفسها .. هل حقيقة سيتزوجها .. انها تحبه .. وهى تنفق عليه كل مرتبها .. لم تعد تعطى أمها سوى جنيه واحد .. والباقى تنفقه على عبد المنعم .. الى أن ينجح .. ويصبح محاميا .. ويتزوجها .. وتصبح حرم الأستاذ عبد المنعم .. ويومها ستأتى ببنت صغيرة لخدمتها .. ولن تعاملها بقسوة كما تعاملها ست سكينة .. لا أبدا .. ولكنها أيضا لن تدعها تسرق القمصان كما تفعل هى ..

ونزلت على السلم وأحلامها واضحة امامها .. وضوح النور كل شىء سيتحقق .. كل ما تحتاج اليه هو الصبر .. وتنهدت قائلة :

ـ الصبر يارب ..

ثم ذهبت الى عم عبده البواب ، وقالت له انها تركت خدمة ست سكينة التى تسكن الدور الأرضى .. وبكت له وهى تروى له كيف تعاملها .. وقال عم عبده :

ـ ما انا عارف ست مافيش فى قلبها رحمة .. طيب خشى نامى مع الأولاد .. لغاية الصبح ما يحلها ربنا .. الجماعة اللى فى الدور الثالث طيبين .. وحايدوكى ماهية أد ماهيتك مرتين ..

وعاد عم عبده ينام على الدكة أمام البوابة ..

ودخلت سنية الى الغرفة التى تقع تحت السلم ..

***

كان سكان الدور الثالث .. زوجان لم ينقض على زواجهما أكثر من عام .. دائما الشجار .. وست فيفى شابة دلوعة تقضى يومها كله أمام المرآة .. تحادث أمها فى التليفون بالساعات ..

والاستاذ نبيل شاب .. مدير احدى الشركات .. يتحمل زوجته قدر طاقته ، ويقضى ساعات طويلة فى غرفة المكتب يراجع دوسيهات الشركة ..

وفى اليوم الأول التفتت ست فيفى وهى جالسة أمام المرآة وسألت سنية فى بساطة :

ـ أنا حلوة يا سنية ؟..

وقالت سنية فى نفاق :

ـ حلوة بس يا ستى .. دى العمارة كلها تشهد بجمالك ..

ومن يوم ما شفت حضرتك وأنا نفسى أشتغل عند الست الحلوة دى ..

ان فيفى مجنونة بجمالها ..

وبعد ثلاثة أيام قررت لسنية ماهية خمسة جنيه .. وفرحت سنية ..

والأستاذ نبيل . ينظر الى سنية نظرات تحتار فيها . أحيانا ترى نظراته تسقط على ساقيها .. وأحيانا تحس بنظراته تلسع ظهرها .. وأحيانا ترى فى عينيه نظرات محترمة هادئة .. وهى لاتستطيع أن تصدق أن زوجا جديدا لفتاة جميلة ، يمكن أن يشتهيها .. أو يطمع فيها .. ولكنها كانت لا تستطيع أيضا أن تتجاهل معانى نظراته ..

ولم تسكت الست سكينة عندما علمت أن سنية اشتغلت فى الدور الثالث .. لقد صعدت كالزوبعة وأطلقت لسانها فى وجه الست فيفى ، ووصفتها بأنها سارقة الخادمات .. واتهمت سنية بأنها سارقة .. و .. و .. وبكت فيفى ، واتصلت بأمها واستدعتها لتنقذها من الست سكينة التى لا تكف عن ازعاجها ..

وجاءت أم فيفى .. ووقفت فى وجه سكينة .. ترد على الكلمة بكلمتين .. وعلى الصراخ بصراخ أعلى .. الى أن سكتت سكينة .. واستطاع عم عبده البواب أن يقنعها بأن تدفع لسنية مرتبها بعد خصم خمسة أيام ..

وكانت أم فيفى تدخل دائما فى المشاجرات التى تقع بين فيفى وزوجها ..

ثم أصبحت سنية تدخل أيضا ..

وكانت فيفى تشكو لها من زوجها ..

وكان الأستاذ نبيل بعد أن تنام زوجته ، يتسلل من غرفة

مكتبه ، الى الفراندة التى تنام فيها سنية ، ويشكو لها من زوجته ، ودلعها ، وعدم احترامها له .. وهى تستمع اليه فى حذر ، وتغطى ساقيها بطرف قميصها ..

ولم يكن يهم سنية أسباب الشجار الذى يقع بين الزوج وزوجته .. ولكنها كانت سعيدة لأن كلا منهما يشكو لها .. وأحست أنها شخصية هامة فى البيت .. وأحست انها لا تقل عن سيدتها ..

وأصبحت تتجرأ وتطلب منها بقية قلم الروج القديم .. وتطلب منها ايشاربا قديما .. ثم بدأت تنظر الى زجاجة العطر الذى تتعطر به سيدتها .. انها تريد قطرة من هذا العطر تضعها خلف اذنها ـ كما تفعل سيدتها ـ قبل أن تصعد الى منعم فى حجرته فوق السطوح .. وحاولت أن تمنع نفسها .. أن تقاوم اغراء هذا العطر .. انها سرقته .. وهى لا تريد ان تسرق سيدتها الطيبة .. ولكن زجاجة العطر تزغلل عينيها .. والاغراء يشتد .. واخيرا ضعفت .. وسرقت قطرة العطر .. ويومها فرح بها منعم .. انها لم تره أبدا يحبها كل هذا الحب ..

وأصبحت تسرق قطرة عطر كل يوم .. قبل أن تصعد الى منعم .. ولاحظت أن الزجاجة تتناقص .. وخشيت أن تلاحظ سيدتها .. فبدأت تضع قطرة ماء فى الزجاجة كلما أخذت منها قطرة عطر .. ولم تلاحظ سيدتها شيئا .. كل ما لاحظته أن العطر تخف رائحته ..

وأصبحت سنية تسرق أشياء صغيرة .. انها لا تسرق أشياء ثمينة لتبيعها .. ولكنها تسرق فقط أشياء تحلى بها انوثتها أمام منعم .. سوتيان .. اشارب .. منديل ..

انها ليست سارقة ..

انها فقط امرأة تحب ..

وفى يوم سرقت كرافتة من نبيل وأعطتها لحبيبها منعم ..

ومرت أيام ، والتقى نبيل بمنعم على باب العمارة ، ورأى كرافتته الضائعة على صدره .. وسكت .. وعندما عاد الى البيت أخرج من الدولاب كرافتة أخرى وذهب بها الى سنية فى المطبخ ، وقال لها وهو يضحك :

ـ من فضلك يا سنية ادى الكرافتة دى للجدع اللى ساكن فى السطوح ، وهاتى منه الكرافتة الى عنده ..

وبهتت سنية وقالت :

ـ وأنا مالى يا سيدى .. أنا ماعرفوش .. وماليش دعوة بيه ..

وحاول الأستاذ أن يجعلها تعترف بأنها سرقت الكرافتة ، ولكنها لم تعترف .. وأخيرا قال لها :

ـ طيب من هنا ورايح كل كرافتة عايزها تضيع هاديهالك .

وابتسمت سنية وسكتت ..

وهى سعيدة فى هذا البيت ..

سعيدة جدا ..

والمشاجرات تزداد بين الزوجين .. وكلاهما يشكو لها .. والحماة تدخل .. وتزغر الى سنية بعينين ساخطتين وسمعتها تقول :

ـ أنا البنت دى مش مطمنة لها ..

وردت فيفى :

ـ أبدا يا ماما .. دى مريحانى خالص ..

ولاحظت سنية أن سيدتها تتكلم فى التليفون كثيرا .. ربما كان لها عشيق ..

ولاحظت أن الأستاذ نبيل أصبح يكرر التسلل الى الشرفة

بعد أن تنام زوجته .. ويطيل معها الحديث .. ونظراته أصبحت أكثر صراحة ..

وهى سعيدة ..

كل ما يقلقها أن موعد امتحان منعم يقترب .. وتخاف الا يفى بوعده .. أن يتزوجها بعد التخرج .. لقد أعطته كل شىء .. انها تصرف عليه كل مرتبها .. انها تطبخ له .. تغسل له هدومه .. تسرق له القمصان والكرافتات .. فهل يخدعها بعد ذلك ..

وانتهى منعم من امتحانه ..

وفى اليوم المحدد لظهور النتيجة صعدت له فى الليل الى غرفته .. وخبطت على الباب ..

لا أحد يرد ..

وسقط قلبها .. أحست بمصيبة قد وقعت .. ونزلت تجرى الى عم عبده البواب .. فأخبرها أن الأستاذ منعم قد جمع عفشه ودفع متأخر الايجار .. وعزل ..

وبهتت سنية ..

جنت ..

وصعدت تجرى الى الشقة التى تعمل فيها .. و ..

وعم عبده يصيح وراءها ساخرا :

ـ انتى كنتى فاكره انه حيقعد لك .. ولا فاكره انه حياخدك معاه ..

وتكورت سنية على أرض المطبخ .. جالسة ساهمة .. ونظرات مجنونة فى عينيها .. والست فيفى تنادى عليها ولا تسمعها .. وجاءت فيفى وراتها وسألتها :

ـ مالك يا سنية ؟.

وقالت وعيناها زائغتان :

ـ تعبانه .. تعبانه قوى ..
وقالت فيفى فى اشفاق :
ـ طيب خديلك اسبرينه ..
وقالت سنية ساهمة :
ـ حاضر ...
وهى تفكر .. تفكر فى عمرها الذى ضاع .. فى خيانة منعم . فى كل ما فعلته له .. فى قلبها المصدوم ..
والليل يزحف ..
وقامت فى هدوء وقد نام كل من فى البيت .. وبيد ثابتة .. سكبت على نفسها صفيحة الجاز .. ودموعها واقفة فى عينيها .. وأمسكت بعود الكبريت .. وقرات الشهادتين .. وهمست الله لا يسامحك يامنعم .. و ..
وفى هذه اللحظة دخل الأستاذ نبيل ..
ووقف على باب المطبخ .. ورأى سنية مبلولة .. ورائحة الغاز تفوح منها ..
وقال فى هدوء :
ـ بلاش يا سنية .. ما فيش حاجة تستاهل ده كله ..
ولم تسمعه سنية ..
ولم ترد ..
واشعلت عود الكبريت ..
وبسرعة هجم عليها الأستاذ نبيل ، وأطفأ العود .. ثم مزق ثوبها حتى يخلصها منه .. وجسدها يرتعش من تحت الثوب الممزق ..
وانهارت ..
والقت نفسها بين ذراعى الأستاذ نبيل ..

تبكى فى تشنج ..
ونبيل يحاول أن يهدئها .. وشفتاه قريبتان جدا من شفتيها .. وجسدها بين ذراعيه ..

***

ولم تعد تدرى ما يحدث ..
وتغيرت سنية منذ الصباح التالى ..
لم يعد يهمها أن تعطى للأستاذ نبيل ما يريده منها .. تعطيه فى اهمال .. كأنها تحتقره .. وتعامله بقسوة .. وتطلب منه فى جشع ..
ولم يعد يهمها ان ترضى سيدتها .. انها ترد عليها بفظاظة .. وتهمل فى عملها ..
وفى يوم تشاجرت فيفى مع زوجها .. وتدخلت سنية ووقفت فى صف نبيل ضد زوجته .. ولم تكن تفعل ذلك من قبل .. كانت تحرص أن تقف على الحياد .. تسمعهما دون أن تبدى رأيها ..
وثارت فيفى وصرخت فى زوجها :
ـ هو انا مش عارفة انت بتعمل ايه يا بتاع الخدامات ..
واستدعت أمها بالتليفون .. وقالت لها ان زوجها يتسلل بالليل ـ ويذهب الى الخادمة ، وانها مصرة على الطلاق ..
وقالت الأم :
ـ ما تبقيش عبيطة يا بنتى .. بدل ما تطردى جوزك ، اطردى الخدامة ..
وقامت الأم ، وطردت سنية ..
ونزلت سنية الى عم عبده البواب تحمل حقيبة ملابسها ..
وقال لها ضاحكا !
ـ ولا يهمك .. البت اللي فى الدور السادس مش مستريحة

فى الشغل .. تنزل هى الدور الثالث وتطلع انتى السادس ..

التحقت سنية بخدمة العائلة التى تسكن الدور السادس .. وقد تغيرت شخصيتها بعد صدمتها فى حبها . وأصبحت أكثر وعيا للحياة .. وأكثر هدوءا .. وأصبحت أكثر جراة .. ويسيطر عليها أحساس باللامبالاة ..

وكانت العائلة التى تسكن الدور السادس مرحه مكونة من زوج وزوجته وثلاث بنات ..

زينب .. فتاة خيالية تعيش فى أوهام الحب ، تقضى طول يومها تمثل وتقلد ممثلات السينما ..

احلام .. فتاة تدعى الثقافة ، طالبة فى الجامعة ، تضع على عينيها نظارات رغم أنها ليست فى حاجة اليها .. وتقضى يومها وفى يدها كتاب ، وتتحدث عن الأدباء الانجليز ..

ليلى .. فتاة تبحث عن زوج .. وتهوى معاكسة الشبان ..

وبدأت سنية تعيش فى مرح العائلة .. زينب تحاول ان تشركها معها فى التمثيل ، وتروى لها القصص التى تتخيلها فى أوهامها .. واحلام تحاول أن تثقفها وتقرأ لها الكتب .. وليلى تطلعها على أسرارها وتكلفها بأن تعاكس حبيبها حتى تتأكد من أخلاصه .. والزوج .. عبد العزيز بيه .. يغازل سنية علنا أمام زوجته مغازلات بريئة ..

وأحبت سنية العائلة رغم كثرة الشغل .. فكل بنت تكلفها بشىء .. وكل بنت لها نزوة ..

والتقت سنية على سلم العمارة بالأستاذ نبيل الذى كانت تعمل عنده فأحنى رأسه ومر من أمامها وهو متخذ مظهر الوقار وكأنه لا يعرفها .. وضحكت سنية ساخرة منه ..

والبنات الثلاث يغازلن ثلاثة شبان من طلبة كلية الهندسة

والتجارة يجتمعون فى شقة فى العمارة المجاورة .. ابن صاحب الشقة وصديقاه .. يذاكرون دروسهم .. وكان لهم صديق رابع أضعفهم شخصية وأقلهم وسامة ، حائر متأخر فى دروسه .. وهو ابن موظف كبير .. اسمه حاتم ..

وحاتم يلح على أصدقائه أن يعرفوه ببنت .. ويضايقهم أثناء معاكستهم لبنات الجيران والتحدث معهم فى التليفون ، فيتفق الأصدقاء الثلاثة مع البنات على ان يدفعن خادمتهم سنية الى التحدث مع حاتم فى التليفون على اعتبار انها صديقتهن ..

ويفرح الأولاد والبنات بالفكرة ..

ويجتمع البنات الثلاث حول سنية ويقنعنها بأن تحادث حاتم فى التليفون .. وتأخذ سنية الأمر ببساطة وتحادثه وتدعى أن اسمها شهيرة .. ثم تحادثه مرات كثيرة .. ثم تأخذ نمرة تليفونه فى بيته وتحادثه فيه .. ثم أصبحت تحادثه دون أن تطلع بنات العائلة .. ولم يكن هناك شىء يدفعها الى حديثه سوى الزهق .. كلما زهقت بالليل .. حادثته ..

وحاتم بدأ يغوى حديث سنية .. وربما لاحظ أنها لا تتحدث كبنات الذوات .. ولا تعرف بنات النادى الأهلى ولكنه كان فى حاجة الى حديثها .. كانت البنت الأولى فى حياته التى تحادثه فى التليفون .. وقد اثرت عليه بحيث بدأت شخصيته تتغير .. كان انتظاره لها فى التليفون يدفعه الى أستذكار دروسه . ويبعده عن أصدقائه الذين يسخرون منه ..

وهو يلح فى أن تقابله ..

وأخيرا يتفق البنات مع الأولاد على أن تذهب سنية لمقابلته .

وترضى سنية بعد تردد .. لقد أصبحت تشفق على حاتم من القلب ..

ويجتمع البنات ويلبسن سنية ثوبا من ثيابهن ، ويعقصن لها شعرها ويضعن لها المساحيق ، بحيث تبدو كبنت ذوات ..
وتذهب لمقابلة حاتم الذى كان يقود سيارة العائلة ..
وربما لاحظ حاتم أن فى سنية شيئا يحيره .. ولكنه لم يهتم . لقد كان فرحا بمقابلتها ..
وتعددت مقابلات سنية وحاتم ..
وبدأت سنية تميل اليه وتنسى حبيبها الأول منعم .. ولكن كان المقلب يقلقها .. كانت تخاف أن يكتشف أنها خادمة ..
واستطاعت ان تقنعه بأن يبتعد عن أصدقائه .. حتى لا يكشفوا له عن شخصيتها ..
وبدأت هى أيضا تقابله دون أن تخبر البنات وكانت تقترض منهن ثيابهن فى مرح .. تبتكر فى كل مرة قصة حتى يقرضنها ثوبا تخرج به لمقابلة حاتم ..
واحبها حاتم ..
ورفع الحب من شخصيته .. بدات تتميز فى تصرفاته ، ويتفوق فى دروسه .. حتى أبوه غير رأيه فيه ..
ولاحظت البنات والأولاد أن حاتما وسنية قد ابتعدا عنهم .. لاحظوا أنه أصبح بينهما علاقة خفية ..
لاحظت البنات أن سنية تخفى عنهن تصرفاتها .. ولاحظ الأولاد أن حاتما لم يعد يهتم بهم ..
وقرر البنات والأولاد أن يضعوا خاتمة للمقلب ..
وعرف البنات أن أباهن وأمهن سيذهبان الى زيارة عائلية .. واتفقن فى هذا اليوم أن يدعوا الى البيت الشبان الثلاثة ، ومعهم حاتم .. ويفاجئوه بسنية تدخل اليه حاملة صينية الشاى ..

ولم يطلعوا سنية على ما دبروه .. قالوا لها انهن فى انتظار ضيوف .. وأن عليها أن تقدم لهم الشاى ..
واجتمع الأصدقاء والبنات ..
ودخلت سنية وهى ترتدى زى الخادمات تحمل صينية الشاى ..
وما كادت ترى حاتم حتى تجمدت ..
وقفز حاتم واقفا فاغرا فاه ..
وقالت ليلى ساخرة :
ـ جرى ايه يا حاتم .. انت تعرف سنية خادمتنا .. ؟
وضحك الشبان ..
ضحكات كثيرة قاسية ..
ووقعت الصينية من يد سنية ، وتحطمت على الأرض ..
ثم جرت الى المطبخ ..
وأفاق حاتم من الصدمة وجرى وراءها دون ان يستأذن أحدا ..
وصرخت سنية وحاتم يحاول أن يمسك بها فى المطبخ :
ـ سيبنى .. أنا خدامة .. أنا خدامة ..
وقال حاتم :
أنا مايهمنيش انتى ايه .. كل اللى يهمنى انى باحبك ..
وقالت سنية بين دموعها :
ـ لأ .. يهمك .. يهمك ..
وقال حاتم :
ـ أنا مستعد اتجوزك يا شهيرة ..
وتقول :
ـ بس أنا مش شهيرة .. أنا سنية ..

وقال حاتم :

ـ مهما كان اسمك .. مستعد أتجوزك .. أنا باحبك انت مش باحب اسمك ..

ـ ما تجبش سيرة الجواز .. الأسياد عمرهم ما يتجوزوا الخدامات ..

ويستمر الحوار ..

وتهدأ سنية مرة واحدة ، وهى عصبية ، ثم تقول له وهى تنظر اليه كأنها تودعه :

ـ طيب استنانى مطرح ما بنتقابل .. بعد نص ساعة ..

ويخرج حاتم ..

وتدخل البنات ، فيرين سنية تجمع ملابسها ..

وتقول زينب :

ـ انتى زعلتى يا سنية ..

وتقول سنية :

ـ لأ .. احنا مش كنا متفقين على كده ..

ويحاول البنات أن يقنعن سنية بأن تبقى ، ولكنها تصر على أن تذهب ..

وتقول أحلام وسنية تخرج من باب المطبخ :

ـ والنبى حرام ..

ثم تبكى ..

ويبكى البنات الثلاث بحرقة ..

وتنزل سنية من سلم الخدم ، ويقابلها عم عبده البواب ، ويقول لها دون أن ينظر اليها :

ـ الجماعة اللى فى الدور الخامس عايزين خدامة ..

وتقول سنية :

ـ لأ .. أنا حادور على عمارة تانية ..

وتذهب حاملة ملابسها ..

وتمر على مكان لقائها مع حاتم ، وتراه من بعيد واقفا فى انتظارها ، ولا يراها ..

ولا تذهب اليه ..

تستمر فى سيرها ..

وتختفى بين العمارات الكثيرة الضخمة .. وفى كل نافذة من نوافذها رجل يطل عليها ..

كتب للأستاذ احسان عبد القدوس

ـ صانع الحب
٢ ـ بائع الحب
٣ ـ أنا حرة
٤ ـ الطريق المسدود
٥ ـ أين عمرى
٦ ـ النظارة السوداء
٧ ـ فى بيتنا رجل
٨ ـ لا أنام
٩ ـ منتهى الحب
١٠ـ لا تطفىء الشمس
١١ـ شىء فى صدرى
١٢ـ زوجة احمد
١٣ـ البنات والصيف
١٤ـ لا شىء يهم
١٥ـ انف وثلاث عيون
١٦ـ شفتاه
١٧ـ لا ٠٠ ليس جسدك
١٨ـ عقلى وقلبى
١٩ـ بئر الحرمان
٢٠ـ علبة من صفيح
٢١ـ ثقوب فى الثوب الاسود
٢٢ـ بنت السلطان
٢٣ـ سيدة فى خدمتك
٢٤ـ نساء لهن أسنان بيضاء
٢٥ـ الرصاصة لا تزال فى جيبى
٢٦ـ لا استطيع أن افكر وانا ارقص
٢٧ـ الوسادة الخالية
٢٨ـ دمى ودموعى وابتساماتى
٢٩ـ الراقصة والسياسى

رقم الايداع ٣٦١٠
الترقيم الدولى ٩٧٧

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

الثمن ٣٥٠ قرشا